فنجان قهوة مع قاتل

رواية

عمرو النجار

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

Visual Watermark

أغمضتُ عيني أم لم أفعل،

. لا فارق،

فما سأراه في مخيلتي سيكون أشد ذعرًا.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

Visual Watermark

تأفف ضيقًا وهو يزيح رابطة عنقه بعيدًا عن ياقة القميص الأبيض المهترئ، ثم ألقى بظرف أبيض كبير نُقش عليه «محكمة جنوب القاهرة» فوق الأريكة البنية القابعة في منتصف صالته الفارغة من الأثاث. بعد ذلك، تسللت أنامله بين أزرار قميصه لينتزعه نهائيًا عن جسده. وفي ثوانٍ معدودة، كان قد تجرد من بنطاله هو الآخر وألقاه بجوار عدة قنينات مياه فارغة، وحقيبة عمله السوداء، وبعض فتات الخبز والفشار.

رمق أريكته المتهالكة -التي تحملت كل ذلك- بنظرة اشمئزاز ممزوجة بالعطف، ثم فرك وجهه بكلا كفيه قبل أن يجلس على أطرافها. أخرج من جيب بنطاله المتدلي سيجارة من علبة الكليوباترا ليزيح بها بعض إرهاق عمله بالمحاماة عن جسده وذهنه.

ازداد حنقه عندما اكتشف أنها الأخيرة، فقبض على العلبة الكرتونية بين أصابعه بغيظٍ قبل أن يلقيها فوق البلاط الأبيض الذي أصبح بنيًا إثر الاتساخ.

أشعل سيجارته، ثم التقط هاتفه من جيب بنطاله الآخر وأوصله بشبكة الواي فاي. وبمجرد أن اتصل بالشبكة حتى سمع عشرات الإشعارات. لكنه صبَّ اهتمامه على نافذة رسائل عبر تطبيق الواتساب باسم «أم فريدة بنتي». قرأ رسائلها ولمح تاريخ اليوم على شاشة هاتفه، ٢٢ ديسمبر. ربط على الفور بين رسائل طليقته وموعد رؤية ابنته فريدة غدًا، ٢٣ ديسمبر.

همّ يجيب على رسائلها التي تجاوزت الأربعين، لكنه أجّل الرد وترك هاتفه جانبًا في نهاية الأمر، خوفًا من خوض نقاشات وأسئلة لا يقوى على مجابهتها في الساعات الأخيرة من يومه، على الأقل.

أخذ شهيقًا عميقًا من سيجارته ثم وضعها على حافة مقعد بلاستيكي صغير نُصب أمام أريكته، لتلقي سيجارته - التي أوشكت على الانتهاء - رمادها أرضًا.

ارتكز واقفًا على الأريكة بصعوبة بالغة وكأن ذاك الشاب، صاحب السبعة والثلاثين عامًا، قد تجاوز الستين من عمره. بخطوات بطيئة، دلف إلى الحمام وفتح صنبوره المتهالك وألقى المياه الباردة على جانبي وجهه عدة مرات، ليصدر هاتفه بالصالة رنينًا عاليًا ترك على إثره ما يفعله وعاد صوبه مسرعًا بأدرينالين مرتفع، خشية أن تكون المتصلة طليقته، وهو لن يتحمل أي إزعاج.

عقد حاجبيه عندما خاب ظنه واكتشف أن الاتصال وارد من تطبيق يدعى "Be My Eyes". أخذ يمسح قطرات المياه المتناثرة على جبينه وعينيه محاولًا تذكر ماهية ذلك التطبيق. ثم انفرج حاجباه عندما أسعفته ذاكرته.

كان قد قرأ عنه في صفحة الكاتب (ت.ع.أ) منذ سنوات قليلة. تطبيق عالمي تم إطلاقه لمساعدة من فقدوا أبصارهم عن طريق الاتصال بالفيديو، والاستفسار عن بعض أمورهم الحياتية التي تحتاج إلى من يملك نعمة البصر.

غفل عن كونه قد قام بتنزيل ذلك التطبيق، لأنه طوال تلك السنوات الماضية لم يستقبل اتصالًا واحدًا للمساعدة.

ظلت أنامله حائرة بين الإجابة من عدمها، حتى أعاد هاتفه فوق الأريكة بعد أن أغلق صوت رنينه العالي. التقط السيجارة مجددًا عسى أن ينال قسطًا أخيرًا من النيكوتين.

أطفأها في المقعد البلاستيكي بعد أن تسلل إلى فمه رائحة شياط تعلن عن نفادها، ثم اختلس نظرة إلى هاتفه في تأنيب ضمير، لاسيما أن الاتصال لم يتوقف.

التقط هاتفه بسرعة ثم ضغط على زر بدء المكالمة ليستقبل صوتًا أنثويًا رقيقًا في سماعة الهاتف الخارجية:

ألو.

تلا ذلك نحنحة هادئة منها، ثم تابعت بإحراج:

Visual Watermark

أنا آسفة، بس كنت محتاجة أسأل عن حاجة، ممكن؟

ارتبك وقرر ارتداء ما يستر صدره العاري، لكنه سرعان ما أدرك أن الاتصال بتقنية الفيديو يقتصر على المتصل فقط، وأنه لا يستخدم إلا صوته للمساعدة.

أعاد قميصه إلى مكانه ثم صب تركيزه على شاشة الهاتف، حيث احتلتها سجادة بيضاء اللون باهظة الثمن وفوقها منضدة صغيرة سوداء وعدة كتب. شرد قليلًا في الأثاث الراقي لمنزلها حتى أعاده صوتها إلى نصاب المكالمة، وهي تهمس لنفسها:

هو التطبيق مش شغال ولا إيه؟

لا، شغال.

ضحكت بصوت هادئ عندما اطمأن قلبها لرده المقتضب، ليتابع هو:

أقدر أساعدك إزاي؟

تحركت بهاتفها للأمام ليتراءى له بقية الأثاث، الذي احتل الجزء الأكبر منه مكتبة تحوي عشرات الكتب ودروع تكريم وشهادات تقدير. تنهدت بصوت عالٍ ثم أجابته بعد أن توقفت في المطبخ أمام رف يعلو موقد الغاز خاصتها:

معلش، أنا عايشة لوحدي، واللي بتساعدني في التنضيف غيرت مكان البانادول ورجعت بيتها، ومش عارفة هترجع لي امتى.

أثناء ذلك، صعدت قطة بيضاء لها عيون شديدة الزرقة فوق الرف الرخامي. تتوسط رقبتها سلسلة فضية بها جرس صغير مميز، وأخذت تداعب صاحبة المنزل لتضحك الأخيرة وهي تعلق قائلة:

أو كوكي اللي ضيعته، أيهما أقرب.

قال لها:

طيب، حركي الكاميرا في المطبخ كله وأنا لما هشوفه هقولك.

ثم أضاف بجدية:

حركيها ببطء شوية.

قدمت له عبارات الشكر والثناء، ثم نفذت تعليماته. ولم تمر دقيقة حتى انتهت من الدوران في مطبخها الفسيح، ليقاطعها بجدية وهو يقرب شاشة هاتفه أمام ناظريه:

ارجعي بالكاميرا لورا شوية ناحية الأرضية.

ما لبثت أن تفعل حتى استطرد قائلًا:

أنا شايف علبة بانادول زرقاء مرمية في باسكت الزبالة.

انحنت للأسفل وهي تتحسس الرف الرخامي ثم الغسالة ومنها إلى صندوق القمامة الصغير المنزوي الذي أشار إليه هذا الغريب الذي تحدثه. سحبته ناحيتها ثم وضعت ذراعها بالكامل داخله وأخرجت العلبة الزرقاء، ليعلق هو:

أيوة، مظبوط.

فتحتها وهي تقول في استنكار:

غريبة، ده لسه أم عزة سايباها في مكانها.

أخذت الأقراص وحملت قطتها بين ذراعيها وعادت صوب الصالة حيث المكتبة، ثم تابعت:

Visual Watermark

هي كوكي القردة، مفيش غيرها.

أخذ يتثاءب عاليًا ويقاوم نعاسه لتشعر هي بالإحراج، فقالت:

أنا آسفة، تعبتك معايا واتصلت في وقت متأخر، شكرًا ليك.

كان على وشك رد ثنائها وإنهاء المكالمة، لكنه رأى ما جعله يفرك عينيه وينتصب واقفًا. لمح طيفًا لقدمين يسرعان في الهروب في الناحية الأخرى من صالتها الكبيرة. ظن في بداية الأمر أنها هلاوس من فرط السهر والتعب، لكنه سأل بصوت خافت:

هو حضرتك متأكدة إنك عايشة لوحدك؟

ألقى سؤاله - الذي دوى بصوت عالٍ في الصالة عبر سماعة الهاتف الخارجية - الرعب داخلها، لتضع قطتها أرضًا وتسأل:

يعني إيه؟

بيتهيألي شوفت رجلين بتتحرك في الصالة من بعيد!

في تلك الثواني القليلة، ربطتْ بين ما يقوله هذا الغريب وما عاشته في الأيام الماضية. أخرجها من شرودها وقال معتذرًا بعد أن جلس على حافة الأريكة مجددًا:

أنا آسف، ممكن دي تهيؤات بس من التعب.

ما لبثت أن تنفي ما قاله حتى شعرت بأنفاسٍ تلهث خلفها وتحكم الإمساك برقبتها، ليسقط هاتفها أرضًا وسط ذعر مَن لا زال اتصاله جاريًا بها.

لم تلتقط شاشة الهاتف إلا عدة كتب ملقاة على الأرض، وصوت استغاثة منها بعد مقاومة لم تُجدِ نفعًا وهي تقول عدة كلمات متقطعة تسرب بعضها إلى أذنه: (داليا - سيدي كرير). تبع ذلك صوت صراخ مكتوم مصحوب بصوت شريط لاصق.

ابتلع ريقه ثم اعتدل في جلسته، وحملق في شاشة هاتفه غير مصدق لما يسمع ويرى. نزلت على رأسه عشرات الأسئلة كسيل مياه بارد في منتصف ديسمبر، أسئلة لن يجد لها حلًا ولم يستفق من غيبوبته إلا على وجه يقترب من كاميرا هاتف السيدة المجهولة. كان يرتدي قبعة بيضاء ونظارة طبية فضية تخفيان معالم وجهه، التي لا يميزها سوى حسنة سمراء صغيرة في نهاية حاجبه الأيسر. أنهى صاحب القبعة المكالمة، ليترك مُستقبِل الاتصال في حيرة وفزع من أمره.

ما أن انتهت المكالمة حتى أطبق الصمت على الصالة الخاوية الكئيبة. وما زاده كآبة هو استنجاد تلك السيدة به وعجزه عن المساعدة، بل ويقينه أنها في خطر شديد.

تصفح تطبيق (Be My Eyes) كالمجنون، يبحث عن المساعدة أو عن التحدث إلى خدمة العملاء، لكنه لم يجد من الأساس نافذة في التطبيق للمساعدة. أيضًا لم يتعثر في أية معلومات عن المتصل.

غير خطته وأغلق التطبيق، وبحث عبر جوجل عن (خدمة العملاء) حتى ظهرت له نافذة للشكاوى والاقتراحات ولكن عبر البريد الإلكتروني.

زفر ضيقًا عندما علم أن الأمر روتيني وسيبوء بالفشل، لا سيما أنه سيرسل بريدًا إلكترونيًا وسينتظر ردهم الذي قد يطول وقته. كما أن حدسه يخبره بأن ردهم سيأتي رسميًا وأنهم لن يفصحوا عن أية معلومات للمستخدم حفاظًا على سرية البيانات.

يا لغبائهم! سيلحق بها الضرر بسبب تلك الأمور الرتيبة.

حدَّث نفسه وهو يرسل البريد الإلكتروني على مضض مستنجدًا بإدارة التطبيق. راودته فكرة جديدة، ففتح

Visual Watermark

قائمة الأسماء على هاتفه ووقع اختياره على صديقه المقرب وزميل العمل المُسجل (ياسين).

أجرى اتصالًا به واستقبل صوته المتثائب عبر سماعة الهاتف الخارجية، فسأله:

فيه حاجة يا علاء؟ فريدة كويسة؟

طمأنه علاء أن ابنته بخير، ليسأل صديقه مجددًا عن سبب الاتصال في ذاك الوقت المتأخر. فأجابه الأول بأنه يريد الاستفسار عن بعض المعلومات حول تطبيق (Be My Eyes). استجمع ياسين قواه محاولًا الاستفاقة من نومه وسأل:

انت مصحيني دلوقتي عشان تسألني عن البتاع ده؟ انت متوحد يا ابني؟

الموضوع مهم يا ياسين، اخلص. عندك معلومات عنه ولا لأ؟

فرك ياسين عينيه واعتدل من نومه، ثم أجاب:

عارفه، بس مستخدمتوش.

ضحك ياسين ثم تابع ساخرًا:

أصل لسه نظري ستة على ستة، مش بضبش.

لازم علاء الصمت، فشعر ياسين بخطورة الأمر وتوقف عن الضحك، ثم سأل بجدية:

هو فيه إيه؟ فهمني واحدة واحدة.

شرح له علاء الأمر برمته وسط همهمة من صديقه المقرب. وما أن انتهى الأول من سرد تلك القصة الغريبة حتى علق ياسين ناصحًا:

تلاقيه مقلب أو تمثيلية بايخة من البنت والراجل ده عشان يستدرجوك أو عشان فاضيين. نصيحة مني كبر دماغك، انت مش ناقص مشاكل.

انت مش فاهم حاجة.

قالها علاء ثم سكت، فعاود ياسين الحديث متسائلًا وهو يبدل دفة الحوار:

طب انت جاي الشغل بكرة؟

نفى علاء نيته الذهاب إلى مكتب المحاماة الذي يعملان فيه صباح الغد، ووضح له أمر موعد زيارته الثانية لابنته بعد انفصاله عن يارا. قدم ياسين العون لصديقه ببعض الكلمات، ووعده بأن يقوم بكل المهام بدلًا منه، ثم ختم في نهاية حديثه ناصحًا:

علاء، يا مغناطيس المصايب، بفكرك انت مش ناقص خوازيق.

أنهى المكالمة مع ياسين بعد أن ودعه، ثم استقبل رسالة نصية عبر تطبيق الواتساب من طليقته تقول: (ها جاي بكرة تشوف فريدة ولا لأ؟). جذبته تلك الرسالة عنوة بعيدًا عما حدث، ففتح نافذة الرسائل بينه وبينها، ثم أرسل:

بكرة هكون موجود الساعة عشرة في الميعاد يا يارا.

تنهد ثم كتب مجددًا:

يا ريت انتِ بس ما تتأخريش زي المرة اللي فاتت. عايز ألحق أقعد مع بنتي شوية.

ألقى هاتفه فوق الأريكة، وأمسك بمقدمة رأسه بعد أن احتلها الصداع مجددًا. شرد في سقف الصالة الذي اختفت ألوانه البيضاء جراء العنكبوت والتراب الرمادي، طالما ذكره بنفسه، لا سيما بعد معاناته الأخيرة مع طليقته وأم ابنته الوحيدة.

Visual Watermark

ثارت الأفكار والهلاوس داخل رأسه حول تلك الغريبة ومصيرها لنصف ساعة حتى غلبه النعاس عنوة، لينتفض مفزوعًا بعد ساعاتٍ قليلة من النوم ويستيقظ على صراخ المنبه مذكرًا إياه بموعد زيارة فريدة الذي تفصله عنه عدة دقائق.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025
يسعدنا انضمامك لنا

Visual Watermark
Processed using the free version of Watermarkly. The paid version does not add this mark.

أمعن النظر، وراء تلك

الوجوه البريئة،

حولك شياطين خامدة

لم تفرز شرها بعد.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

Visual Watermark

ضايقتها برودة المكيّف القوي بمول سيتي سنتر، فلامست رقبتها بأناملها وأخذت تدور بها عدة مرات حتى استراحت قليلًا، ثم أخذت تفرك ذراعيها وهي تبث فيهما الدفء للسيطرة على الألم الذي يعتري جسدها الهزيل.

انتهت من انتقاء بعض البقالة المدوّن عليها تاريخ اليوم، وما لبثت أن تتجه إلى قسم الخضراوات حتى قال لها زوجها - الذي كان يسير بمحاذاتها - بعد أن أنهى مكالمة تليفونية للتو:

داليا، الولد بتاع البن جهز الحاجة بتاعتنا، هطلع أجيبها وأجيلك.

لاحظ زوجها الحمرة التي اشتدت في وجهها، فسألها وهو يربت على كتفها مشيرًا إلى التكييفات حوله:

انتِ كويسة ولا التكييف تعبك؟ عايزاني أكمل مكانك؟

ضحكت بصوتٍ خافت محاولةً طمأنته، ثم علقت:

أنا كويسة وزي الفل أهو.

ثم أكملت مازحة:

وبعدين اللي فاضلنا الخضار، وانت ما شاء الله مابتعرفش تفرق بين الخيار والكوسة.

بادلها الضحكات واحتضن كف يدها بأصابعه الغليظة لتشير له داليا بأن يكمل طريقه إلى الخارج ويحضر البن المفضل لهما، وأن يسبقها لسيارتهما القابعة خارج المول، وأنها ستلحق به في غضون دقائق قليلة. ألقى لها قبلة سريعة في الهواء لتبتسم داليا ابتسامة واسعة برزت فيها غمازتان أضافتا لها جمالًا وبشاشة وزينتا وجهها الرقيق.

خرج هو وأكملت هي تسوّقها وأمسكت بعدة ثمرات كبيرة وأخذت تحدق بهن جيدًا حتى سقطت إحدى ثمرات الرمان من بين أصابعها ودارت على الأرض لعدة أمتار حتى لامست حذاء جلدي عالٍ أسود يرتديه رجل في الأربعين من عمره كان يعطيها ظهره. وما أن اصطدمت تلك الثمرة به حتى انحنى أرضًا والتقطها، وبعد أن انتصب بقامته عدّل من وضع القبعة البيضاء فوق رأسه وأخذ يمشط المكان بعينيه متصنعًا البحث عن مصدر تلك الثمرة، إلى أن التقط ابتسامة على وجه داليا، فخطا نحوها للأمام عدة خطوات في تؤدة ليصدر نعل حذائه صريرًا خفيفًا ساعد على سماعه السكون التام الذي يعم حولهما.

توقف الرجل - ذو الطول المتوسط والبنية الممشوقة- عن السير بعد أن أصبح على مسافة متر واحد منها، ثم قال بلطف وهو يناولها الثمرة:

دي وقعت منك.

شكرته داليا بابتسامة هادئة دون أن تتفوه بكلمة واحدة، وما لبثت أن تلتقط الثمرة وتعود أدراجها للتسوق حتى ضيق هذا الغريب عينيه وقال محاولًا التذكر:

أعتقد إني أعرف حضرتك.

صمت لبرهة، ثم عاود حديثه مستنتجًا:

آه، حضرتك الكاتبة داليا الصاوي، مظبوط؟

استدارت بكامل جسدها لتصبح مواجهة له، ورسمت ابتسامة أوسع من سابقتها بعد أن أودعت سلة التسوق جانبًا. أجابته بصوت هامس:

آه، أنا مظبوط.

مد يده على الفور ليصافحها في حرارة، ثم قال:

أنا من أشد المعجبين برواياتك، على الرغم من إنك دايمًا يعني بتيجي على الرجالة وبتظلميهم.

جذبت أطراف حجابها الطويل الذي يزين وجهها الأبيض وعدلت من وضعه من شدة توترها، ثم بادلته

Visual Watermark

المصافحة باليد وعلقت بصوت جاهدة فيه أن يعلو قليلًا:

شكرًا، ده من ذوقك.

عمَّ السكوت لبضع ثوانٍ تخللتها نظرات ذلك الغريب صوب داليا من أعلى نظارة شمسية تضعها فوق حجابها، وخاتم الزيجة في يدها اليسرى حتى أطراف الحذاء الرياضي الأبيض الذي لم يستدل منه إلا على مقدمته فقط جراء ثوبها الواسع الطويل الذي يصل حد كعبيها.

خلع القبعة عن رأسه لتكشف عن شعر ناعم طويل يضيف له بشاشة وهيبة، وما لبث أن يجذب أطراف الحديث مجددًا حتى فاجأه أحد المارين بجواره، والذي كان رجلًا سمينًا وقصيرًا وبالكاد أكمل الخمسين من عمره، وقال:

معقولة، إبراهيم، إبراهيم قمر؟

ارتبك الرجل قليلًا وأعاد قبعته فوق رأسه، ثم مد يده وألقى التحية على مضض، ليعاود ذلك الرجل السمين حديثه قائلًا:

فينك يا راجل؟ بقالي أربع سنين مش بشوفك من وقت آخر مسابقة والحادثة اللي وراها.

ضيق حاجبيه عندما سكت صاحب القبعة، فاستطرد وهو يشير إلى نفسه:

انت مش فاكرني؟ أنا محمود الخشاب، مذيع راديو الشباب والرياضة.

آه آه، أهلًا وسهلًا، إزّيك؟ فاكرك طبعًا.

حرك ناظريه بين إبراهيم وداليا التي ودت لو تنسحب من هذا اللقاء بينهما، لكن الأول أشار إليها وقال:

أعرفك، الكاتبة داليا الصاوي.

أومأ محمود برأسه بتحية مقتضبة دلت على أنه لا يعرفها ولا يهتم بأمرها. قال محمود وهو يربت على كتف إبراهيم قبل أن يرحل:

عامةً مبسوط إني شوفتك، والبقاء لله، شد حيلك، صدقني أنا ما عرفتش إلا بعدها بشهر مثلًا.

عاد الارتباك ليسكن وجه إبراهيم وكأن ذلك المذيع المتطفل قد أفسد كل مخططاته. ودع إبراهيم محمود وهو يلوح بيده حتى غاب الأخير عن الأنظار. وفي تلك الثواني القليلة استجمع إبراهيم تركيزه مجددًا ورتب أفكاره، وقبل أن ترحل داليا هي الأخرى، قال إبراهيم وهو يشير إلى نفسه:

أعرفك بنفسي، أنا إبراهيم قمر، أول مصري يشارك في سباق الفورمولا، لو تسمعي عنه.

ردت داليا باقتضاب لم يخلُ من اللطف:

آه، أهلًا وسهلًا، تشرفنا، وشكرًا على مجاملتك اللطيفة عن رواياتي، ويا رب اللي جاي يعجبك.

تنحنحت ثم استطردت قائلة:

عن إذنك.

قالت كلماتها وأمسكت بأطراف سلة التسوق، وقبل أن تستدير للخلف، قال لها ما جعلها تتوقف عن الحركة:

غريبة يعني.

سألته وهي تضم حاجبيها إلى الداخل:

إيه اللي غريب؟

أخذ يداعب شعره بأصابعه ويرفعه للأعلى بعد أن غطى القليل منه الحسنة السمراء فوق حاجبه الأيسر،

Visual Watermark

وقال:

يعني إنك مش مستغربة رأيي في رواياتك، وإنك بتبهدلي الرجالة في كل أعمالك، ودايمًا بيطلعوا هما الطرف الأسوأ، حتى في اللايف الأسبوعي اللي بتطلعيه مش بنسلم من نقدك.

أجابته داليا بدبلوماسية شديدة:

أديك قلت (رأيك) ومالیش الحق أغيره ولا حتى أستغرب منه.

ضيقت عينيها بعدما شعرت أن وجه المتحدث أمامها يبدو مألوفًا. عصرت ذاكرتها لكنها لم تسعفها في الإجابة حول متى رأته وأين، فسألته بفضول:

هو إحنا متقابلناش قبل كده؟

همهم قليلًا ثم أجاب:

مفتكرش.

أشارت بسبابتها نحوه ثم استطردت:

بس أنا حاسة إننا اتقابلنا قبل كده واتكلمنا كمان!

شرد داخل عينيها متجاهلًا ما قالته، ثم قال بصوت رتيب مبدلًا دفة حديثهما:

أنا عندي حكاية عايز أحكيهالك، جايز تغير وجهة نظرك عن الحياة.

أشار إبراهيم إلى مجمع المطاعم والكافيهات خارج مكان التسوق، ثم تابع بلطف:

لو تقبلي عزومتي على فنجان قهوة وندردش سوا.

ضمت داليا كتفيها إلى داخل جسدها وقالت بإحراج شديد:

آسفة، مش هينفع.

ثم أشارت إلى مكان وقوفهما وتابعت:

لو حابب تتكلم هنا، اتفضل.

بعثرت تلك الكلمات تماسكه وهالة الهيبة المصطنعة قليلًا، فقال بصوت حاول ألا يبدو مهزوزًا:

الموضوع طويل ومايصحش ولا يليق بيكِ نتناقش هنا.

ضحكت داليا بصوت خافت وقالت بسخرية:

ولا يصح برضه إني أشرب قهوة مع راجل معرفهوش، ده بعيدًا عن إني ست متزوجة ومعايا جوزي هنا كمان.

أردفت قائلة بلطف:

آسفة مرة تانية، مش هينفع.

تبددت البشاشة وانكمش اللطف المرسوم على وجهه ليحل محلهما الضيق والوعيد جراء رفض طلبه لاحتساء القهوة، وكأنه شخص ثانٍ يتحدث لها. تعمدت الهروب بنظراتها بعيدًا عن حدة نظراته واتساع بؤبؤ عينيه، حتى أنقذها رنين هاتفها. فقالت وهي تخرج الهاتف متعللة بالرد والهروب بعيدًا عنه بخطوات تكفي لبث الطمأنينة داخلها مجددًا:

عن إذنك.

أجابت على الاتصال - المصحوب بإرادة سماوية منقذة وفي توقيتها الصحيح - الوارد من زوجها، والذي أخبرها فيه أنه انتهى من إحضار الابن المصنوع خصيصًا لهما وأنه ينتظرها بالسيارة. قالت له وهي تتلفت إلى الخلف

Visual Watermark

وتنظر خلسة إلى ملامح إبراهيم الحادة، والذي لم يحرك ساكنًا وظل واقفًا كما هو:

أنا خارجة من المول وجاية.

أنهت المكالمة ثم توجهت مسرعة صوب الكاشير، وهي لا تزال تتلصص النظر إليه بين الحين والآخر حتى اختفى عن ناظريها. وما أن انتهت من دفع قيمة المشتريات ووضعهم في حقيبة بلاستيكية واحدة من شدة توترها، حتى عادت ذاكرتها للعمل لشهور مضت.

ذاك الغريب المدعو إبراهيم قد أنقذها من قبل، إذن ما حدث اليوم لم يكن صدفة، بل مخطط له! هكذا حدثت نفسها بعدما سيطرت الهواجس على عقلها. فخرجت مهرولة من البوابة المخصصة لدخول الزوار لتصطدم بشاب ثلاثيني وفتاة مقاربة لعمره - تحمل صغيرتها - كانا يدخلان المول، فأسقطت داليا نظارته الشمسية لتقول بعدها معتذرة:

آسفة، مقصدش.

انحنت السيدة للأسفل بعد أن أودعت ابنتها أرضًا والتقطت نظارة زوجها، ورفعت يدها للأعلى صوب داليا قائلة:

ولا يهمك.

توقف الزوج عن السير ثم استعاد نظارته وهو يفحصها يمينًا ويسارًا متسائلًا:

اتخدشت يا يارا؟

نظر إليها وقال مازحًا:

أول لحظات نزول الإسكندرية تتكسر فيها نضارتي الأصلية، قلتلك بلاش ننزل.

حملت ابنتها مجددًا ثم قالت بخبث وهي تعدل من وضع ملابس صغيرتها ذات العامين:

مش عايز تنزل إسكندرية يا علاء عشان نضارتك اتكسرت ولا قلبك اللي اتكسر عشان حبك القديم اللي هنا؟

ضم شفتيه وأخذ ينظر إلى المحلات المتراصة بجوار بعضها البعض، محاولًا تجاهل ما ترمي إليه. حتى أودعت صغيرتها بين ذراعيه وقالت بضيق:

خد فريدة يا عم روميو، هدخل الحمام وهاجي.

حمل علاء ابنته على كتفه وأخذ يداعبها، ولكن بعينين لم تتوقفا عن مراقبة زوجته متعجبًا من إصرارها على المجيء للإسكندرية، وكأنها تريد إثبات شيء لنفسها لا يستطيع تحديده.

بينما كانت داليا قد وصلت أمام سيارة زوجها الخضراء من فئة (هيونداي النترا)، ليترجل منها ويفتح لها حقيبة السيارة الخلفية لتضع الكيس الكبير الوحيد الذي أثار استغرابه، فسأل:

أنا ليه حاسس إنك مشترتيش كل حاجة؟

ما لبثت أن تتعلل بتعبها، محاولة أن تخبئ قصة ذلك الرجل الغريب حتى لا تورط زوجها في أية مشاكل. حتى لمحت إبراهيم قمر في ممر آخر مخصص لركن السيارات، يبعد عن المرأب خاصتها بحوالي سبعين مترًا. تيبست الحروف على شفتيها وهي تراقب غريب الأطوار ذلك، وهو يقف أمام سيارته الفارهة السوداء من فئة (بي إم دبليو)، ممسكًا بقبضة الباب الأمامي دون أن يدلف إليها، مرسلًا لداليا ابتسامة باهتة تحمل وراءها الكثير. هرولت داليا إلى داخل سيارتهما وكأنها تحتمي بها، ثم قالت:

تعبانة بس شوية وعايزة أريح، هبقى أكمل بعدين.

تبعها الزوج إلى الداخل، ثم أدار مقود السيارة وأخذ يتحدث عن بعض أمور العمل المشتركة بينهما وعن ابن الذي أحضره، ثم ختم بحديث آخر عن موعد اللايف الأسبوعي لداليا. بينما الأخيرة كانت في عالم آخر، لم تتوقف

Visual Watermark

عن مراقبة السيارة السوداء التي أضاء سائقها مصابيحها الأمامية على الرغم من أن الليل لم يخيم ظلامه بعد، حتى تحرك زوجها بعيدًا عن المرآب وبعيدًا عن السيارة التي حبست أنفاسها. فقال لها بصوت عالٍ قليلًا:

داليا، انتِ معايا؟

آسفة، سرحت شوية. معاك..

في الرواية الجديدة طبعًا؟

لا.

سألها بعد أن رسم ابتسامة واسعة على وجهه، لكنها أراحت رأسها على وسادة المقعد وسكتت، مفضلة أن تراقب الأرصفة التي تمر سريعًا عبر زجاج السيارة.

صمت هو الآخر بعد أن تفهّم أن هناك ما يشغل بالها، وصبا تركيزهما ناحية الطريق الصحراوي المؤدي إلى فيلتهما الخاصة بسيدي كرير ليعاود زوجها الحديث بعد دقائق، وضغط على زر مشغل الموسيقى وقال:

معاد اللايف بتاعك كمان تلت ساعة، هتلحقي تطلعيه في البيت ولا هتأجليه؟

ضغطت داليا زر الموسيقى لتوقفها على غير العادة، ثم استدارت بكامل جسدها ناحيته وسألته في اهتمام ممزوج بالقلق:

طارق، عايزة أسألك سؤال.

مال برأسه ناحيتها معطيًا إياها اهتمامه وهو لا زال مثبتًا ناظريه تجاه الطريق، وأعطاها إشارة البدء في الحديث. حركت عينيها يمينًا ويسارًا قبل أن تجمع قواها وتسأل:

هو عادي إن شخص غريب ماتعرفهوش يقابلك صدفة مرتين وفي مكانين مختلفين؟

نظرت أمامها عبر الزجاج الأمامي ثم تابعت قائلة:

وفي كل مرة بيكون له موقف شخصي معاك مش بتكون صدفة عابرة، هل ده عادي؟

حرك نظره ناحيتها وقال مداعبًا إياها:

طبعًا عادي، انتِ في إسكندرية، أوضة وصالة يا حبيبي.

خاب توقعه حول مبادلتها لدعابته التي ألقاها بعدما لاحظ أن الشرود يسكن وجهها، فأكمل في جدية يخالطها الاهتمام وهو يربت فوق يدها:

فيه حاجة يا دودو؟ مين شوفتيه وشاغلك أوي كده؟

ابتسمت بعد أن غمرها بمشاعره فأشبكت أناملها بين أنامله ونفت وهي تهز رأسها عن وجود ما يثير غضبها. لم تمر ثلث الساعة وهما في سيارتهما حتى دلفا إلى مربع سكني هادئ حد الخوف بسيدي كرير، ثم قطعا طريقًا طويلًا من الفلل والشاليهات المتراصة بجوار بعضهما البعض. قال زوجها وهو ينظر في ساعة يده:

انتِ كده اتأخرتِ عن اللايف؟

أخرجها من شرودها الذي لا زال مسيطرًا عليها، فطمأنته أنها ستبدأ المناقشة عبر اللايف ما إن تدخل منزلها، وأنها ستعتذر للقراء ولا داعي للقلق، فقال مازحًا:

يعني كان لازم تصممي تسكني في فيلا في آخر الدنيا كده! أومال لو مش بتتعبي من الهواء، كنتِ قعدتينا في قارب في نص المايه بقى!

يا ريته كان ينفع.

توقف عن القيادة عندما قالت أمنيتها، ثم أشار للخلف وتابع مزاحه:

Visual Watermark

لا ده أنا ألف وأرجع وتكبر في دماغي دلوقتي.

قالت في قلق مصحوب بابتسامة وهي تشير إلى الأمام حيث الطريق الممهد والمؤدي إلى مسكنهم:

سوق يا ابني، هنتأخر.

قهقه عاليًا وتحرك بسيارته مجددًا فبادلته الدعابة هذه المرة وهي تمسك خده قائلة:

لولا الفيلا دي مكنش فيه روايات هتتكتب بروقان.

ثم رفعت سبابتها واستطردت بنفس الصوت:

ولا كان زمانك كسبت فلوس على قلبك قد كده من ورايا يا سيادة الناشر.

ابتسم وهو يتأمل ملامحها حتى وصلت الابتسامة حد أذنيه. ليس لدعابتها فقط، لتذكره ذلك اليوم الذي شهد لقاءهما الأول؛ خمسة أعوام مرت وكأنها خمسة أيام له، لم تغب عن ذهنه اللحظات الأولى التي جمعته كناشر مصري اقترب من الأربعين عامًا لكنه يستهل مشواره بروائية شابة تصغره بعشر سنوات تأمل أن تضع بين يديه عملها البكر.

قرأ العمل المُرسل منها عبر البريد الإلكتروني وأثنى عليه بينه وبين نفسه لكنه أرسل بريدًا إلكترونيًا بالخطأ يتخلله رفض للعمل، وعندما استيقظ صباح اليوم التالي، أدرك أنه فعل مصيبة، فبدلًا من أن يقبله أرسل رسالة رفض روتينية.

فتح ملف المعلومات الشخصية الخاص بها وأجرى اتصالًا بالرقم المرفق داخله ليستقبل صوتها الرقيق في أذنه. قدم نفسه لها فلاحظ أن ردها مقتضبًا ومصحوبًا ببكاء مكتوم، فأخذ يعتذر عن تصرفه غير المتعمد وزف بُشراه لها بقبول العمل وأن ما تم إرساله بالأمس لم يكن إلا سهوًا، ليملأ صوتها التفاؤل والبهجة وكأنه أعاد الحياة لها.

لم يحتَج قدرًا من الذكاء ليفهم أنها باتت ليلة صعبة من البكاء والحزن بسبب رسالته، فختم المكالمة بتحديد موعد إمضاء العقد بعد يومين من تاريخ المكالمة. تقابلا في كافيه السلسلة بالإسكندرية وأتما التعاقد. أسرت بساطتها وروحها الطيبة وملامحها الحسناء قلبه منذ اللحظة الأولى ليتم الخطبة بعد شهور من تعارفهما ويتزوجا بعد أربعة أعوام من العمل والنجاح والتخطيط لبناء عش الزوجية.

فيلا ١٧ بسيدي كرير اللذان اقتربا منها، واللذان كدّا سويًا في الادخار لشرائها من أرباح روايات داليا الصاوي، الكاتبة الأكثر شهرة في مصر والتي تقارب في مبيعاتها أحلام مستغانمي، الكاتبة الأكثر شهرة في الوطن العربي حتى أنهما يتبنيان نفس الآراء.

عام انصرم على زواجهما، عام سعيد جدًا لكن سعادته ينقصها ثالث أفراد العيلة الذَين انتظراه كثيرًا لكن لم تظهر أية بوادر لحدوث حمل، وعجز الأطباء عن الحل.

عاد من شروده حول زوجته وصبَّ تركيزه مجددًا صوب الطريق محملًا بالعطف والحزن في آن واحد. اتخذ طريقًا جانبيًا خاليًا من أية مبانٍ ووصل إلى فيلتهما رقم ١٧ والتي لا يفصلها عن البحر سوى عدة أمتار قليلة من الرمال، ترجلا من سيارتهما وهما يحتمان في معاطفهما الطويلة من هواء ديسمبر في الإسكندرية والذي كان يدفعهما للأمام صوب المنزل. ساعد طارق زوجته في الوصول إلى أعتاب الشاليه وأشار إلى الداخل مغمضًا عينيه إثر الهواء العاصف:

ادخلي انتِ ارتاحي وابدأي اللايف وأنا هدخل الحاجة كلها جوا.

أعطته قُبلة خاطفة على خده معبرةً عن امتنانها فتهللت أساريره وترجل في حماس صوب السيارة لتدخل هي إلى منزلها. منزل بسيط، يسيطر على أثاثه القليل اللون الأبيض، وجدرانه كذلك، عبرت من خلال ممر صغير إلى الصالة الواسعة التي تتوسطها أريكة بنية اللون، خلعت حذاءها الرياضي وجلست القرفصاء على الأريكة بعد أن التقطت هاتفها.

Visual Watermark

ضغطت زر تطبيق فيسبوك ومنه إلى صفحتها الرسمية التي اقترب متابعوها من المليون قارئ، ثم بدأت البث المباشر. قدمت اعتذارًا لمتابعيها في بداية الحلقة، ثم طرحت موضوعًا للنقاش بينها وبينهم وأخذت تسرد مقدمات وحلولًا للقضية المطروحة، بينما كان طارق قد قارب على نقل كل أغراضهما إلى المطبخ مرورًا بالصالة التي تجلس بها زوجته.

وقبل أن تنتهي المناقشة، أعطت داليا مساحة لأسئلة المتابعين الذين لا يتوقفون عن كتابة التعليقات حول المحتوى وحول أسئلة أرادوا طرحها. ملأت التعليقات شاشة هاتفها، فأخذت تنتقي منهم ما بين أسئلة حول أمور حياتية وأخرى حول رواياتها، وما لبثت أن اختتمت البث المباشر حتى لمحت تعليقًا مرَّ بين عدة تعليقات لصاحبه الذي يُدعى «زهرة زرقاء»، ولم يكن ما لفت انتباهها أن اسم صاحب التعليق كان نفس اسم روايتها الأخيرة، بل التعليق ذاته الذي كان به: «مش كنتِ وافقتِ نشرب قهوة مع بعض؟ هتندمي."

استوقفها ما كتبه إبراهيم قمر، فأنهت البث المباشر سريعًا وفي توتر حتى لاحظ من يقف أمامها وأنهى نقل كل أغراضهما للداخل. سألها طارق عما بها لتجيبه بأنها فقط تذكرت للتو مهمة يجب أن تنهيها، وهي لا زالت تضع تركيزها حول كل التعليقات المكتوبة بحثًا عن صاحب التعليق المميز الذي أصابها بالذعر.

دخلا «كوستا» في ستانلي بعد أن أودعا حقائبهما في فندق كليوباترا الذي يبعد دقائق عن كوبري ستانلي، بعد أن فضلت يارا بدء جولتهما بالإسكندرية في نفس يوم الوصول على أن تأخذ قسطًا من الراحة، لا سيما أن الطقس أثار حماسها. مشَّطا المكان بعينيهما هو وزوجته التي كانت تحمل صغيرتهما ولم تتوقف عن الحنو برفق على رأسها، حتى أشار علاء إلى طاولة منزوية بعيدًا عن الحضور الذي لم يكن كثيرًا بالكافيه، لا سيما أن الساعة قد تخطت الحادية عشرة مساءً، وهذا توقيت متأخر في الإسكندرية شتاءً، حيث تفتح الإسكندرية الأبواب لأبنائها للاستمتاع بأجواء أوروبية تغيب عن نظر رواد الصيف لها.

رمقته يارا بنظرة خاطفة تعني: «لمَ هذه الطاولة بالتحديد؟»، وكعادته اصطنع الجهل لما ترمي إليه. جلسا على أريكة كبيرة تحد الطاولة، ووضعا بينهما طفلتهما فريدة وحقيبة جلدية كبيرة خاصتها.

اقترب النادل منهما وابتسم لهما، وداعب الصغيرة التي فاقت أمها جمالًا، ثم ناولهما قائمة المشروبات والحلوى ورحل ليترك يارا في حيرة من أمرها حول اختيار مشروب مناسب، لا سيما أنها زيارتها الأولى له.

انشغل علاء بتصوير عدة صور لابنته فريدة التي وضعتها أمها فوق الطاولة وأخذت تعبث بقائمة الطعام الخاصة بأبيها وسط ضحكات عالية منها. وضع علاء صورة منها لصغيرته وهي تضع بين أناملها ورقة نُقش فوقها اسم العلامة التجارية المميزة في الإسكندرية «كوستا» في ستوري الإنستجرام وتبتسم، وكتب فوقها «قلبي الذي ينبض»، ثم نشرها. لتقطع يارا أنسجة الشجن المرسومة على وجهه بسؤالها:

مش قولنا نسيب التلفونات؟

أدرك علاء حينذاك أنه يقترب من الخطوط الحمراء التي توشك أن تفسد علاقتهما، فترك هاتفه جانبًا على الطاولة لتسأله مجددًا:

انت نزلت صورة فريدة على السوشيال ميديا تاني؟

تنهد عاليًا ثم أجاب:

صورة واحدة بس حبيت أوثق بيها أول زيارة لفريدة للإسكندرية.

صمت برهة ثم أكمل:

زي ما بابا الله يرحمه اداني أول صورة في شاليه العجمي.

أشار لابنته ثم إلى نفسه واستطرد ضاحكًا:

بس الفرق إنه صورني بلبوص خالص.

Visual Watermark

ضحكت يارا على مضض، وعادت لتتحسس شعر ابنتها، ثم علقت قائلة:

ربنا يستر ومايحصلش حاجة زي صورة المرة اللي فاتت، نحمد ربنا إنها جت على قد سخونية.

سيطر القلق على وجهها فزفرت طويلًا وقالت:

ما تمسح الصورة دي يا علاء، بلاش!

التقط هاتفه مجددًا ومسح الصورة دون محاولة للنقاش معها، لا سيما أنه اقتطع تلك الإجازة السنوية من عمله لإعادة الشغف والترابط إلى علاقتهما كما كان منذ بداية زواجهما. ولم يتردد في الموافقة على السفر إلى الإسكندرية بالتحديد كما طلبت يارا دون خوض نقاش حول ذلك أيضًا، على الرغم من علمه بأنها تنفر من ذكر اسم هذه المحافظة. والدافع وراء إصرارها غيرة أو دافع آخر مجهول وافق من أجله على تلك الزيارة لتحديده.

عمَّ بينهما الصمت المغلف بنظرات مملوءة بالعتاب، وكأنه قد حان الوقت لفض خلافاتهما الزوجية. اعتدل علاء في جلسته واستند بكلتا ذراعيه على المنضدة الفاصلة بينهما، ونظر داخل عينيها مليًّا ثم سأل باهتمام:

لحد امتى هنفضل بعيد عن بعض؟

ابتسمت وهي تضيق عينيها، ورجعت برأسها للخلف مستنكرة سؤاله، سألها لمَ تضحك، فبادلته بسؤال مثله:

هو انت بجد مش عارف ولا ناوي تجيب لي جلطة؟

عاد بظهره إلى الخلف فتنهدت وبررت أنه هو من الأساس من وضع تلك الفواصل بينه وبينها، وأنها لا تشعر بأثره في حياتها ومستقبل صغيرتها وأنه يصب كل اهتمامه على عمله بالمحاماة الذي قد يتخطى عشرين ساعة يوميًا، وذكرته بتلك المرة التي مرضت فيها صغيرتها وارتفعت درجة حرارتها حتى اقتربت من الأربعين درجة، وعندما اتصلت به آنذاك عدة مرات كان رده هو عدم الرد من الأساس، لتهرول هي في الشوارع حتى وصلت إلى مستشفى خاص قريب من المنزل وأنقذت فريدة. حملت صغيرتها بعيدًا عن المنضدة وأخذت تعدل من وضع ملابسها مجددًا، ثم أردفت قائلة:

ولما توصل للخيانة يبقى ما تلومنيش.

استنكر علاء ما قالته وقال:

خيانة؟ أنا خنتك!

نظرت يارا إلى داخل عينيه هذه المرة بعينين مملوءتين بدموع لم تخرج، ثم بررت قائلة:

لما أعرف بالصدفة إن بنتي متسمية على اسم حب عمرك القديم، تبقى إيه؟

حركت عينيها صوب ابنتها لتنهمر دموعها مستسلمة هذه المرة وتابعت بحزن:

عارف ده بالنسبة لأي ست إيه؟ أنا ساعات ببقى مش قادرة ولا عايزة أناديها باسمها، قربت تكرهني في أهم حاجة عندي في الدنيا. لا بجد، برافو.

وضع علاء رأسه بين كفيه مطأطئًا إياها وضرب التوتر أوصاله حتى أنه أخذ يبحث عن علبة السجائر في جيب معطفه الأسود الواسع لتردف هي في سخرية:

ماتشغلش بالك. انت مش مطالب تشرح تصرفك. إحنا في الأول والأخير متجوزين صالونات يعني، ومكملين عشان فريدة مش أكتر.

هو عشان صالونات يبقى مش بحبك؟ انتِ عارفة كويس غلاوتك ومعزتك قد إيه عندي، وإني عشت معاكِ أجمل سنين عمري.

عادت نبرة السخرية في حديثها حيث قالت:

Visual Watermark

بتعزني؟ هو أنا واحد صاحبك؟ أنا مراتك يا أستاذ، يا ريت تسكت خالص وماتبررش أحسن.

جفَّ الكلام في حلقه وتيبست شفتيه عن شرح ما بداخله. ودَّ لو يشعل سيجارة هربًا من المأزق الذي لا مفر له منه لاسيما بعد بكائها بصوتٍ مكتوم. أراد أن يربت فوق يدها لكنه تراجع، أخرج سيجارة من علبته وقبل أن يشعلها فطن لوجود ابنته فأشار لها أنه سيخرج لدقائق في الهواء الطلق ويعود ما أن ينتهي من سيجارته. لم تكترث لما قال وكأنها لم تسمعه من الأساس.

ترك كل أغراضه على الطاولة ومشى في تؤدة إلى الخارج محملًا بخيبة أمل ثانية. الخيبة الأولى أنه غرس في ذهنها ذلك الشعور السيئ وهو على يقين أنه لن يُنسى أبدًا. والثانية تتعلق بفشله في تحقيق الهدف من زيارتهما للإسكندرية وهو تخفيف وطأة ذلك الشعور.

وقف على أعتاب الكافيه من الخارج حيث الرصيف الخالي من المارة والهواء البارد المحمل باليود، وكوبري ستانلي. وضع السيجارة بين شفتيه وشرد صوب الكوبري الذي شهد ذكرياتهما سويًا، لم يستطع أن يُكذب رواية زوجته حول فريدة لأن حدسها كان صحيحًا، إحساس المرأة بزوجها لا يخيب أبدًا، لا سيما إن أحبته كما تحبه يارا.

فريدة، الفتاة الأرستقراطية القاطنة بكفر عبده أرقى مناطق الإسكندرية، حلم باهت راوده وظن أنه من الممكن تحقيقه، أن يتزوج المحامي الذي لا يتخطى راتبه الخمسة آلاف جنيه شهريًا من فريدة سلام، نجلة سلام عمارة أشهر محاميّ الإسكندرية. لقاءهما الأول كان خارج بناية مكتبه، تكلف يومها بمهمة توصيل بعض الأوراق من المكتب الذي يعمل به إلى مكتب سلام عمارة، وحينذاك قابلها.

شابة في عمره تقريبًا، ترتدي زيًا رسميًا أسود يتخلله قميص أبيض، فخمَّن أنها محامية مثله تعمل في مكتب سلام، ذلك المتعجرف. كم يكره اليوم الذي يجمعه به أثناء العمل، تحاشى العمل معه طوال شهور مستعينًا ببعض مساعديه لكنهم في بعض الأحيان يجعلونه يقابل ذلك المتكبر وسليط اللسان وجهًا لوجه لاتخاذ بعض القرارات الحاسمة. ما لفت انتباهه حولها هو رقتها وابتسامتها الواسعة مع كل من حولها.

مال إلى أحد زملائه المحامين، والذي كان على دراية بكل من يعملون في مكتب سلام، سأله بصوت خافت وهو يشير إليها عن ماهيتها ليجيب وهو يلصق شفتيه بأذن علاء حتى لا يستمع أحد من الواقفين حولهما. شعر بقشعريرة جراء تلك الحركة المفاجئة منه، لكن عندما أخبره بهويتها وأنها ابنة سلام الوحيدة انتابته قشعريرة أكبر من سابقتها واتسعت عيناه عن آخرهما. هذه الفتاة المتواضعة التي تتحدث مع فرد الأمن العجوز كأنه عميل مهم في مكتبها هي ابنة ذلك المتغطرس؟ كان ذلك أغرب ما سمعه.

تذكر حديث زميله الذي أخبره بهويتها آنذاك وهو يتلفت يمينًا ويسارًا مجددًا:

بس دي مش زي أبوها خالص، مش عارف إزاي دي بنته!

صمت زميله هنيهة ثم تابع بابتسامة خبيثة:

اسمها فريدة، وعلى فكرة انت هتخلص الشغل معاها المرة دي مش أنا...

كاد يسمع ضربات قلبه آنذاك. فرح وخائف، شعور متناقض سيطر عليه ولم يفق منه إلا عندما اقتربت من المجموعة التي هو أحد أفرادها ورسمت ابتسامة صادقة أسرته. تبخر كل ثباته الذي يعهده الناس عنه كمحامٍ، لكنه تماسك وبادلها المصافحة عندما مدت يدها بالتحية. قدمه زميله بالمكتب وقدمت هي نفسها وتركهما الأول لينهيا بعض التوقيعات الروتينية في مكتبها أعلى البناية. صعدا سويًا ودخلا إلى مكتبها المجاور لسلام ومكثا فيه لربع ساعة. تذكر يومها أنها لم تقل إلا اسمها الأول (فريدة) حتى انتهيا من الأمور الرسمية في العمل، وإذا لم يخبره زميله بهويتها الحقيقية لما تشكك أبدًا كونها ابنته. لم تقل (سلام) بل وقعت أسفل ورقة باسمها الثنائي، ليسألها دون تفكير وبصوت متقطع:

هو حضرتك بنت أستاذ سـ...؟

Visual Watermark

قاطعته وهي تهز رأسها إيجابًا في اقتضاب:

آه.

انكمش الحماس داخله لمعرفتها على الرغم من معرفته بالأمر من قبل، وظن أن ذلك الشعور انتقل لها وأنها قد قرأت ما يكنه له. تابعت فريدة وهي تشبك أصابعها في بعضهم البعض متسائلة في خوف:

هو أنا شبهه؟

فاجأه سؤالها، بل وكسر كل الحواجز الرسمية بينهما، وكأن تلك المحامية التي كانت تتعامل معه باحترافية قبل ثوانٍ أصبحت طفلة لا يتعدى عمرها سبع سنوات، وفضحها ذلك الخوف في عينيها من ارتباط اسمها باسمه. فهمت حينها أنها قد تكون تعاني مثلهم من غطرسته. اصطنع جهله لما وراء السؤال وقال لها مازحًا:

لا مفيش أي شبه في الشكل، أنا يا دوب عرفت إنك بنته من الإمضاء.

غمر عينيها ذكاء اجتماعي جعله يتأكد أنها فهمت هروبه من سؤالها، ذكاء جذبه منذ اللحظات الأولى. تكرر لقاءهما بعد تلك المرة خمس أو ست مرات بذريعة العمل وإنهاء بعض الاتفاقات، أحيانًا داخل المكتب ومرات خارجه، لا سيما في «كوستا» الذي كان شاهدًا على اعترافه لها بحقيقة مشاعره وأنه على أتم الاستعداد لخطبتها، خاصةً بعد أن صارحته هي الأخرى بأنها تكن له حبًا لم تعتد على وجوده.

يومان وكان داخل منزلها بعد أن حددت موعدًا مع سلام ليستقبل ما كان يتوقعه، والذي لم يستطع نسيانه حتى الآن.

استفاق من شعور الخيبة والصدمة اللذين أصاباه وانتبه إلى أنه لم يشعل سيجارته بعد. تحسس بنطاله بحثًا عن قداحته فتذكر أنه غفل عنها مع هاتفه بالداخل مع يارا. دخل مجددًا إلى «كوستا» ومشى بين الطاولات حتى وقف أمام الطاولة الأخيرة المنزوية ليلحظ قداحته على مقعده الجلدي. كاد يأخذها ويعود للخارج، لكن ما استوقفه هو أن هاتفه بين يدي زوجته. لاحظ أن وجهها ازداد حمرة وأن التوتر قد سيطر على أوصالها حتى أن الطاولة أمامها تهتز من فرط حركة قدميها أسفلها. ناولته هاتفه وأخذت بعدها تلملم أغراضها وهي تتمتم ببعض الكلمات كان من بينهن:

عمرك ما هتتعدل.

راوده الاستغراب فتفحص هاتفه بحثًا عن السبب الذي أزعجها وأثار غضبها هكذا، وجد رسالة نصية حديثة قد أرسلتها فريدة للتو ردًا على صورة ابنته المحذوفة:

هو انت في إسكندرية؟

يا للقدر! رسالة كهذه كان ينتظرها لسنوات عدة وعندما توقف عن التفكير حيالها وانتظارها، عاقبته بها فريدة في توقيت أصعب من مضمون الرسالة. نظر إلى زوجته مجددًا محاولًا أن يجمع كل كلمات التبرير والشرح أنها رسالة عابرة منها وأنهما لا يتحدثان من الأساس منذ زواجهما، لكنها باغتته بطلب وهي تهم بالرحيل وبصوت هادئ لم يعتد عليه، وهذا ما أفزعه:

طلقني.

جلست على الأرض كالقرفصاء ووضعت حاسبها الشخصي فوق فخذيها لتبحث عن أية معلومات حول هوية صاحب التعليق. فضلت أن تبحث عبر الحاسوب عنه بين التعليقات المكتوبة على البث المباشر بدلًا من هاتفها. استغرقت عشرين دقيقة وباء الأمر بالفشل، لا أثر للتعليق وكأنه لم يكتبه. جلس طارق بجوارها وسألها وهو يتثاءب:

هو انتِ بتدوري على إيه؟

أغلقت الحاسوب وهي تزفر يأسًا ثم استدارت لزوجها وأجابته:

Visual Watermark

لا مفيش، أجهز العشاء؟

قام طارق وقال وهو يشير إلى غرفة نومه يتثاءب بقوة:

لا أنا هنام ساعتين عشان أقوم فايق وأحضر كل حاجة لمعرض جدة.

قبّل رأس زوجته ثم مشى للأمام حتى وصل عند حافة غرفة نومها وسألها:

هتيجي؟

هزت رأسها وهي تستبعد فكرة النوم وتذرعت بوجود عمل لا بد من إنهائه حتى غاب عن ناظريها. فالتقطت هاتفها وتحركت صوب الشرفة، والتي ما إن فتحت بابها الموصد بقوة حتى لفحها هواء بارد ممزوج برائحة يود البحر أمامها. تحركت حافية القدمين وهبطت درجًا صغيرًا يفصل بين الشاليه وبين الرمال الصفراء حتى لامست أصابع قدميها المياه الزرقاء.

أجرت اتصالًا بصديقتها وهي تمشط بعينيها الأمواج المرتفعة على مد بصرها، وبالبد الخالية الأخرى كانت تضم معطفها إلى داخل جسدها حتى تحتمي به من الصقيع الشديد. سارت بمحاذاة الشاطئ الخالي من أي عابرين وهي تراقب غروب الشمس المختبئة وراء الضباب الكثيف حتى أجابتها صديقتها على الهاتف. رحبت بها داليا واستقبلت هي الأخرى ترحيبًا شديدًا من صديقتها المقربة، لتقول الأخيرة مازحة:

مش من عادتك يا دودو يعني تتصلي في التوقيت ده.

ضحكت داليا بصوت خافت وجلست فوق الرمال وهي تضم ركبتيها إلى صدرها. أخذت تعبث وتكتب فوق الرمال ثم تنهدت طويلًا وأعادت ناظريها صوب الأمواج وقالت في شرود:

في شيء شاغلني يا بسنت وعايزة أكلمك فيه.

همهمت بسنت مستنتجة وقالت:

فيه جديد بخصوص الحمل؟ الدكتور شخص التأخير ده بسبب إيه؟

لا مش الموضوع ده، أنا بس حاسة إني متراقبة.

شهقت بسنت وقالت في استنكار:

طارق بيراقبك!

ضحكت داليا على مضض وهي تنفي حدوث ذلك وقامت ببطء وسارت مجددًا بمحاذاة المياه المنحسرة أسفل قدميها بعيدًا عن شاليه ١٧. خلا الشاطئ وقت الغروب من أي حركة أو أنوار سوى من عدة قطط تداوم داليا على مداعبتها وتقديم الطعام لها. اقتربت القطط من قدميها وأخذت تحك رأسها وتدور حول داليا لتحنو الأخيرة فوق رؤوسهن. انتبهت داليا لبسنت التي لا زالت تتحدث إليها عبر الهاتف ثم قالت:

فيه شخص بيراقبني ومش عارفة أتصرف إزاي، خايفة لو قلت لطارق يتصرف بعصبية انتِ عارفاه.

سألتها بسنت عن مقصدها وأن توضح لها الأمر، لتتابع داليا بعد أن اعتدلت في وقوفها ونظرت لأمواج البحر:

بني آدم غريب وكلامه وتعبيرات وشه أغرب قابلني في المول النهارده.

عادي يا داليا مش أول مرة تقابلي معجبين وناس مركزة في كل تفاصيل حياتك، انتِ شخصية عامة، فوارد واحد من المعجبين دول يكون غريب الأطوار يعني.

سكتت داليا خوفًا، لتقول بسنت في فضول بعدما استشعرت أن الأمر مختلف:

طب احكيلي بالتفصيل!

توقفت داليا عن السير وتابعت مبررة لصديقتها أن الأمر هذه المرة مختلف، وسردت لها قصة إبراهيم قمر

Visual Watermark

منذ البداية حتى رفضها لطلبه ودعوته لاحتساء القهوة، وأن أمر ذلك الشخص الودود المحب لرواياتها انقلب رأسًا على عقب ليصبح شخصًا آخر مثيرًا للذعر.

برضه شايفاه موقف عابر عادي، فين المراقبة؟

استفزَّ داليا ما قالته بسنت، التي كانت تعد لنفسها كوبًا من الشاي بمنزلها، وصوت دوران الملعقة بالكوب الزجاجي جعل داليا تستنتج أن خطورة الأمر لم تصل لصديقتها، فقالت داليا بصوت يشوبه الانفعال البسيط:

لا، ما أنا بعد ما سبته افتكرت إن ليّا موقف معاه من شهور، وهو أنكر إننا شوفنا بعض قبل كده.

توقفت بسنت عن تقليب كوبها وطلبت منها أن تكمل ما بدأت سرده خاصة حيال تلك المقابلة الأولى التي لا تعلم عنها شيئًا.

تنهدت داليا طويلًا وأخبرتها أن الأمر يرجع لعام مضى عندما بدأت تعلم قيادة السيارات. تحركت حينذاك بسيارتها في سموحة المزدحمة، وفجأة تحرك صبي صغير لا يتعدى عمره الخمسة عشر عامًا بمزلاجه الخشبي أمام سيارتها محاولًا الابتعاد عن الاختناق المروري. نجح الصبي في ذلك بعد توقف داليا المفاجئ في منتصف الطريق ليصطدم بها ميكروباص من الخلف، وعزم سائقه أن يتشاجر مع داليا، التي نظرت إلى الخلف مذعورة وهي تضع يدها فوق فمها. أخذ السائق يعاين الأضرار التي تمثلت في تهشم الصاج ومصباحه الأمامي، دار حول سيارته مرة وهو يلعن داليا ويسبها، إلى أن تجمع المارة حوله وكان من بينهم ذلك الغريب إبراهيم قمر، والذي أكدت داليا لبسنت أنها لا تعلم من أين أتى حينها وكأن الأرض قد انشقت وأعلنت عن ظهوره.

انتهز السائق تجمع المارة حوله وذهب مباشرةً عبر النافذة التي كانت تقبع داليا بجوارها وكأن جسدها قد تسمر بالمقعد وأصبحت لا تقوى على الخروج ومواجهة السائق الذي لم يتوقف عن توجيه السباب لها تارة ولقيادة النساء للسيارات تارة أخرى. ما لبثت داليا أن فتحت حقيبتها وأخرجت نقودًا كي تُخرس الثائر أمامها، لكنها تفاجأت أنها لا تمتلك أي نقود ورقية، كارت مشتريات فقط. ارتفعت حولها أصوات أبواق السيارات منزعجة من وقوفها بمنتصف الطريق، ليزيد ذلك من حدة توترها، فقالت وهي تخرج مفاتيح سيارتها وتشير إلى كارت الفيزا بيدها الأخرى:

اللي حضرتك عايزه أنا هعملهولك، بس أنا هسحب فلوس عشان مش معايا كاش والله.

هدأ السائق وابتلع ريقه، لكن أصوات الأبواق لم تتوقف، فتدخل إبراهيم الذي كان يرتدي قبعته البيضاء بينهما وقال للسائق:

اتحرك بعربيتك عشان الطريق واقف.

أشار السائق إلى موضع قدميه ثم قال بحسم:

أنا مش هتحرك بعربيتي من هنا إلا لما هي تيجي تصلح الي عملته، وبعدين انت مالك؟ خليك في حالك.

أشار إبراهيم إلى نفسه وقال مبررًا:

أنا عندي ورشة عربيات بتاعتي، هصلحلك كل اللي انت عايزه من غير ولا مليم.

هدأت ثورة السائق ليعلن ذلك عن موافقته على العرض المقدم له دون أن يتفوه بكلمة واحدة، لا سيما بعد أن عاد إلى سيارته. اقترب إبراهيم برأسه من داليا التي لم تتوقف عن مراقبة ما يحدث في ذهول، وقال مبتسمًا بثقة:

اتحركي لبيتك يا فنانة خلاص.

تلك الثواني القليلة لم تعطِ الفرصة لداليا كي تشكر ذلك الغريب وتدخله لحل الأمر. قالت لصديقتها إنها تعجبت من إطلاقه لقب (فنانة) وكأنه يعرفها أو يعلم طبيعة عملها. الأبواق وسباب السائقين حولها جعلها تعيد مفاتيح السيارة إلى مكانها لتدير المقود، ولكن قبل أن تنطلق أخرجت هاتفها سريعًا من حقيبتها الجلدية

Visual Watermark

والتقطت صورة للميكروباص لتتأكد بعد ذلك من أن ذاك الغريب أوفى بوعده وأصلحها. رحلت مسرعة وهي تلملم شتات نفسها وتجمع قواها التي خارت، وآخر ما التقطته عيناها في مرآة السيارة الجانبية هي نظرات إبراهيم قمر الذي لا يزال يقف بجوار الميكروباص.

سألت بسنت في فضول:

انتِ وصلتِ للسواق وكلمتيه واتأكدتِ إن عربيته اتصلحت؟

الصراحة لا، اترددت كتير بس في الآخر خفت أكلمه، حاساه بلطجي، وبعدين الموضوع هياخد لفة طويلة عقبال ما أسأل حد أعرفه في المرور عن عنوانه أو رقمه.

همهمت بسنت وهي تفكر ثم سألت مجددًا:

طب أنتِ لسة معاكِ الصورة دي؟

بدأ الليل في فرض خيوطه على الأفق فقررت داليا أن تعود صوب الشاليه، ولكن استوقفها ما جعلها تغفل عن سؤال صديقتها. لمحت ضوءًا لمصباح صغير أو لهاتف على مدى بصرها في نهاية خط الرمال الموازي لمياه البحر، لم تستطع تحديد مصدره لكنها تراه لأول مرة.

أعادت صديقتها سؤالها لتخرج داليا من شرودها حول معرفة مصدر الضوء، فقالت داليا وهي تعبث بهاتفها بعد أن فتحت سماعة الهاتف الخارجية:

مش فاكرة، الموضوع من شهور طويلة بس خليكِ معايا، هدور.

أعطت داليا كامل انتباهها لقائمة الصور وأخذت تبحث بتركيز حتى وجدت مبتغاها، وأخبرت بسنت بنجاحها في أمر البحث لتقول الأخيرة:

ابعتيهالي واتساب.

طب استني أقرب من الشاليه عشان أقدر أبعتلك من الواي فاي، الشبكة مش أحسن حاجة.

عادت بأدراجها إلى الخلف وهي تدقق بعينيها تجاه شاشة هاتفها بحثًا عن الصورة، وما أن وجدتها حتى أرسلتها وعلقت قائلة:

مش فاهمة هستفاد إيه لما أبعتلك.

ضغطت زر الإرسال وحركت ناظريها إلى مصدر الضوء الخافت لتجده كما هو، لكن ما لفت انتباهها وجود قطة بيضاء لافتة الجمال غير القطط المألوفة شكلها بالمربع السكني الذي تقطن فيه، لا سيما عيونها الزرقاء اللامعة وسط الظلام. اقتربت داليا منها وحملتها إلى الأعلى برفق وعطف وهي تحنو على رقبتها. لم تحتَج إلى قدر من الذكاء لتستشف أنها قد هربت من منزل صاحبها وليست من قطط الشوارع، فعوضًا عن نظافة شعرها، لفت انتباه داليا جرس ذهبي مُعلق حول رقبتها. لاحظت أن القطة خائفة وتصدر مواءً خافتًا، فأخذت تمسح مجددًا على كل شعرها وقالت وهي تضمها إلى صدرها:

يا حبيبتي، تلاقي صحابك قالبين الدنيا عليكِ دلوقتي.

اطمأنت القطة لها وأخذت تمسح برأسها في كتف داليا. انتبهت الأخيرة إلى صوت بسنت التي لا زالت تتحدث عبر الهاتف:

مفيش حاجة غريبة في الصورة بتاعةتالميكروباص، الميكروباص والسواق هما بس اللي باينين، والراجل الغريب اللي قصدك عليه مش باين منه غير ضهره.

تنهدت بسنت ثم تابعت:

كان نفسي صورته تبقى أوضح من كده كنت زماني شغلتلك حس المخابرات بتاعي وجبتلك سيرته الذاتية كلها.

Visual Watermark

همهمت داليا مؤكدة على حديثها وهي لا زالت تولي القطة اهتمامها لتسأل بسنت:

انتِ معايا؟

أكدت أنها تستمع لصديقتها، لكن تلك القطة الجميلة التائهة هي ما شغلت بالها. قالت بسنت في حسم:

أنا شايفة إنك لازم تقولي لطارق، الموضوع ده مافيهوش هزار.

عادت بتركيزها إلى المكالمة بعدما سمعت اسم زوجها، وقبل أن تجيب صديقتها، لاحظت داليا أن الضوء في نهاية الخط الرملي قد تبدد، ولا شيء ينير الشاطئ سوى ضوء القمر المكتمل وبعض من المصابيح الخارجية للشاليه الخاص بها. رفعت حاجبيها في استغراب لثوانٍ ثم أردفت في حسم وهي تطمئن نفسها:

معتقدش إن فيه حاجة هتحصل تاني، أنا مكبرة الموضوع.

قالت بسنت في عطف:

داليا انتِ خايفة وبتكابري، أنا صاحبتك وعارفة إنك أجبن خلق الله.

ضحكت داليا بصوت خافت ثم طمأنت صديقتها أنها ستتعامل مع الأمر على قدر الحدث، وإذا طرأ جديد حول أمر هذا الغريب مرة أخرى فلن تتردد في إبلاغ زوجها. قالت داليا وهي تداعب القطة:

مش هتسيبي بورسعيد يومين تلاتة وتيجي تقضيهم معايا؟ طارق مسافر بعد كام يوم وهيقعد أسبوعين، ما تيجي؟

عادا إلى فندق كليوباترا بعدما هرولت يارا مسرعة إلى الخارج وهي تحمل ابنتهما فريدة، ليوقف علاء سيارة أجرة ويدلف هو إلى الكرسي بجوار السائق، وتمكث زوجته بالخلف. أثناء الطريق، تفحص هاتفه والرسالة غير المتوقع إرسالها ليجد أن صاحبة الرسالة قد حذفتها للتو. بالتأكيد تفهمت أن هذا الأمر ليس صحيحًا من الأساس، لكن بعد فوات الأوان، شرد في المرآة صوب زوجته المسكينة التي ترتدي قناع الكبرياء وترفض أن تطلق العنان لدموعها المتكومة في عينيها.

زوجته التي لا ذنب ولا حول لها سوى موافقتها على الزواج منه بعد شهور من انتهاء علاقته بفريدة. زيجة عادية أو صالونات، كان هذا هو كل الأمر له، لكنها وقعت في شباك حبه من المرة الأولى التي جلسا فيها سويًا بمنزلها بعدما رشحها له أحد أصدقائه. زيجة تمت في أربعة أشهر، وطوال الزواج شَغل نفسه بالعمل عشرين ساعة يوميًا حتى لا ينفضح أمر مشاعره حيال يارا التي ضجرت ابتعاده عنها، والتي خشي أن تدرك حقيقة مشاعره تجاه فريدة، التجربة الوحيدة والأشد قسوة، والتي حطمت كبرياءه.

اختلس نظرة إلى ابنته النائمة في حضن أمها بالمقعد الخلفي لسيارة الأجرة، وأدرك أنها لن تكون شفيعة بعد اليوم لصبر يارا عليه، وأن الأخيرة قد تملكها الغضب والقهر ووصل ذروته.

وصلا إلى الفندق وترجلا من سيارة الأجرة ثم استقلا المصعد داخل البناية صاعدين إلى غرفتهما بالدور السادس والمطلة على شاطئ البحر. لازمهما الصمت وهما يسيران في ردهة الفندق - التي يطبق الهدوء عليها - حتى وصلا أمام غرفتيهما. راقبها علاء في صمت وهي تجلس على السرير في حذر حتى لا تستيقظ صغيرتها، وما إن أودعتها حتى نظرت إلى زوجها وقالت في قوة وحسم:

طلقني.

أطلقت رصاصتها في منتصف جبهته وقامت لتبدل ملابسها في الحمام تاركة إياه غارقًا في تيهه. خلع معطفه بعدما شعر أن حرارته ارتفعت وألقاه على الأريكة، وشرد بين النافذة المطلة على البحر وبين ابنته، الملاك الصغير النائم، الذي لا يعرف أنه منذ اليوم سيذوق مرارة انفصال والديه.

اقترب من صغيرته بعينين فاضتا بالدموع عن آخرهما، وقبل كفها الصغير لتخرج الأم وتتمدد بجوار صغيرتها. حاول علاء مرارًا أن يقدم قربان الأسف والاعتذارات المصحوبة بالوعود لما هو قادم، لكنها سحبت الغطاء فوقها

Visual Watermark

وأردفت قائلة:

طفي النور بعد إذنك عشان فريدة ما تصحاش.

تقهقر إلى الخلف مصدومًا من رد فعلها، وكأنها تحولت إلى جماد مسخ نتاج أفعاله. فهم أنه قد جرح أنوثتها وعبث بكرامتها، وهذا جرح لن يُشفى.

أغلق مصدر الإضاءة في الغرفة لتصبح معتمة مثل طريق إصلاح ما قد أفسده في علاقتهما، عاد مهزومًا إلى الأريكة لينام فوقها وغلبه النعاس بعد ساعات من التفكير وسيل الذكريات الذي انقض عليه، تقلب يمينًا ويسارًا حتى شُل عقله وغاط في النوم.

استيقظ قبل الظهر بساعة واحدة ليجد أن الغرفة خالية عن بكرة أبيها وكأنه خرج من فجوة زمنية. تعجب من نفسه أنه لم يستشعر أية حركة حوله، فهم على الفور أن تلك المتمردة لم تنتظر أن يعيدها إلى القاهرة وجمعت كل أغراضها وكذلك أغراض ابنتهما ورحلت.

فرك عينيه من شدة الإرهاق وقبل أن يتوجه إلى الحمام تفحص هاتفه ليجد رسالة نصية منها فحواها:

أنا عند ماما، أرجو ورقتي توصلني هناك من غير شوشرة، كفاية إهانة لحد كده أرجوك.

انتهت من تجهيز الحقيبة الأولى العريضة ثم أخرجت حقيبة جلدية مربعة صغيرة ووضعت بها أغراض زوجها المهمة. كان آخرهم هاتفه وجواز سفره وتأشيرة السعودية لحضور معرض جدة للكتاب. عدلت من وضع شعرها الطويل المنسدل على كتفيها وهي تضع تلك الحقيبة الصغيرة على كتفها ليفاجئها بقبلة صغيرة خاطفة بين شفتيها لتغمض عينيها مبتسمة بعد أن احمرت وجنتاها. تحدثا قليلًا حول العمل ثم عن روايتها التي من المفترض أن تكون في طور مراجعتها الأخير لتطمئنه داليا أنها ستكون قد انتهت منها ما أن يعود إلى مصر خلال أسبوعين.

تفاجأ بالقطة تجلس داخل الحقيبة الجلدية الكبيرة وتفترشها نائمة على ظهرها. قهقه طارق ثم علق قائلًا:

شكله عايز يجي يشق طريقه في الخليج؟

قصدك شكلها.. قولتلك دي بنت.

حمل طارق القطة بين ذراعيه عاليًا وأخذ يداعبها ثم سأل في فضول:

معقول كل ده ومحدش سأل عليها؟

همت داليا بإغلاق الحقيبة الكبرى وهي تنفي حدوث ذلك ليضع زوجها القطة على السرير ويعاود سؤاله وهو يضع قليلًا من عطر (العود).

اختارتِ له اسم؟ قصدي ليها؟

ثم نظر إليها وأطلق دعابته:

جمالات حلو.

ضمت القطة إليها مجددًا بعد أن ضربت زوجها برفق في كتفه بأناملها وقالت:

لا طبعًا، اسمها كوكو خلاص.

أصدر هاتفها رنينًا قصيرًا ففتحته وقرأت الرسالة التي استقبلتها. تنحنحت ثم تابعت:

بصراحة فيه حاجة مهمة لازم أقولهالك، بسنت لسة مبلغاني حالًا على الواتساب إنها جايالي بكرة مش النهارده.

في أثناء ذلك استقبل اتصالًا من سائق خاص يُعلن وصوله بالقرب من الشاليه فحمل حقيبته الكبرى ومشى في تؤدة إلى الخارج وخلفه زوجته التي كانت تردد آيات من الذكر لتحصينه. ليلتفت إليها مندهشًا بعدما ذكرته

Visual Watermark

بأمه التي وافتها المنية منذ عشر أعوام. قال لها في عطف قبل أن يضع أغراضه داخل سيارة الأجرة:

جاية تقوليلي إنك هتباتِ لوحدك النهارده قبل ما أركب التاكسي؟ ليه بسنت أجلت لبكرة؟

أمسكت داليا بكف يده لتقضي على القلق داخله وداخلها أيضًا ثم أجابته:

الرواية مين يخلصها يا حبيبي؟ والله بسنت كانت حاجزة النهارده بس بتقول جوزها قعد يوم زيادة في إجازته فاضطرت تأجل حجزها لبكرة.

وهتقعدي لوحدك لحد بكرة؟ طب ما أوصلك لمامتك دلوقتي!

بلاش ماما، أنا كده مرتاحة، وبعدين كلها ساعات مافرقتش النهارده من بكرة مش هيحصلي حاجة.

تفهم من لمسة أصابعها أنها خائفة ولكن تصطنع التماسك، فقال وهو ينظر إلى عينيها في حنان:

هحاول أصدق إنك مش خايفة تقعدي لوحدك. خدي بالك من نفسك، وأنا هكلم عم غانم هو ومراته يجيلك كل شوية.

وضع الحقيبة في السيارة ثم سألها عن المدة التي ستقضيها بسنت في منزله برفقتها، لتجيبه وهي تعدل من وضع بذلته السوداء ورابطة عنقه بعد أن وضعت هرتها أرضًا فوق الرمال:

خمس أيام.

فتح باب السيارة الخلفي وسأل مجددًا:

وبعدها؟ أنا هقعد أسبوعين على الأقل.

بعد ما تمشي هرجع لماما حاضر.

سكتت لثوانٍ وهي تنظر موضع قدميها ثم تابعت:

هستغل وجودها هنا وهنروح سوا لدكتور شاطر في محطة الرمل، عايزة أتطمن أكتر وأعرف سبب التأخير إيه.

استغل انشغال السائق بمسح زجاج سيارته من قطرات المطر فربت فوق كتفها وقال:

تأخير إيه؟ إحنا يادوب بقالنا سنة، إزاي نقول البيبي اتأخر؟ امتى تفهمي إنك انتِ بس اللي فارقة معايا؟

نظرت إليه طويلًا وعلقت بصوت خافت:

بس أنا فارق معايا أكون أم.

هتبقى أحلى وأحن أم.

قال وهو يؤنب ضميره:

أنا مش عارف إزاي قادر أطاوعك وأسيبك كام ساعة لوحدك. لولا إني عارف ماما بتضغط على أعصابك إزاي كنت وديتك هناك من غير ما آخد إذنك.

احتضنها طويلًا وتنفس رائحتها حتى تكونت دموع في عينيه لم يعتَد عليها رغم سفره كثيرًا خارج البلاد. ودعها قائلًا وهو يشير إلى سيارته المنزوية بجوار مدخل الشاليه:

لما تروحي للدكتور طمنيني، أنا صحيح فولت ليكِ العربية امبارح، خلي بالك من نفسك.

ثم أشار إلى القطة وغمز:

ومن كوكو.

كوكي قولنا.

Visual Watermark

ضحك قبل أن يصعد إلى السيارة ثم أغلق الباب خلفه ليقي نفسه شر الهواء العاصف خارجها. نقرت زوجته فوق الزجاج ليضغط الزر الأوتوماتيكي فهبط تدريجيًا. قالت:

لا إله إلا الله.

قبّل يدها ثم قال:

محمد رسول الله.

أحكم إغلاق الزجاج مجددًا بعد أن لوح بيده مودعًا إياها ودخلت هي إلى الشاليه برفقة قطتها حيث الصالة التي كانت تضع بها حاسوبها الخاص. انهمكت في العمل لساعات حتى لا تشغل عقلها بأمر غياب زوجها وبأمر مكوثها وحيدة بالمنزل حتى حلول اليوم التالي. وتخلل تلك الساعات عدة زيارات من حارس العقار وزوجته ليساعداها ويطمئنا عليها.

تخطت الساعة منتصف الليل فتثاءبت وأغلقت حاسوبها بعد أن احتل الإرهاق جسدها كله لاسيما عينيها اللتين لا تقوى على فتحهما على الرغم من ارتدائها عوينات طبية.

حملت قطتها النائمة بين ذراعيها ومشت تجاه غرفة نومها وما لبثت أن وضعتها على السرير بجوارها وتمددت قدميها حتى انقطعت الكهرباء عن المنزل. تيبست أوصالها من الرعب وتثاقلت أنفاسها وضمت ذراعيها إلى صدرها غير مصدقة أن انقطاع الكهرباء قد نال من تلك المنطقة النائية الخالية من السكان.

شُل عقلها عن التفكير والتصرف حيال الأمر الذي يحدث للمرة الأولى، لكن بعد ثوانٍ من البكاء وترديد بعض الأذكار، هداها تفكيرها إلى الاتصال (بالعم غانم) القاطن في نهاية الشارع الملتصق بالشاليه خاصتها، والمسؤول عن نظافة المنطقة وغيرها من الأشياء المتعسرة. تحسست الكوميدينو الخشبي بجوارها حتى لامست ما تبحث عنه، أجرت اتصالًا بالعم غانم وهي تدعو الله أن يجيب في هذا الوقت المتأخر. لم تمر ثوانٍ قليلة حتى أجابها بصوت سيطر عليه النعاس:

خير يا أستاذة داليا؟

شرحت له أمر انقطاع الكهرباء وهي فاقدة السيطرة على أعصابها، ليقول وهو ينظر حولها:

الكهرباء شغالة حواليا آهه، مفيش حاجة.

صمت لبرهة ثم استطرد حاسمًا:

أقل من دقيقة وأبقى عندك.

هرول الرجل - الذي بالكاد أكمل عامه الرابع والستين - بعباءته من الدور الأرضي الذي يقطن فيه مع زوجته لحراسة فيلا خاصة، ولم تمر دقيقة من الزمن حتى سمعت داليا صوته خارج المنزل مناديًا إياها ليبث صوت هذا الرجل العجوز الطيب داخلها الطمأنينة. لفت انتباهه صوت حركة طفيف وعلى بعد مترات من الشاليه في الظلام الدامس الذي يعم المكان سوى من مصباح هاتفه البدائي.

كذب غانم حدسه ورجح أن هذا الصوت يرجع للرياح العاتية ليلًا التي تكاد أن تقذفه بعيدًا من خفة وزنه.

خرجت داليا متحسسة أثاث منزلها إلى أن قابلت غانم وشكرته على المجيء، قال لها وهو يتوجه إلى الصندوق المتحكم في التيار الكهربائي وسألها:

هي دي أول مرة تقطع؟

أومأت برأسها إيجابًا ففتح الصندوق الصغير ليجد أن المفتاح الخاص بعمل الكهرباء مغلقًا فرفعه إلى الأعلى لتضيء كل مصابيح الشاليه لاسيما الخارجية التي أعطت فرصة للعم غانم في فحص المكان جيدًا بعينيه بحثًا عن مصدر الصوت الذي سمعه منذ قليل. سألت داليا:

Visual Watermark

هو إيه السبب في القطع؟

لم ينتبه لسؤالها وبقي شاردًا في الفراغ حول الشاليه لتعيد سؤالها مجددًا:

عم غانم انت معايا؟ إيه نزل مفتاح الكهرباء؟

نظر إليها لبضع ثوانٍ بعدما استفاق من التيه ثم قال مبدلًا دفة الحوار بعيدًا عن شكه حتى لا يبث الخوف داخلها:

تلاقيه من الهوا، أو تيار زيادة خلاه يقفل توماتيكي.

ضمت شفتيها غير مقتنعة بما قاله فاقترح العجوز أن يمكث بجوار فيلا ١٧ خاصتها حتى الصباح فطمأنته أن صديقتها بسنت ستأتي من بورسعيد خلال ساعات وستؤنس وحدتها، اقترح وهو يشير إلى الشاليهات المتراصة بعيدًا في نهاية الممر الضيق المؤدي لشاليه ١٧:

بكرة الصبح هجبلك كلب حراسة، أمان برده.

ملوش لازمة يا عم غانم.

أشار العجوز إلى أريكة موضوعة في نهاية درج يفصل بين الرمال وبين داخل الشاليه ثم قال:

أنا هبات هنا على الكنبة لحد الفجر ما يطلع وصاحبتك تيجي.

أصرت ألا يفعل ذلك لاسيما في الطقس البارد حولهما وأقسمت أنها بخير وأنه لابد أن يعود إلى منزله، لكن باءت كل محاولاتها بالفشل بعدما ابتسم العجوز وقال:

انتِ فاكراني عجزت ولا إيه، دي شغلتي من وأنا ييجي عشر سنين.

غمرها إحساس الأمان فأخذت تلقي على مسامعه عبارات الثناء واقترحت عليه أن تعود للداخل لتأتيه بغطاء ثقيل لجسده ليوقفها بندائه:

لو عندك راديو صغير يا بنتي أشغله جنبي تبقى تمام التمام.

هزت رأسها إيجابًا على طلبه دون تردد وودت لو تقبل رأسه بعدما أعطاها في تلك الثواني ما حُرمت منه طيلة طفولتها ومراهقتها وشبابها، حنان وعطف الأب. دخلت إلى الشاليه بعدما أعاد إلى أذهانها حرمانها من الأبوة بعدما مات أبوها وهي في عمر الثالثة، لتأخذ أمها دورين في التربية ثم تتزوج من رجل آخر وهي في عمر العاشرة وهذا ما أوسع تلك الفجوة بينها وبين الأم. عانت كثيرًا من قسوته وشدته وبخله، لطالما وبختها الأم بسبب جدالها المتكرر معه حتى أنها في مرة من المرات وهي بمرحلة الثانوية العامة قد منعاها سويا من الخروج نهائيًا حتى لحضور بعض الدروس، وهذا ما أصابها باكتئاب حاد انفرجت تلك العقدة بعده، واعتذرت الأم لها كثيرًا بعدما شعرت أنها كادت أن تفقد ابنتها لاسيما بعد أن حذر الطبيب النفسي من تكرار نوبات الغضب وأعراضها ووصف لها أدوية تقلل من حدة تلك النوبات عندما يسيطر عليها الخوف والحزن.

لم يكن لداليا صديق طوال تلك المرحلة الصعبة سوى الكتابة، عبرت في مذكراتها عن مقتها الشديد لتحكم الرجال لاسيما زوج الأم، والذي لم يطِل زواجه بأمها سوى شهور بعد تلك الواقعة وانفصلا وانتهى مع كل ذلك المشاكل المتكررة بينها وبين الأم، لكنها لم تنسَ ما تجرعته في الماضي، وظلت الفجوة في الاتصال بينهما حتى ولو كانت بسيطة.

لعل هذا هو سبب إصرارها على الهروب بعيدًا لتحظى بمرافقة صديقتها، الكتابة. وهذا ما حققه لها الزواج من طارق. ولم يمنع زواج داليا أمها من أن تحصل على زيجة ثالثة من شاب يصغرها بخمسة عشر عامًا على الأقل، خطوة لم تحتَج لتنفيذها بعد زواج ابنتها الوحيدة إلا أيامًا معدودات، وكان الجميع على يقين من هدف ذلك الشاب اللعوب وما وراء زواجه من سيدة تكبره، وهو المال، ولكن هذا لم تكترث له الأم.

Visual Watermark

خرجت من شرودها بعد أن تكالبت عليها الأفكار والهواجس وأحضرت غطائين ثقيلين لهما وراديو صغير يعمل بالحجارة وسخان كهربائي صغير وبعض من الشاي والسكر وأعطتهم لغانم الذي شكرها وأخذ يفرد الغطاء فوقه لتضع هي بعض المياه بالسخان الكهربائي وهي تداعبه قائلة:

نشرب كوبايتين شاي مع بعض يا راجل يا طيب.

ابتسم العجوز الذي وضع جزءًا من الغطاء فوق رأسه وأذنيه وانفرجت تجاعيد وجهه وهو يراقبها أثناء تحضير كوبين من الشاي. أخذًا يتسامران ويتحاوران لساعات، تارة يتحدثان عن أبنائه الستة الذين يعملون بالقاهرة وعن آخرهم عزة بالتحديد التي بالكاد أكملت عامين، وتارة أخرى يتحدثان عن الكومباوند اللذين يمكثان فيه. لتسأله داليا في فضول:

صحيح يا عم غانم، من عشر أيام سمعنا أنا وطارق دوشة جامدة أول الشارع وعربية شرطة وإسعاف، إيه حصل؟

ارتشف العجوز من كوب الشاي الذي وضعه بين كفيه ثم سرد لها قصة الستة شباب الذين قاموا بتأجير أحد الشاليهات في الصف الموازي لها، وعن أن خمسة منهم قاموا بنصب كمين لسادسهم ووضعوا له منومًا بالشراب ليستيقظ ويجد نفسه مكبلًا بالحبال ومجردًا من هاتفه وأغراضه وبطاقات مشترياته. أخبرها أنهم تركوه بعدما انتهوا من سرقته ليقوم بالاتصال بالشرطة من أحد الهواتف العمومية ويقع مغشيًا عليه من الصدمة لتأتي سيارات الشرطة وتلقي القبض عليهم ويذهب ذلك المسكين إلى المستشفى للعلاج.

فُتح فاها فسألت والصدمة تحتل تقاسيم وجهها:

صحابه هما اللي عملوا فيه كده؟

آه يا ست هانم، أنا كنت واقف ساعتها ومش مصدق عيني، أمين الشرطة قال للولد قبل ما الإسعاف تنقله للمستشفى، استنضف ونقي صحابك، مش أي حد تصاحبه.

ارتشف رشفة أخرى ثم ختم حديثه قائلًا:

زمن عجيب والله!

ضمت داليا حاجبيها بعدما ازداد الفضول داخلها فسألت مجددًا:

بس من امتى فيه هنا فلل وشاليهات للإيجار؟ أنا وطارق متأكدين إن كل السكان هنا هم ملاك مش مستأجرين.

ثم تابعت وهي تضحك ساخرة:

ده إحنا جينا هنا عشان الأمان والخصوصية في النقطة دي.

أنهى غانم كوب الشاي وهو ينظر يمينًا ويسارًا من الإحراج بعدما شعر أنه قال ما لا يجب قوله. تنحنح ثم أجابها:

جشع يا ست هانم، بيني وبينك وكلام ما يطلعش بره عشان أكل عيشي.

اقترب منها برأسه التي يغمرها الغطاء ثم استطرد قائلًا:

شركة العقارات اللي بايعة لكم الشاليه غيرت اتفاقها مع كام شاليه من الشاليهات اللي في الناحية التانية ورجعولهم مقدم الحجز اللي حاجزين بيه، وخلوها إيجار للمصيفين أو للأفراح، بتكسبهم أكتر.

صمت برهة ثم أردف وهو يحاول أن يطمئنها:

بس دول شاليهين أو تلاتة بس، مش كتير.

أكملا دردشتهما لساعة أخرى حتى غط في النوم ومال برأسه على كتفه. فنهضت في حذر وأعادت الغطاء فوقه

Visual Watermark

وما لبثت أن تحركت للداخل حتى لازمتها علة في أوصالها تمنعها من الحركة. فهمت أن أطرافها لم تقوَ على الهواء الشديد حولها وأنها لم تكن من المفروض أن تبيت بالخارج لاسيما في هذا الوقت المتأخر.

استجمعت قواها واستندت على الحوائط وهي تصدر أنينًا مكتومًا من شدة الإرهاق حتى وصلت إلى سريرها وذهبت في النوم لساعتين حتى فاجأها رنين هاتفها من بسنت. أجابت على اتصال صديقتها التي أخبرتها أنها وصلت للتو في محطة قطار سيدي جابر بالإسكندرية وأنها ستستقل سيارة أجرة خاصة لتأتي حسب الموقع الذي أرسلته لها داليا. أنهت الأخيرة المكالمة ومشت للخارج لتطمئن على العم غانم بعدما حل الشروق.

وصلت أمام الأريكة بخطوات يصحبها التعب لتجد أن الرجل العجوز قد عاد إلى منزله وأغراضها التي أعارته إياها كما هي، وإذاعة القرآن الكريم تعمل في الأجواء وصوت محمد رفعت بتلاوته ينبعث منها، وهو ما أراح قلبها وهي تراقب السماء الصافية بعدما انقشع ضباب الأمس وهدأت الرياح. تمطّت وهي تستنشق يود البحر ثم عادت بأدراجها إلى الداخل ليقترب قطها منها وهو يحرك ذيله. فأحضرت له الطعام ثم دلفت إلى الحمام لتحظى ببعض الماء الساخن جدًا فوق جسدها ليزيل آثار برودة الأمس وما نهشته بجسدها.

انتهت من الاستحمام وبدلت ملابسها استعدادًا لاستقبال بسنت، صديقة السوشيال ميديا لفترة طالت عن الثلاثة عشر عامًا حتى قبل أن تنشر أول رواياتها. أعدت لنفسها كوبًا من النسكافيه وبعضًا من البسكويت وخرجت لتستمتع بالشمس الصافية خارج الشاليه حتى تأتي صديقتها.

لازمتها القطة في جلستها فوضعتها بجوارها على الأريكة فاستكانت ولامس برأسها الوسادة الموضوعة فوقها لتجدها قد ارتكزت على الأربع فجأة، ونظرت تجاه شاطئ البحر وهي تصدر مواءً عاليًا.

لم تكترث لها داليا وأخذت تتصفح هاتفها كما هي حتى جرت الهرة بعيدًا عن داليا وتحركت صوب ما كانت تنظر إليه. انتبهت داليا لذلك فوضعت هاتفها جانبًا لتلتقط عيناها من يتحرك تجاه الشاليه خاصتها من على بعد مئات الأمتار. لم تستطع تحديد هوية ذلك الشخص الغريب ولا جنسه لارتدائه قلنسوة رأس. أخذت عندها حذرها ووضعت حجابها الطويل فوق شعرها وهي تتهيأ لاستقبالها لاسيما بعد أن اقتربت تلك المجهولة وتأكدت داليا أنها فتاة ينسدل شعرها الطويل من خلف القلنسوة.

رسمت ابتسامة واسعة ما إن أصبحت على مقربة من داليا التي وقفت ورحبت بها على مضض، قالت هذه الغريبة التي حملت القطة بين ذراعيها بعدما اقتربت منها وأخذت تدور حول قدميها وهي لم تزل تحمل نفس الابتسامة:

كانت تايهة بقالها كتير وبدور عليه.

خلعت القلنسوة عن رأسها ثم مدت يدها تجاه داليا مصافحة إياها بحرارة:

أنا مها.

بادلتها داليا التحية ثم قالت مبررة بعد أن انفرجت ابتسامتها قليلًا:

أنا اللي قلبت الدنيا على صحابها، الحمد لله إنها جت هنا، ماتقلقيش أنا أخدت بالي منها كويس أوي.

تحولت وجه مها المبتسم إلى وجه يكسوه الفضول وهي تمشط بعينيها الشاليه كأنها تبحث عن شيء ما. قالت:

فرصة سعيدة يا...

تذكرت أنها لم تعرف نفسها فقالت في تلعثم:

آسفة، أنا داليا، داليا الصاوي.

أغمضت مها عينيها قليلًا محاولة التذكر ثم قالت مستنتجة:

Visual Watermark

انتِ داليا الكـ..

قاطعتها داليا ضاحكة:

أه أنا، اتفضلي نشرب قهوة مع بعض، مايصحش تقفي كده!

دلفت مها إلى صالة المنزل بعدما ألحّت صاحبته وهي تحرك ناظريها بين كل أثاثه وغرفه، أبدت إعجابها بديكور المنزل ثم تابعت بعدما انتبهت لداليا:

على فكرة أنا بيج فان لرواياتك، الصراحة الرجالة يستاهلوا كل خير.

تقبلت داليا مجاملتها في ترحاب واسع بعد أن قهقهت ثم سألت في فضول:

طب أي رواية عجبتك أكتر؟

أجابت مها في ارتباك:

كلهم، كلهم مش رواية معينة.

سألت عندئذٍ داليا ضيفتها عن نوع القهوة ومقدار السكر بها لتنهض بعدها ذاهبة إلى المطبخ الذي شُيد على النظام الأمريكي، يكشف ما بالصالة من زاوية معينة، لاسيما من يجلس على الأريكة التي تجلس فوقها مها. وضعت القليل من البن المصنوع خصيصًا لها ولزوجها وما لبثت أن وضعت قليلًا من السكر في الركوتين حتى لاحظت أن الضيفة لم تعد على مقعدها. وضعت البن الممزوج بالمياه والسكر فوق موقد الغاز ثم خرجت لتتفقد أمرها.

عادت داليا إلى حيث تجلس مها ببطء لتجدها قد غادرت صالتها فحركت ناظريها تجاه نافذة شفافة بجوار الباب لتجدها على الشرفة الخارجية، تتحدث عبر الهاتف وهي تدور يمينًا ويسارًا في اهتمام وتركيز صوب من تتحدث معه. انتبهت مها إلى العينين المراقبتين لها فأنهت المكالمة وعادت إلى الداخل ثم قالت:

أسوأ حاجة هنا الشبكة، كنت بشرح للراجل بتاع الديلفري المكان، على الله يجي ومايقولش خارج التغطية.

أكدت داليا على حديثها لكن ببالٍ مشغول وعقل يضع بعض الحذر تجاهها. سألت مها:

انتِ عايشة هنا لوحدك؟

ثم أشارت إلى خاتم الزيجة بيدها اليسرى واستطردت:

انتِ متجوزة صح؟ أنا شايفة دبلة؟

أومأت برأسها إيجابًا أنها متزوجة من الناشر طارق المهدي لكنه قد سافر بالأمس لحضور أحد المعارض بالسعودية، دعت لهما مها بالتوفيق لتعود داليا إلى المطبخ متذرعة بإكمال صنع القهوة. لم تمر دقيقتين حتى أحضرت فنجانين من القهوة ووضعتها أمامهما على المنضدة الموازية للأريكة. حملت مها القطة ووضعتها فوق ركبتيها وأخذت تمسح فوق شعرها ثم نظرت تجاه داليا وقالت:

مش عارفة أشكرك إزاي على اللي عملتيه مع القطة بتاعتي، هو أنا ممكن أغلس عليكِ في طلب صغير؟

أعطتها داليا شارة البدء دون تردد لتتابع وهي تشير إلى القطة:

الدراي فود خلص عندي، ممكن تسلفيني شوية لو عندك!

ذهبت على الفور إلى المطبخ بعد أن استقبلت طلبها بكل ترحاب وأخذت تجمع كل الطعام الخاص بالقطط التي اشترته منذ أيام ثم عبأته في حقيبة كبيرة وآبت إلى الصالة لتعطيه إلى مها التي كانت قد أنهت فنجان قهوتها، وهذا ما أثار اندهاش داليا لكنها لم تبدِ أي رد فعل حول ذلك منعًا لإحراجها. شكرتها مها كثيرًا وقبلتها من خدها ولم تمر ثوانٍ حتى سألت داليا:

Visual Watermark

هو انتِ قاعدة في شاليه كام؟

أشارت مها إلى الخلف بإصبعها وأخبرتها أن الشاليه يحمل رقم تسعة وأنه يقع في الجانب الموازي للشاليه الذي تمكث به داليا. رفعت الأخيرة فنجانها وتذوقته وسط ترقب مها لشفتي داليا المنفرجتين استعدادًا لرشف القليل حتى رن هاتف صاحبة المنزل، فأعادت فنجانها إلى حيث كان فوق الطاولة وأجابت على بسنت. أنهت المكالمة في عدة ثوانٍ بعدما اطمأنت أن صديقتها قد اقتربت من المنزل ثم التفتت إلى مها التي سألت في فضول ممزوج بالخوف:

هو انتِ مستنية حد؟

آه صاحبتي جاية من بورسعيد تقعد معايا كام يوم.

نظرت مها طويلًا إلى فنجان القهوة الممتلئ عن آخره ثم قالت معتذرة وهي تصطحب قطتها:

طيب أسيبك أنا، سوري ماكنتش أعرف.

قامت من فوق الأريكة وقبل أن تعود أدراجها إلى حيث أتت، انفلتت القطة من بين ذراعيها لتسقط فوق الطاولة وينسكب فنجان داليا - التي لم ترتشف منه بعد - أرضًا ويتهشم إلى قطع صغيرة. شهقت مها عاليًا ووضعت أصابعها فوق شفتيها من شدة الإحراج. أخذت تقدم كثيرًا من الاعتذارات وهي تحاول أن تلملم بقايا الفنجان لكن داليا رفضت ذلك مبتسمة، وفي لطف وأخبرتها أن الأمر بسيط لا يحتاج لكل ذلك الأسف.

نظفت داليا الفوضى ومسحت آثار القهوة في دقائق وعندما عادت إلى الصالة قدمت مها اعتذارها مرة أخرى ثم ختمت حديثها قائلة:

هستأذن أنا، خلينا نتقابل لما تفضي بس بلاش قهوة تاني.

ابتسمت داليا وخرجت برفقة مها حتى وصلتا إلى حافة الشاليه لتسأل الأولى في فضول وهي تشير إلى القطة:

صحيح، مقولتليش اسمها الحقيقي؟

سكتت مها لبضع ثوانٍ وهي ترفع قطها إلى الأعلى ثم أردفت مداعبة القطة:

تيمور.

لوحت بيدها مودعة داليا وآبت إلى منزلها تاركة داليا في شرود تام حول اسم القط الذي اختارته مها. كيف يكون اسمًا لذكر والهرة الضائعة كانت أنثى؟

دار داخلها هذا السؤال قبل أن تنفضه عن رأسها وتعود إلى المطبخ لتعد وجبة الإفطار لزائرتها التي أوشكت على الوصول لأول مرة بالشاليه حيث تزوجت. اعتادا على المقابلات بين كل عام والآخر حتى ولو لمرة واحدة، تارة بالإسكندرية وعام آخر ببورسعيد ولم تمنعهما المسافات من تكوين صداقة حميمة.

دقائق وكانت بسنت أمام الشاليه لتستقبلها داليا بترحاب واسع وقبلات وأحضان، وساعدتها في النهاية لحمل حقائبها الصغيرة إلى الداخل. أثنت هي الأخرى على ديكور المنزل وألوانه الهادئة المريحة. اعتذرت عن عدم قدومها بالأمس ثم قالت وهي تشير إلى الخارج:

كل حاجة بيرفكت هنا، بس الموقع وبُعده صعب أوي.

أمسكت خد صديقتها ثم أكملت مداعبة داليا:

هموت وأعرف قدرتك تباتي هنا إزاي لوحدك اليوم ده، ده أنا عارفة إنك أجبن حد عرفته.

ما انتِ كنتِ واعداني تيجي امبارح، أنا تقريبًا ماتمتش بسبب اللي حصل.

آسفة والله، أنا عشان أجيلك عملت المستحيل، اتخانقت أنا وجوزي خناقة كبيرة بسبب السفرية دي.

Visual Watermark

أشارت داليا إلى المطبخ حيث الإفطار الجاهز ثم أردفت قائلة:

نقطر سوا وتحكي لي، وأنا كمان هحكيلك، ده أنا عشت ليلة أسود من قرن الخروب.

لم يستغرق الأمر عدة أيام حتى كانا بمكتب المأذون الشرعي ليتما إجراءات الطلاق وسط حضور أبيها غير الموافق على القرار، وأمها التي أخذت وضع الاستعداد للانقضاض على علاء الذي اكتفى بالنظر طويلًا تجاه ابنته التي جلست بجوار أمها المتشحة بالسواد. لم يتوقف عن مراقبة ابنته في اهتمام وهي تأكل من سندويتشات قد أعدتها لها أمها. لم يستفِق من شروده إلا بيد ياسين التي ربتت على كتفه تشد أزره.

قال المأذون وهو ينظر إلى طرفي النزاع كلماته الروتينية محاولًا أن يعدل من دفتهما ويغير من قرارهما حول الطلاق وهو يشير إلى الابنة، لتخرج يارا عن صمتها وهي تشبك أصابعها في بعضهما البعض من التوتر:

نفذ بعد إذنك.

قرأ ياسين ما وراء حديثها وأنها لم تزل تحب صديقه وأن ذلك يرجع لفطرتها النسائية ليس إلا، فقال لها وهو يشير إلى الخارج:

يارا، ممكن دقيقة بس بره المكتب بعد إذنك؟

وافقت يارا وتبعته إلى الخارج وسط نظرات علاء المملوءة بالرجاء والتودد لصديقه كي ينهي هذا الخلاف. تنحنح ياسين ثم قال ليارا التي كانت تنظر إلى موضع قدميها:

يعني ينفع تنهي كل حاجة بسهولة كده؟ مش هقولك عشان فريدة، عشانك انتِ وعشرتك مع علاء، ما تستاهلش فرصة؟

هو اللي ضيع كل حاجة.

عشان اسم اختاره لحد قديم كان في حياته، ما نفتكرش أي شيء كويس عمله! أنا مش بقول إنه مش غلطان، بس ماتقسيش عليه يا يارا، لأن الدنيا قست على علاء كتير قبلك، ماتكمليش عليه انتِ كمان.

نظرت إلى عيني ياسين وقالت في غضب:

يا ريت اسم بس، هو مانساش حاجة بينهم أصلًا، والرسالة اللي جات له دي أكبر دليل على كلامي.

أخذ ياسين يبرر موقف صديقه ويشرح لها أنها رسالة عابرة قد أرسلتها حبيبته السابقة عندما رأت صورة لابنته بالإسكندرية وأنه لم تكن بينهما أية محادثات. خرج علاء من المكتب وتبعهما إلى الخارج ليقول ياسين وهو يشير إلى صديقه:

افتكري له أي حاجة حلوة عشان خاطر فريدة.

ضحكت يارا ساخرة ثم قالت في انفعال وهي تشير إلى زوجها:

أي فريدة فيهم؟ بنتي ولا حبيبته؟

دمعت عيني يارا واستطردت في حزن وهي توجه حديثها إلى ياسين هذه المرة:

أنا بس اللي واجعني إنه ماقالش من البداية ولا حكى لي أي شيء عن تجربته، وماعرفتش إلا بالصدفة وبعد ما ولدت فريدة بشهور.

قال علاء مستنكرًا ولكن بصوت جاهد أن يحافظ على هدوءه:

عايزاني أقولك إيه؟ أنا كنت بحب واحدة اسمها فريدة ولسة مش قادر أنساها. أنا أول مرة في حياتي أشوف حد يطلب الطلاق عشان فيه طرف تاني مش قادر ينسى تجربة عدت في حياته، ويا ريته بيحاول يفتحها.

خبطته على كتفه بعدما استفزها حديثه وقالت قبل أن تعود للداخل:

Visual Watermark

لا تروح تتجوز حد تاني وانت لسة مانسيتش وتظلمه وكمان تسمي بنتك على اسمها. عن إذنك، الموضوع خلص يا ياسين.

زفر علاء يائسًا ووضع رأسه بين كفيه بعدما غادرت يارا ليقول ياسين معاتبًا صديقه:

المواضيع اللي زي دي مابتخلصش بالمنطق مع الستات يا علاء. حتى لو كنت مش غلطان، هي محتاجة يترد لها كرامتها وبطريقتها هي مش بطريقتك انت. هو أنا اللي هقولك؟

أخرج رأسه المنتكسة من بين أصابعه المضمومة ثم قال بصوت ضعيف:

وأنا مابقتش قادر أصلح أي شيء، تخرب زي ما تخرب.

سأله ياسين:

هترمي الفوطة وتستلم يعني؟

أنا مليش حق أحارب هنا من الأساس عشان أستلسم.

حرك علاء عينيه المملوءتين بالدموع يمينًا ويسارًا والتي بدأت في خيانته وانهمرت على خديه. قال وهو يرمش بجفنيه كثيرًا محاولًا السيطرة عليها:

مش صعبان عليا غير فريدة.

ربت على كتف صديقه وقبل أن يكمل حديثه خرج مساعد المأذون الشاب الصغير يطلب من علاء الإسراع للدخول وإنهاء الإجراءات. مرت تلك الدقائق بالداخل على علاء كأنها بضع لحظات لم يتوقف خلالها عن إرسال الكثير من الاستجداء ممزوجًا ببعض الكبرياء وهو يبدل بصره بين زوجته وفريدة. كان يتمنى لو يحتضن صغيرته ذات العينين البريئتين ويهرب بها بعيدًا عنهم، لكنه اكتفى بوضع قبلة فوق جبينها وخدها عندما انتهيا من الإجراءات ورحلت طليقته.

قالت الأخيرة بعد أن حملت صغيرتها ووقفت على حافة الباب استعدادًا للرحيل:

فريدة طبعًا هتفضل معايا، ليك مرة كل أسبوعين تشوف بنتك، مقدرش أمنعك، لكن أنا وبنتي مش هنسيب شقتنا، ده حقي.

أومأ برأسه في رضا وكأنه لا يعبأ بالشقة أو محتوياتها وقال:

من غير ما تقولي، أنا هشوف لي مكان تاني، الشقة شقتك انتِ وفريدة.

رُسم الكثير من التعاطف على وجهها لكنها خبأته واستدارت ومشت ناحية المصعد بجوار مكتب المأذون بعد أن قالت باقتضاب «شكرًا». سأله ياسين باهتمام:

انت هتبات فين؟

ضمَّ علاء شفتيه معلنًا أنه لم يضع خطة بديلة، فأردف ياسين وهو يمشي بمحاذاة صديقه قائلًا بحسم:

تعالى بات معايا الأسبوع ده لحد ما تعرف هتعمل إيه يا صاحبي، كده كده الجماعة مسافرين لأمها هي والعيال.

لم يوافق علاء ولم يرفض، وكأن عقله قد شُلَّ عن التفكير والتخطيط وتسمرت قدماه بالردهة المؤدية للمكتب وهو يودع ابنته وأمها بنظرة أخيرة بعد أن هبط بهما المصعد وغابا عن الأبصار.

Visual Watermark

علت الموسيقى وامتزجت بصوت تجهيزه للبودرة البيضاء فوق طاولته الزجاجية. انتهى من فردها ببطاقة حسابه البنكي، ثم طأطأ رقبته وبشهيق واحد كان قد استقبل كل كمية الكوكايين داخل أنفه ليستقيم رأسه وظهره وهو يشهق عاليًا عدة مرات منتشيًا بآثارها داخله.

غنى وردد (fly me to the moon) التي دوت ألحانها بالشاليه الذي يمكث به وهو مغمض العينين ورافعًا يديه الاثنين عاليا مستسلما ليود البحر الذي تخلل صدره ليزيد من إثارته فيقف في شرفته بالدور الأول ويستند على الحافة الحديدية الفاصلة بين الشرفة وبين الرمال ومياه البحر أمامه. تأمل القمر وضوءه وانعكاسه الأخير على مياه شاطئ سيدي كرير ليلًا لثوانٍ ثم عاد إلى غرفة نومه التي يفصل بينها وبين الشرفة باب زجاجي شفاف يستطيع من خلاله اختلاس نظرة إلى مفاتن المرأة العارية على سريره بالداخل.

وقف أمام حافة السرير وهو يراقب الفتاة العشرينية التي تعبث بهاتفها في ملل والتي لا ترتدي إلا حمالة صدر وتخفي نصفها السفلي العاري تمامًا أسفل غطاء ثقيل. قال وهو يخرج سيجارة ملفوفة يدويًا من درج كوميدينو بجوار السرير:

اضربي دي.

قهقه عاليا وهو يفرك منخاره واستطرد قائلًا:

عارف ملكيش في الكوكو.

أبعدت الفتاة السيجارة بعيدًا وقالت في حنق:

ولا ليا في الحشيش.

رمى السيجارة بعيدًا وجلس على حافة السرير ناظرًا للسقف وهو يهز قدميه في فرط حركة مما زاد التوتر داخلها لكنها سكتت خوفًا من رد فعله غير المتوقع. نظر إليها فجأة ثم قال وهو يشير إلى الحمام متحسسًا فخذها من أسفل الغطاء:

هو انتِ قولتيلها اسمك إيه لما سألتك عنه؟

احمرَّ وجهها جراء سؤاله خصوصًا أنه لم يتوقف عن مداعبة قدميها. قالت في تلعثم:

مها.

مها، حلو مها برده، شاطرة يا مارلين.

أخرج يده من تحت الغطاء ثم أخذ يداعب رقبتها بأنامله وشفتيها تارة أخرى حتى خرجت عن سكوتها وسألت:

هو انت هتعمل معاها إيه؟

جحظت عيناه ما إن سمع سؤالها ثم ابتسم ابتسامة صفراء فجأة قبل أن يزيح عنها الغطاء ليكشف عن موضع شهوتها وقال وهو يشير برأسه إلى الحمام:

هناخد دش سوا.

فهمت ما يرمي إليه فسارت أمامه ليتفحص مفاتنها العارية حتى دخلا إلى الحمام سويًا. قضيا دقائق أسفل المياه الساخنة حتى استمع لرنين هاتفه ورنين جرس الباب سويًا. أشار لها وهو لا يزال أسفل المياه:

الولا بتاع ديلفري السمك وصل، حاسبيه وتعالي تاني.

هبطت مارلين الدرج بسرعة وهي تحكم إغلاق الروب وتحاول قدر الإمكان أن تجفف شعرها بكلتا يديها. فتحت الباب للشاب الثلاثيني واستلمت منه الطعام ثم صعدت إلى الدور العلوي مرة أخرى ونادت من خلف باب الحمام:

Visual Watermark

عادل، هو انت هتحاسبه كاش؟

أخرج رأسه من أسفل المياه الساخنة وأجابها:

مطعم بدائي ابن *** مش بيقبل فيزا، فيه كاش في محفظتي في جيب البنطلون.

تحركت مسرعة تجاه بنطاله الملقى بجوار السرير وأخرجت خمس ورقات من فئة المائتين جنيه وأثناء ذلك سقطت بطاقة هوية صاحب المحفظة لتكشف عن اسمه. قرأت الاسم بعينين متسعتين عن آخرهما (إبراهيم محمد أحمد سعيد قمر) ولم يخرجها عن شرودها سوى صوت نداءه مرة أخرى قائلًا:

لقيتِ الكاش؟

آه لقيت.

أجابته بصوت سيطرت فيه على خوفها وتوترها ثم أعادت بطاقة الهوية إلى حيث كانت ببنطاله ونزلت الدرج مرة أخرى وأعطت للشاب ما يزيد بقليل عن حسابه ثم انضمت إلى إبراهيم وتابعا ما كانا يفعلانه حتى قضيا شهوتهما وخرجا ليتناولا الأسماك سويًا. أعدت مارلين الطعام لهما على السفرة بالصالة بينما انشغل هو بتجفيف شعر رأسه الطويل، سألها:

لقيتِ كاش كفاية؟

أكدت له أن النقود كانت كافية، فلفت نظره بنطاله الملقى على حافة السرير، فتحرك إليه في تؤدة، وفتش في جيبه الخلفي، وتفحص محفظته وبطاقة هويته، ثم أعادها إلى حيث كانت، ورمق مارلين بنظرة خاطفة كانت هي الأخرى تختلس نظرة إليه بين الحين والآخر في خوف.

انتهى من تجفيف شعره وانضم إليها وبدآ في تناول العشاء معًا. توقفت عن قضم الكابوريا، وشردت حياله طويلًا، فانتبه إلى أمرها وقال غامزًا:

مابتاكليش ليه؟ انتِ فاكرانا خلصنا؟ إحنا لسة هنكمل.

نفضت فكرة سؤاله عن قصة اسمه الحقيقي من رأسها وبدأت في تناول الطعام هي الأخرى، حتى سألها:

ماقلتش صاحبتها اللي من بورسعيد هتقعد كام يوم معاها؟

نفت علمها بتلك المعلومة وهي تهز رأسها، ليسألها مجددًا وهو يلتهم من طبق الأرز أمامه:

انتِ قولتيلها على رقم الشاليه اللي قاعدة فيه؟

سكتت فحرك ناظريه إليها ليستشف الإجابة دون أن تتفوه بكلمة، فابتسم دون أن يكشف عن أسنانه وأكل ملعقة أخيرة من الأرز، ثم التقط منديلًا من فوق الطاولة وأخذ يمسح كلا كفيه وفمه، والتف حول منضدة الطعام وسط ترقبها لما سيفعله.

مشى صوب المكتبة التي كان بها أكثر من كتاب بالأدب الروسي والإنجليزي والعربي، ورواية من روايات داليا التي تقبع فوق رف بمنتصف المكتبة. أخذ يعدل من وضع الكتب بزاوية لم تسمح لمارلين برؤية ما يفعل بالتحديد. علت أصوات ألحان فرنسية بالشاليه، فأخذ يتمايل برأسه ويغمض عينيه أثناء عودته إلى طاولة الطعام. ضغط على رقبتها بقوة للخلف وقال بصوت رتيب:

ليه بتجودي بروح أمك؟ أنا مش قايلك تقولي إيه ومانقوليش إيه؟

شهقت عاليًا وهي تحاول التقاط أنفاسها وإبعاد أصابعه التي تحكم على رقبتها وتمنع الهواء من الوصول لرئتيها. قالت بصعوبة وبصوت متحشرج ومتقطع:

والله غصب عني، اتفاجئت بالسؤال صدقني، هموت، سيبني.

أبعد يده عنها ثم ارتكز بساعده على المقعد الذي تجلس فوقه ونظر داخل عينيها وقال بصوت رتيب:

Visual Watermark

أنا اسمي إيه؟

دمعت عيناها وسكتت، فأعاد السؤال مرة أخرى على مسامعها لتجيب بصوت خافت:

عادل.

تحسس وجهها بأنامله واستطرد قائلًا:

حلو، كده انتِ نجحتِ في الاختبار. عايزك تنسي خالص الاسم اللي شوفتيه في البطاقة وأنا هعتبر إنك ماتطفلتيش. عشان عارفة لو مانسيتيش الاسم هعملك إيه؟

ارتكزت مارلين على المنضدة وحاولت النهوض بصعوبة قبل أن تقول:

أنا عايزة أمشي، الأسبوع اللي اتفقنا عليه نقعده هنا خلص.

عاد للخلف وتركها تلملم ملابسها وأغراضها ليشير إلى رف بين عدة رفوف في المكتبة التي تقبع أمام السرير وقال:

طب ماتستعجليش، عايز أوريكِ حاجة.

التقط ريموت التحكم من فوق المنضدة ثم ضغط على عدة أزرار تجاه شاشة التلفاز حتى ظهر مقطع مصور لمارلين وإبراهيم وهما يمارسان الحميمية فوق سرير الأخير. جلست مارلين على حافة السرير من هول صدمتها ليشغل أكثر من مقطع في أكثر من توقيت مختلف يوثق فيه ممارستهما للجنس معًا. تارة كان يظهر ببعض تلك المقاطع مرتديًا قناعًا أسود وتارة أخرى كان يزيحه عن رأسه ووجهه. قال وهو يشير للكاميرا المخبأة بين الكتب:

عارفة الفيديوهات دي لو نزلت على موقع واحد بس هتنتشر أسرع من الترينـد. جودة كويسة أوي، الشباب هتتبسط، بس أخوكِ مش هيتبسط لما يعرف إن أخته شغالة مومس مش هاوس كيبنج في شرم الشيخ.

انهالت على أذنه عبارات الرجاء وطلب الرحمة لكنه أشعل سيجارة محشوة بالحشيش كانت قد رفضت مارلين أن تدخنها، ثم جلس على حافة السرير وهو لا زال يستقبل منها وعودًا وعروضًا لتنفيذ ما يريد. استقبل كل ذلك وهو في شرود تام حول ماضيه حتى اغرورقت عيناه بقليل من الدموع، حافظًا ألا تراها فتاة الليل. نظر إليها ثم قال في غل:

كلكم خاينين ولاد مـ*****

أجابته وهي تنحب عاليًا:

استر عليا والنبي، واللي انت عايزه هعملهولك.

انشغل لدقيقة يزفر هواء السيجارة خارجًا حتى انتهى منها، ثم أشار بسبابته وتابع في حسم:

نسمع الكلام اللي أقوله ويتنفذ بالحرف، مش عايز أي تغيير في أي حاجة أقولهالك ده لو كنتِ عايزاني أسيبك تمشي!

بكت بصوت عالٍ وهي تشهق كالأطفال ثم بررت:

أنا نفذت كل اللي قولت عليه يا باشا والله وحطيت المنوم في القهوة، بس لما عرفت إن فيه حد جايلها خفت وقلبت القهوة، هعمل إيه تاني؟

أمسكت يده عنوة ثم قبلتها واستطردت وهي تستجديه:

بالله عليك سيبني أمشي وأنا والله مش هقول لحد إننا اتقابلنا ولا أي حاجة طلبتها مني.

توقفت عن البكاء بعد أن هداها تفكيرها لخطة قد تنال رضاه وقالت وهي تجفف دموعها:

طب هقولك يا باشا، لو مزاجك جايبك لواحدة زي داليا وهي رافضة، أنا ممكن دلوقتي أجبلك زيها بس انت

Visual Watermark

ارضى والنبي، ارضى وسيبني أمشي.

قام من مكانه ثم أدار الكاميرا التي كانت على وضع الاستعداد وسط ترقبها لما سيحدث، وهي تبتلع ريقها ثم فتح محفظة نقوده ليخرج منها عشر ورقات من فئة المائتين جنيه، ثم ألقى النقود تجاه وجهها لتتبعثر الورقات أرضًا وفوق السرير وبين ثدييها. أمسك رقبتها وأعادها لمقدمة السرير، قال:

أنا مترفضش.

تابع وهو يخلع الروب ليصبح كما ولدته أمه:

وأنا اللي أقول امتى دورك ينتهي.

مال ناحية الكوميدينو والتقط قرصًا منشطًا وابتلعه، ثم أشار إلى النقود حولها وأكمل ما يقوله وهو يمزق ما تبقى من ملابسها في عنف:

ده تمنك.

بكت عاليًا في حرقة وهي تستسلم للراقد فوقها الذي اختلس نظرة انتصار تجاه الكاميرا المثبتة عليهما وهو يلتهم طريدته.

https://t.me/riwayat2025 روايات وكتب عربية وعالمية

Visual Watermark

انقضت ثلاثة أيام بين الصديقتين، تارة كانتا يستمتعان بالأجواء المحيطة ويقيمان حفلات الشواء الممزوجة بأحاديث طويلة عن حياة بسنت وابنتيها الصغيرتين اللتين أودعتهما عند أمها قبل السفر كفرصة لالتقاط أنفاسها من عناء الأمومة ودورها كزوجة، لاسيما أنها هي وحسن زوجها ليسا على قدر كافٍ من التفاهم، لكن ما يجمعهما هما الطفلتان وأنه قد نشب بينهما شجار ليس هينًا قبل يوم واحد من زيارتها للإسكندرية بسبب فكرة السفر التي يرفضها الزوج، ولولا تدخل أم بسنت واصطحاب ابنتيها إلى منزلها ما كانت تسنح لها الفرصة للمجيء، والمكوث خمسة أيام كما أمرها.

تحدثتا حول ذلك الغريب الذي ضايق داليا مؤخرًا، لكن حديثهما حول هذا الأمر كان هزليًا ولم يطُل، صبّت داليا كل اهتمامها في أحاديثها عن تأخر الحمل وعن ضرورة ذهابها إلى الطبيب، وعن أيضًا روايتها القادمة التي توشك على الانتهاء منها.

وتارة أخرى كانتا تدلفان إلى سيارة طارق ويتنزهان بها في أنحاء الإسكندرية كلها والساحل الشمالي، اتفقتا على استغلال اليوم الأخير - قبل عودة بسنت إلى بورسعيد - في قطع زيارة إلى طبيب النساء والتوليد الأشهر بمحطة الرمل بالإسكندرية، حجزتا موعدًا معه ثم ذهبتا بالسيارة سويًا حتى وصلا العيادة، وهناك أصرت بسنت على مرافقة صديقتها بالداخل، استقبلهما الطبيب بابتسامة واسعة لتشير بسنت إلى صديقتها العابس وجهها قلقًا وقالت وهي تعطيه نتائج التحاليل الورقية:

داليا متجوزة من سنة يا دكتور والتحاليل كلها سليمة، لكن الحمل لسة متأخر.

لم تنطفئ ابتسامة الطبيب العجوز أمامها وهو يتفحص نتيجة التحاليل بين كفيه، سأل عن تاريخ إجراء تلك التحاليل لتجيبه بسنت:

لسة امبارح، وأنا عارفة إن حضرتك هتطلب كل التحاليل دي عشان كده اقترحت على داليا نعملها امبارح ونيجي بيها ومنضيعش وقت.

ضحك الطبيب وعلق قائلًا:

ما شاء الله استغليتِ كل خبرتك.

ضحكتا بسنت وداليا سويًا لينظر الطبيب إلى الأخيرة في اهتمام ويسأل عدة أسئلة كان آخرهن:

هل فيه أي أدوية اكتئاب أو غيره بتاخديها أو كنتِ بتاخديها؟

ظلت داليا صامتة وفركت أصابعها ببعضهما البعض وهي تختلس نظرة إلى صديقتها وإلى الطبيب ثم أجابته:

آه، كنت باخد أدوية اكتئاب حاد لمدة ثلاث سنوات بشكل منتظم، لكن لما أثرت على تركيزي ونومي كنت بقلل منها تدريجيًا.

خلع عويناته الطبية ثم سألها مجددًا:

بقالك قد إيه بالظبط مابتاخديش الأدوية؟ وهل التوقف ده كان بأمر من طبيب ولا من نفسك؟

ضمت حاجبيها محاولة التذكر ثم قالت:

وقفتها نهائيًا من حوالي ست سنين من غير ما أرجع لدكتور، لكن بين كل فترة والتانية كنت باخد جرعة صغيرة لما أعراض الاكتئاب بتسيطر، وده مابيحصلش إلا قليل ووقت صدمات وزعل، يعني وقت نوبات تعب معينة لما بيشد عليا.

شعرت بسنت أن القلق يغمر صديقتها فسألت الطبيب في اهتمام:

هي الأدوية دي ليها تأثير يا دكتور؟

ابتسم الطبيب مجددًا محاولًا بث الطمأنينة داخلهما ثم أعاد عويناته مجددًا والتقط ورقة من فوق مكتبه

Visual Watermark

ونقش فوقها بخط متعرج قائلًا:

لا، بسيطة إن شاء الله، هطلب تحليل تاني عشان نتأكد من تأثير العلاج على التبويض عندها.

نظرتا إلى بعضهما البعض في ريبة ليتابع الطبيب:

متقلقوش أوي كده، التحليل عشان نعرف كمية الدوا جوه جسمها بس، ودي مش أول حالة يتأخر فيها الحمل بسبب الأدوية.

فرك عينيه ورجع بظهره إلى المقعد ثم أردف قائلًا:

اعملي التحليل وسلمي نتيجته بكرة في الريسبشن أو على الواتساب، وهيكون فيه متابعة معاكِ تاني خلال الأسبوع ده، هتجيلي هنا.

اختلست نظرة إلى بسنت ثم أومأت برأسها في قلق لا زال يسيطر على معالم وجهها، خرجتا سويًا ثم استقلتا السيارة وقادتها بسنت هذه المرة بعدما ألحت عليها، لا سيما عندما لاحظت أن الشرود يسكن عيني داليا. سألت الأخيرة في قنوط:

تفتكري فيه أمل؟

طول ما ربنا موجود فيه أمل، إيه يا دودو، معرفش عنك اليأس، ثم إنه قال حاجة بسيطة وهتتظبط.

سكتت داليا وأطبق الصمت داخل السيارة لدقائق حتى سألت بسنت في اهتمام وهي لا زالت تنظر عبر زجاج السيارة الأمامي:

هتقعدي لوحدك لحد استشارة الدكتور؟ أنا شايفة إنك ترجعي عند ماما.

حركت ناظريها هذه المرة يمينًا وتابعت في أسف:

والله لو مش حاجزة بكرة كنت استنيت معاكِ، بس انتِ عارفة البنات ميتسابوش أكتر من كده لوحدهم.

هزت داليا رأسها متفهمة لتستطرد بسنت متسائلة:

لسة برده مش قادرة تقعدي عند ماما؟

أغمضت داليا عينيها في حزن بعدما دوت الكلمة الأخيرة في حديث صديقتها داخل رأسها، ودّت لو تعبر عن استيائها ونفورها من السبب الأكبر حيال اكتئابها، وودّت لو تعبر عن أسفها وحزنها أيضًا لابتعادها عن أمها.

تراكمت الذكريات السيئة واغتالت رأسها مجددًا لتنظر إلى الأسفلت والأرصفة المتسارعة عبر النافذة التي تقبع على يمينها. خرجت عن صمتها وسألت بصوت خافت:

هو أنا قاسية صح؟

ربتت صديقتها فوق كتفها وقالت في عطف:

كفاية جلد ذات، ارحمي نفسك، اللي شوفتيه مش شوية، بس برده يا حبيبتي دي أمك وليها حق عليكِ.

ابتسمت داليا ابتسامة هادئة لم تظهر فيها أسنانها، تحمل داخلها كثيرًا من الرضا حيال حديث الوحيدة التي تكترث لأمرها بعد زوجها. أردفت داليا قائلة:

كان نفسي نكون صحاب من زمان وفي مدينة واحدة، كانت حاجات كتير اتغيرت.

عبثت تلك الكلمات بمشاعر بسنت التي كادت أن تدمع عينيها فغيرت دفة الحوار وهي تضغط على زر الكاسيت ليعلن عن صوت محمد منير بالسيارة: «وحدي لكن ونسان وماشي كده، ببتعد، معرفش أو بقترب».

انشغلا بكثير من الأحاديث التي غلب عليها مزاح بسنت حتى وصلا إلى الفيلا بعدما استخدمت الأخيرة خرائط جوجل. دلفا سويًا إلى الصالة بعدما وضعا السيارة في مرأب صغير خلف الشاليه وقضيا الليلة الأخيرة سويًا

Visual Watermark

حتى الصباح دون أن يخلدا إلى النوم. وما أن أعلنت الساعة عن السادسة صباحًا وأشرقت الشمس حتى قالت بسنت وهي تمسك بهاتفها:

وانتِ بتوصليني للقطر، ابقى ادخلي معمل ألفا اللي في سيدي جابر واعملي التحليل اللي طلبه الدكتور، متهمليش.

ما لبثا أن يكملا خطتهما لليوم حتى أصدر هاتف بسنت رنينا طويلًا من زوجها، فنظرت في خوف إلى صديقتها ثم أجابت لتستقبل صوته المنفعل. قالت بسنت وهي تمشي ناحية النافذة التي تطل على البحر:

فيه إيه يا حسن متعصب ليه؟

في إن مي بنتك تعبت من إمبارح وأروح دلوقتي بيت أمك عشان آخد البنتين ألاقيها سخنة وبتفرفر، وسيادتك ولا هنا خالص.

تساءلت في قلق:

تعبانة إزاي؟ ماما مقالتليش، وبعدين انت رجعت امتى من إجازتك؟

انفعل مجددًا وهتف قائلًا:

هنمسك دلوقتي في رجعت امتى وفين ونسيب بنتك! انتِ تيجي دلوقتي حالًا وإلا قسمًا بالله لأطلقك.

خارت قواها وشعرت أن الأرض تدور بها، اختلست نظرة إلى ساعة هاتفها ثم تابعت:

أنا جاية والله النهارده، بس قطري لسه الساعة أربعة العصر، اديها بس خافض للحرارة وأنا مسافة السكة حاضر.

استطرد حسن بنفس نبرة الصوت:

تيجي دلوقتي قلت.

جف ريقها وأمسكت بجبينها بعدما شعرت أن الصداع يسيطر على رأسها. اختلست نظرة إلى داليا المترقبة لما يحدث ثم تابعت:

طيب هخلي داليا توصلني لحد موقف العربيات وهاخد عربية مخصوص.

ازداد انفعاله عندما سمع كلمة «داليا»، فأردف وهو يصرخ في وجهها عبر الهاتف:

لا هتيجي لوحدك، عليا الطلاق بالتلاتة لتيجي لوحدك، وشوية وهكلمك فيديو عشان لو لمحت صاحبتك معاكِ اعتبري ورقة طلاقك وصلتلك.

هاجي لوحدي إزاي دي حتة مقطو...

لم تستطع أن تبرر ضرورة اصطحاب داليا لها، فقد أغلق المكالمة عنوة. جرت بسنت ناحية غرفة النوم ولملمت أغراضها بسرعة وسط أسئلة داليا والخوف الظاهر في حديثها، لكن بسنت عزمت الرحيل وأكدت أنها لا بد أن ترحل الآن دون أن تنتظر دقائق أخرى لتعب ابنتها الصغيرة مي وشجار مع زوجها انتهى بإصراره على رحيلها قبل موعد القطار. عزمت داليا هي الأخرى أن تبدل ملابسها لتقل صديقتها إلى محطة القطار لكن الأخيرة قالت:

مفيش داعي تيجي معايا، عشان خاطري لو بتحبيني سيبيني أمشي لوحدي.

تمشي لوحدك إزاي بالشنط دي ومن مكان زي ده؟ طب حتى أوصلك لحد موقف العربيات!

عشان خاطري سيبيني أمشي لوحدي وهشرحلك بعدين.

تسلل كثير من الرجاء من بين عيني بسنت إلى داليا فتفهمت الأخيرة أن الأمر لا يحتمل إصرارًا أكثر من ذلك. قالت بسنت وهي تحمل حقائبها بصعوبة وتقف على حافة الفيلا:

Visual Watermark

خدي بالك من نفسك يا داليا، ومتنسيش التحليل.

ودعتها في حرارة ثم مشت بعيدًا عن الشاليه فوق قدميها وبصعوبة حتى اختفت عن أنظار صديقتها التي عادت إلى الداخل بعدما سيطر عليها الحزن. ففكرت أن تشغل عقلها بإنهاء الرواية.

فتحت حاسوبها وكتبت الجزء اليومي الروتيني في روايتها ثم التقطت هاتفها وأجرت اتصالًا بالعم غانم توضح له أنها ستعود إلى منزل أمها الليلة وأنه عليه المجيء إلى الشاليه لاستلام مفاتيحه والحرص على تنظيف المنزل بشكل دوري حتى تعود هي وزوجها خلال أسبوع. أنهت المكالمة ثم عادت إلى حجرة نومها وما أن استعدت لحزم حقائبها هي الأخرى والعودة إلى منزل الأم حتى دوى بالصالة صوت جرس المنزل العالي.

تحركت في تؤدة تجاه الباب وداخلها اندهاش من تلبية نداء العم غانم وقدومه مسرعًا. خاب ظنها عندما استشفت أن من وراء الباب هي فتاة ترتدي قلنسوة رأس، ولم يحتج ذلك قدرًا من التخمين العال أنها مها، صاحبة القط.

فتحت الباب ورحبت ترحيبًا واسعًا بالفتاة صفراء وجهها والتي تحمل قطها بين ذراعيها. حركت داليا ناظريها تجاه عيني مها المتورمتين جراء قلة النوم فسألت في اهتمام:

مالك، انتِ كويسة؟

ابتسمت مها على مضض وهزت رأسها إيجابًا مؤكدة أنها بخير ولا تعاني سوى من بعض الإرهاق. دعتها داليا إلى دخول المنزل ولكن قبل دخوله لفت انتباهها وجود كاميرا صغيرة بالممر الفاصل بين الرمال وبين داخل الشاليه. سألت مها بعد أن ابتلعت ريقها:

هو سيستم المراقبة عندك شغال؟

علقت داليا ساخرة وهي تشير إليه:

كان شغال، طارق بقاله ست شهور بيقول هيصلحه، ما انتِ عارفة الرجالة.

بادلتها مها بابتسامة ممزوجة ببعض القلق لتسأل داليا في فضول:

ليه؟

مسحت على رأس القط لتخبئ توترها وأجابت:

لا أبدًا مفيش حاجة، بسأل عشان عندي بايظ ومش عارفة أصلحه.

دلفت إلى الصالة بعد كلماتها الأخيرة ثم جلست على الأريكة وتحسست بعد ذلك جيب القلنسوة التي تحتفظ بهاتفها داخله. عرضت داليا بأن تصنع لها قهوة لتقول مها مازحة:

خايفة تتقلب زي المرة اللي فاتت.

ابتسمت داليا وعلقت قائلة:

فداكِ أي حاجة.

مشت تجاه المطبخ لتترك لصاحبة القط فرصة كي تتفحص هاتفها جيدًا وهو داخل جيبها وتتأكد أن مكالمتها إلى إبراهيم قمر لا زالت جارية، وأنه لا زال يستمع إلى حديثهما حيث أمرها بألا تغلق المكالمة التي بدأتها مها قبل أن تدلف إلى المنزل طالما أنها داخل منزل طريدته. ما لبثت أن أخرجت رذاذ المخدر من الجيب الآخر حتى فاجأتها داليا بسؤال:

متأكدة إنك عايزة قهوة بس؟ يعني فطرتِ ولا أجيبلك حاجة جنبها؟ أنا حاسة إنك مرهقة أصلًا والقهوة غلط عليكِ.

أعادت الرذاذ إلى جيبها الآخر وهي تمحص النظر حيال الشابة التي غمرتها بحنان لم تألفه، بكت مها دون

Visual Watermark

مقدمات ونحبت عاليا لتجلس داليا بجوارها وتربت فوق كتفها. أخذت داليا القط من بين ذراعيها وتركته أرضًا ثم سألت في اهتمام وهي تزيح كفيها عن عينيها الدامعتين عما بها، لتجيب مها:

أنا آسفة والله.

لم تستنتج داليا السبب وراء ذلك الاعتذار ولم تشغل عقلها حياله، وضمتها إلى صدرها لثوان ثم سألت في اهتمام عن سبب ذلك الأسف وعما داخل تلك الغريبة. كفكفت دموعها ثم اختلقت ذريعة وهي تنظر يمينًا ويسارًا من شدة التوتر بعدما تذكرت أن إبراهيم يستمع إلى ما يقولان. وقعت عيناها فوق القط فقالت:

أنا وجوزي اتخانقنا خناقة كبيرة أوي بسبب القط، قطع له ورق مهم وصمم وقفلت معاه إني أرميه بره البيت.

صمتت هنيهة ثم تابعت في استجداء:

ممكن أخليه معاكِ؟

وافقت داليا دون تردد أو تفكير لكنها سألت مها عن زوجها التي لم تخبرها شيئًا حوله المرة السابقة وعن أنها لم تلحظ خاتم زيجة في أصابعها. استغرقت مها ثواني في تفكير عميق ممزوج باضطراب طغى على معالم وجهها جراء السؤال. تفهمت داليا أن الأمر يبدو معقدًا فنظرت تجاه رابطات الشعر الملونة في نهاية أطراف شعر مها وقالت مازحة وهي تبدل دفة الحديث متعمدة:

بس إيه التوكة الحلوة دي؟ قمر والله.

ابتسمت مها متفهمة أن داليا تخفف عنها الحزن. تذرعت الأخيرة آنذاك بأنها عائدة إلى المطبخ كي تنهي صب القهوة.

أخرجت مها هاتفها وشردت حيال الشاشة التي كُتب فوقها اسمه المزيف «عادل»، انهمرت دموعها وهي تمشط شاليه السيدة الطيبة التي أكرمتها، حيرة وعجز ضربا رأسها وهي تتحسس الجيب الآخر الذي يحوي الرذاذ المخدر. ظلت هكذا لثوان ثم رفعت هاتفها عاليًا وقالت بصوت خافت - لم يصل لأذني داليا - واستطاع إبراهيم سماعه بصعوبة:

أنا آسفة مش هقدر.

أنهت المكالمة على الفور وهي تعلم أنها ستتجرع نتيجة ذلك ثم فتحت الباب وخرجت في حذر حتى لا يصل صرير الباب لأذني داليا. خرجت الأخيرة بصينية تحمل فنجانين من القهوة إلى الصالة لتجدها خالية عن بكرة أبيها سوى من القط الذي دنا من قدميها وأخذ يتحسسها. ما لبثت أن وضعت الصينية فوق المنضدة حتى استمعت لنقرة فوق الباب الذي كان مفتوحًا.

تنحنح العم غانم وألقى التحية بصوت عالٍ دون أن يدلف إلى البيت حتى لا يخدش حرمة المنزل، فأذنت له داليا بالدخول في ترحاب واسع. وقف الرجل على حافة باب المنزل بابتسامته البشوشة لتسأله داليا وهي تقترب منه:

انت ماشوفتش حد خارج من هنا وأنت داخل يا عم غانم؟

نفى الرجل كونه لاحظ خروج أحد من منزلها ثم سأل في فضول:

فيه حاجة حصلت يا ست داليا؟

نفت وهي تهز رأسها مغمضة العينين:

لا مفيش حاجة، المفاتيح أهيه يا عم غانم، ومتنساش تسقي الزرع.

أخذا يتحدثان حول كثير من الأمور الخاصة بميعاد الرجوع والمهام المطلوبة منه تحديدًا حتى اقترب الرجل

Visual Watermark

العجوز من الرحيل لتوقفه بسؤالها:

عم غانم، فاكر لما قولتلي إن بقى فيه كام شاليه حوالينا في القرية هنا للإيجار؟

آه، أربع شاليهات، اتنين في الصف اللي وراكِ في نهاية الممر، واتنين في أول القرية خالص.

سألته بصوت مليء بالفضول:

فاكر أرقامهم؟

رفع الرجل رأسه إلى الأعلى وهو يغمض عينه الواحدة محاولًا التذكر ثم أجابها:

آه، ستاشر وأربعة عشر، وتلاتة.

صمت لبرهة ثم رفع سبابته وتابع قائلًا:

آه وتسعة.

أثارت إجابته ريبتها لاسيما بعد أن سمعت الرقم تسعة، شاليه مها، غريبة الأطوار تلك التي تظهر فجأة وتختفي فجأة. اقتربت منه خطوتين ثم سألت مجددًا بصوت يزداد داخله الفضول عن سابقه:

تعرف اسم المؤجر لشاليه تسعة؟

قال وهو يشير إلى الخارج:

لا، الورق كله في مكتب الشركة، لكن فردة كعب وأعرفلك يا هانم لو محتاجاه يعني.

ودت لو تؤكد هذا الطلب لكن هاتفها أصدر رنينًا وكان المتصل زوجها، فاعتذرت للعم غانم وأعطته الضوء الأخضر لرحيله إذا ود، ليرحل الأخير متعللًا بانشغاله بكثير من المهام. أجابت بصوت يملؤه اللهفة والاشتياق لطارق الذي أجرى مكالمة الفيديو وهو بين الكتب، تساءل عن يومها وكيف ستقضيه لاسيما بعد رحيل بسنت لتبث داخله الطمأنينة بعد أن أكدت له أنها بالفعل أعدت حقائبها وتستعد للذهاب إلى أمها بسيارته. كما سردت له قصة التحاليل التي طلبها الطبيب وعن زيارتها الثانية القريبة.

استمرت المكالمة لدقائق ثم انتهت بعد أن انشغل طارق في عمله واعتذر لها ووعدها أنه سيعاود الاتصال. تفحصت الأبواب والنوافذ جيدًا وتأكدت من إحكام غلقهم ثم مشت تجاه المرآب بصحبة القطة وأدارت مقود سيارتها وانطلقت بها إلى منزل أمها بعد أن أحكمت إغلاق زجاجها لتحمي عظامها من الهواء العاصف.

وفي الطريق غير الممهد بين الصف الذي يحوي الشاليه الخاص بها وبين صف الشاليهات الموازي له وعلى بعد مائة متر، لازمها الشرود حيال مها.

قلق سيطر عليها وهي تقترب من الشاليه رقم تسعة، قلق حول الفتاة وليس منها، إذ أن الفزع الذي تطاير من عينيها وهي تبكي يخبرها أنها تتعرض لأذى ليس هينًا وأن الأمر ليس متعلقا بقط قط.

هدأت من سرعة سيارتها وهي تمشط بعينيها الشاليه من الخارج، والذي يبدو خاليًا من أي حياة. شاليه له نفس مساحة وتصميم الشاليه خاصتها سوى أنه لا يحتوي على مرآب للسيارات ولا شيء غريب حوله سوى أن كل النوافذ والأبواب مغلقة، ولا توجد سيارة خارج المنزل، وهذا غريب وغير معتاد بين سكان تلك المنطقة النائية.

توقفت بالسيارة جانبًا وأخذت تفكر جيدًا حيال ما يفعله فضولها بها وحول العواقب جراء الاقتراب من الشاليه والتدخل في أمور عائلية لا تعنيها. التقطت شهيقًا عميقًا وسط الصمت الذي يطبق على السيارة من الداخل وكأنه شرارة الخروج التي اشتعلت للتو. مسحت على رأس القط الذي يصدر مواءً خافتًا وكأنها تطمئنه بعودتها مسرعة، ثم فتحت باب السيارة ومشت في تؤدة ناحية باب شاليه رقم تسعة.

مشت ثلاث خطوات للأمام ثم توقفت وعادت ناحية السيارة وهي تنفض عن عقلها فكرة دخول الشاليه وما لبثت أن أمسكت مقبض الباب·ودلفت إلى السيارة، ثم تركت المقبض مجددًا وعادت صوب الشاليه وهي تحدث

Visual Watermark

نفسها بصوت أقرب للهمس:

هدخل أتطمن عليها واللي يحصل يحصل.

وضعت هاتفها في جيب بنطالها وألقت نظرة وداع مؤقتة إلى القطة التي التصق وجهها بزجاج السيارة وكأنها تود الخروج مع صديقتها. تحركت للأمام ودفعت الباب الخشبي الخارجي بيدها وهي تلقي السلام أكثر من مرة آملة أن تجد ردًا، لكن خاب ظنها فمشت فوق الرمال الفاصلة بين الباب والبناء من الداخل - بحذائها الرياضي الذي انغرس كاملًا في عمق الرمال البيضاء - ولم تتوقف عن إلقاء السلام قائلة:

السلام عليكم، فيه حد هنا؟ يا مها.

لم تجد ردًا ولم تتوقف عن الاقتراب من الباب الداخلي للشاليه والذي كان موصدًا. نقرت فوق الباب عدة مرات لكن بلا إجابة، فتأكدت أن إحساسها حول خلو المنزل من سكانه لم يخِب.

حركت ناظريها تجاه الرقم تسعة المنقوش على واجهة الشاليه ثم نظرت للأسفل حيث صندوق القمامة الممتلئ عن آخره وكأن مالك الشاليه لم يُلقِ بتلك القمامة منذ أسابيع. لفت انتباهها وجود زجاجات خمر على حافة الصندوق، فاقتربت في فضول منها.

شخصت بصرها تجاه أكثر من سبعة أنواع من زجاجات الخمر وحقن مستخدمة وواقي ذكري وقليل من علب البيتزا والأسماك، لكن ما جعلها تحدق أكثر هو وجود رابطات شعر مها المميزة ملقاة في جانبه. اقتربت برأسها وهي تغمض عينيها كي تتحمل رائحة العفن، لكن زاوية الرؤية لم تسمح لها بالتأكد فخبطت الصندوق بقدميها من أحد الجانبين لتسقط زجاجة كانت على طرفه أرضًا وتتهشم وسط ذعر داليا التي أخذت تنظر حولها خشية أن يراها أحد. ألقت نظرة مجددًا إلى رابطات الشعر فتأكدت أنها لمها بالفعل ونوت بعد ذلك أن تقوم بجمع حطام الزجاجة، لكن هاتفها أصدر حينذاك رنينًا عاليًا فانقبض قلبها ووضعت كفها فوق صدرها وهي تلهث.

وعندما أخرجته من جيب بنطالها، وجدت أن المتصل هو زوجها. خرجت مسرعة من الشاليه رقم تسعة وعادت إلى سيارتها حتى لا يلحظ طارق ما تبحث عنه ولا يلحظ وجودها في منزل آخر. فتحت باب السيارة وقبلت المكالمة وابتسمت في مضض ليلحظ زوجها القلق الذي يسكنها ويسألها:

إيه يا دودو، ساعة عشان تردي؟ انتِ كويسة؟

اتسعت ابتسامتها وهي تدير محرك السيارة تجاه منزل أمها:

آسفة، أنا زي الفل والله، بس أنتِ عارفني لخمة مابعرفش أتكلم وأنا بسوق.

ضحك ثم ألقى بدعابته:

ولا بتعرفي تسوقي أصلًا.

ابتسمت ابتسامة هادئة وشخصت بصرها مجددًا ناحية زجاج السيارة الأمامي قبل أن يردف زوجها:

لما توصلي عند الدكتور كلميني، قبل ما تخشي وبعد ما تخرجي.

وضع هاتفه جانبًا بجوار قنينة خمر صغيرة ثم ارتكز بساعديه على طاولة مكتبه وهو يصب تركيزه فوق شاشة حاسوبه الشخصي.

كان يضغط على أزرار لوحة مفاتيح الحاسوب تارة وينظر إلى هاتفه تارة أخرى، استمع في اهتمام شديد للمكالمة التي تحوي حديثًا بين مارلين وطريدته داليا. لم يجد شيئًا مهمًا وطارئًا حيال حوارهما، فانشغل قليلًا بالتحدث إلى أحدهم عبر تطبيق التليجرام. استمرت المحادثة لدقائق وتخللها إرسال إبراهيم قمر لعدة فيديوهات حتى انتهى منهن جميعًا وكتب:

هبعتلك حساب دولاري المرة دي تحول عليه.

Visual Watermark

ترقب رده في قلق لاسيما أنه لم يكتب شيئًا حتى تراءى له أن الطرف الآخر يقوم بكتابة رسائل نصية. جاءه الرد:

لا ترسل شيء خوي، عم بنتظر رده أولًا.

ضغط إبراهيم أزرار لوحة المفاتيح بقوة وكأنه ينفس بها قلقه:

يعني إيه؟ أنا نفذت كل اللي قولته بالحرف في البنات جوة الفيديوهات وشوفها بنفسك، بتماطل ليه؟

ما هي مماطلة أبدًا، أنا وسيط بينك وبينه، وقبل ما الفيديوهات تترفع على هداك الموقع على الدارك ويب لازم توافق شروطه بالحرف.

مرت لحظات، أرسل رسالة نصية أخرى إلى إبراهيم بها:

ما عم بيغيب، انتظر ثواني.

لثم إبراهيم سيجارة الحشيش بين شفتيه في توتر ثم أشعلها وهو لا يزال ينصت جيدًا إلى المكالمة التي ستسهل له الانقضاض على فريسته الجديدة. استرق السمع لبكاء مارلين وهي تتحدث إلى داليا حيال قطتها، وقبل أن يلتقط هاتفه، استقبل رسالة نصية أخرى عبر التيلجرام بها:

هيك الفيديوهات تمام، لكن ما بنرسل إلا تكلفة فيديو واحد فقط.

يعني إيه تدفعوا تمن فيديو واحد؟ أنا باعتلك فوق العشر فيديوهات لعشر بنات مختلفات.

زفر هواء سيجارة الحشيش في غضب ليستقبل تبريرًا آخر:

ما عندنا مشكلة ندفع لو كانت فيديوهات فيها شيء جديد، لكن كلها مقاطع جنسية بينك وبين ستات، وكل البنات عم بيناموا معك برضاهم، الريس هالمرة يريد خطف واغتصاب.

اقترب إبراهيم برأسه من شاشة الحاسوب وقرأ كلمة «خطف» أكثر من مرة فتكونت داخله الكثير من الأسئلة، حتى فاجأه الراسل برسالة نصية يتابع فيها طلبه:

ثم قتل.

اتسعت عينا إبراهيم من فرط الذهول الممزوج بالحماس ليكتب:

والمقابل؟

عشر أضعاف كل مرة، خمسين ألف دولار.

ضرب الأدرينالين رأسه فأخذ يلتقط أنفاسًا متسارعة من سيجارته وهو لا يزال يحدق بالمبلغ المكتوب. صفع وجهه بيده ثم فركه أكثر من مرة وعاد ليكتب مسرعًا:

طب لو الضحية الجاية شخصية عامة ومعروفة، هيكون نفس المبلغ؟

لحظات عم بسأله.

قام من فوق كرسيه وأخذ يدور في المكتب الخافت إضاءته مرارًا وتكرارًا في ترقب وانتظار لرد هذا الأخير وهو يصب كامل تركيزه فوق شاشة الحاسوب حتى أنه غفل عن كون المكالمة جارية. استقبل رسالة جديدة فجرى ناحية مكتبة وقرأ بصوت عال:

راح يكون مائة ألف دولار.

وضع إبراهيم يديه فوق رأسه غير مصدق ما يقرأه فكتب:

أنا تمام، قدامي فترة قد إيه؟

Visual Watermark

راح نعطيك شهر، بس انتبه لحالك، الريس بلغني أنبهك، ادرس الموضوع كويس، هالمرة غير كل مرة، وإذا كنت مش قادر على حاجة مثل هادي العب على القد زي كل مرة، الي فات أغلبهم مومسات لكن الي جاي راح ينتبه لك الكل في مصر لأن الهدف شخصية عامة.

رُسمت على وجهه ابتسامة انتصار وهو يكمل الكتابة:

بلغه يتطمن، أنا بقالي أكتر من سنة براقبها، قريب هنسمع أخبار حلوة.

أغلق حاسوبه وانتبه لهاتفه، ولم تمر ثوانٍ حتى اخترقت أذنه عبارة «أنا آسفة مش هقدر»، فجن حنونه ودار حول مكتبه مرة ثم هتف عاليًا في أذن مارلين:

يعني إيه مش هتقدري يا ك***

كانت مارلين حينذاك قد أنهت المكالمة وجرت عشوائيًا فوق الطرق المرصوفة بين الشاليهات حتى تصل لأطراف القرية ومنها تستقل سيارة أجرة لتعود إلى منزلها.

بينما التقط إبراهيم قبعته البيضاء وارتداها ليخفي بها شعره الغير منسق ثم أخذ مفاتيح سيارته كيا - ذات الزجاج الأسود الغير شفاف - ومحفظته وخرج مسرعًا وأدار سيارته التي كانت تقبع أمام الشاليه الخاص به وانطلق بها ناحية أطراف القرية.

أزاح قبعته ووضعها جانبًا وأخذ يعدل من وضع شعره وهو يبحث في توتر بين الطرقات عنها، وعندما انحنى ليلتقط قبعته مجددًا من فوق المقعد المجاور له لامست يده مشغل الأغاني بسيارته ليعلو صوت المعلقة الصوتية على رواية (الزهرة الزرقاء) لداليا الصاوي على أحد التطبيقات التي تحول الروايات لمقاطع مسموعة، قالت:

«في مجتمعنا الشرقي تُحب المرأة عندما تأمن مستقبلها مع الرجل، ويُحب الرجل عندما يأمن ماضيها».

لجأ إلى تلك التطبيقات الصوتية كي يستمع لبقية رواياتها منذ أن واجه سدة القراءة لا سيما بعد أن انقلبت حياته رأسًا على عقب منذ سنوات وأصبح لا يقوى على التركيز في قراءة سطر واحد.

أغلق صوت مشغل الأغاني وانتبه للطريق حوله في فرط حركة سيطر على رقبته التي دارت يمينًا ويسارًا حتى التقطت عيناه ظهر فتاة في نفس طول مارلين وترتدي نفس قلنسوة الرأس وهي تجري بين صف من الأشجار على الجانب الآخر من الطريق فتوقف بسيارته في منتصف الطريق لتصدر عجلات السيارة صريرًا عاليًا جعل مارلين تتوقف عن الجري وتنتبه لمصدر الصوت في فزع بعدما تأكدت أنها سيارة إبراهيم المميزة ذات الزجاج الأسود الذي لا يسمح برؤية من بالداخل. دار بسيارته، وفي ثوانٍ معدودة كان أمام تلك المسكينة التي اكتفت بوضع كفيها فوق فمها من الخوف.

مال بأنامله تجاه قبضة الباب المجاور له وفتحه وهو ينظر للأمام وهذا ما ضاعف الفزع داخلها. مرت بضع ثوانٍ في الانتظار حتى أخرج من محفظته الجلدية بطاقة هويتها وأشار بها أمام عينيها قائلًا:

إيه مش خايفة؟

استعطفته مارلين وأخذت ترجوه أن يتركها ترحل، فأشار بأنامله إليها أن تدخل وتابع بصوت هادئ:

طب اركبي ومش هعملك حاجة.

قل الخوف في عينيها فاستطرد بابتسامة ماكرة:

اركبي وهخليكِ تروحي.

اقتربت من سيارته بأنفاس لاهثة من الجري ودلفت إليها ثم أغلقت الباب ليقود محرك سيارته عائدًا إلى الشاليه، سألته وهي تشير بإصبعها إلى الخارج:

انت مش قولتلي هتخليني أروح؟

Visual Watermark

تجمّد وجهه كقطعة جليد وأصبح خاليًا من أي حياة وكأنها لم توجه له سؤالًا، كل ما كان يشغل عقله هو كيفية الحصول على ذلك المبلغ، لاسيما أن التحدي هذه المرة فاق كل المرات السابقة ووصل لذروته.

انتبه أثناء عودته لسيارة (هيونداي النترا) الخضراء التي يعرفها جيدًا، تسير على الجانب المعاكس لاتجاهه، محصُ النظر بها وتأكد أنها سيارة داليا التي شاهدها في مرآب المول. ظل يتحرك بعينيه في تركيز شديد مع سيارتها، وما ساعده في ذلك هو زجاج سيارته المظلم وكذلك أنها سيارة مختلفة عن سيارة (البي إم دبليو) خاصته التي كانت بحوزته يوم أن تقابلا.

ذاب الجمود فوق وجهه وبدأ في وضع خطة جديدة داخل رأسه، لكن سؤال مها المكرر أعاد انتباهه إليها حيث قالت:

هو انت هتمشيني بجد؟

همشيكِ بس بعد ليلة طويلة أخيرة عشان الأدرينالين في العالي خالص، وهروق عليكِ ماتخافيش.

فهمت أنه يرمي إلى زيادة المبلغ المتفق عليه لتنفيذ حاجتها للمال وأنها تود العودة سالمة فقط، جحظت عيناه وقال بصوت رتيب جعل ظهرها يلتصق بالمقعد:

قولنا ليلة واحدة وهسيبك تمشي.

أومأت برأسها موافقة على عرضه وهي ترتعش ليعودا إلى المنزل بعد دقائق. وعندما دفع إبراهيم باب الشاليه الخشبي الخارجي بيده ودلف، وخلفه مارلين إلى الداخل، ارتاب وراوده شك أن هناك من تسلل إلى حيث يقطن.

تتبع آثار الأقدام الصغيرة فوق الرمال حتى وصل إلى صندوق القمامة، ولاحظ زجاجة الخمر المهشمة فانحنى إلى الأسفل والتقط قطعة منها ثم نظر ساخرا إلى مها محملًا بكثير من الكلمات التي لم تخرج من بين شفتيه. لتسأله عما به فأجابها وهو يلج مفتاحه في الباب:

مش بقولك ليلة واحدة أخيرة.

قضيا ليلتهما الطويلة ما بين فساد عاثه بجسدها وبين الحشيش والخمر حتى أخرج إبراهيم من درج الكوميدينو حقنة صغيرة. وقبل أن يملأها بمخدره وهو جالس فوق سريره، أشار إلى هاتفها وقال:

ابعتي رسالة للشركة إن دي آخر ليلة في حجز الشاليه ده.

انتهى من ملء السرنجة بمخدره ثم ربط خرطومًا صغيرًا فوق معصمه وتابع قائلًا وهو يغرسها في جلده:

واحجزي أي شاليه تاني شهر غير تسعة، باسمك.

اعتدلت الفتاة من نومها وقالت:

بس أنت قولت لي إني همشي.

أصدر صوتًا من منخاره اعتراضًا على ما قالته ثم أمسك بمؤخرة رقبتها وصاح في وجهها:

قولتلك هتمشي مش عايز لك كتير، اللي باقي هنفذه أنا لوحدي، انتِ بروح أمك مش هتعرفي تعملي حاجة، احجزي الشاليه وغوري بكرة الصبح.

التقطت هاتفها بعدما أمرها بتنفيذ ما قاله توًا، أجرت مكالمة للشركة المسئولة عن الحجوزات لكنهم لم يجيبوا في المرة الأولى. أمرها بإعادة الاتصال ففعلت لتستقبل بأذنها هذه المرة صوت الموظف المسئول عن الحجوزات. أملت عليه ما تريده فأمرها بالانتظار ثم اقترح عليها شاليه آخر يحمل الرقم ١٤ لكنه بعيد بعض الشيء عن مياه البحر.

سألت مارلين إبراهيم حول موافقته على حجز الشاليه الثاني رقم ١٤ فهز رأسه موافقًا دون أن يكترث لأمر ابتعاده. أكدت الحجز، وما أن أنهت المكالمة حتى حولت المبلغ المطلوب إلكترونيًا من خلال بطاقة إبراهيم

Visual Watermark

البنكية. أملى عليها إبراهيم طلبًا أخيرًا:

ابعتي ليهم على الواتساب سكرين رسالة الدفع وبلغيهم يسلمونا مفتاح الشاليه الجديد بكرة وإحنا بنسلمهم القديم.

نفذت تعليماته ففرك إبراهيم ذقنه وهرش مؤخرة رأسه بعدما اختلطت المادة المخدرة بدمه. قام ثم خلع عن جسده آخر قطعة من الملابس التي كانت تستر عورته ثم قال منتشيًا:

أنا مش عايز أسئلة كتير ها، عايز حفلة وداع تخليني هاي أكتر من كده عشان خيالي يشتغل وأقدر أخطط بمزاج.

ودت لو تتساءل عن ما سيفعل داخل الشاليه لاسيما أن الحجز باسمها لكنها كبحت فضولها واستسلمت مجددًا لإبراهيم. لم يكتفِ الأخير بالمخدر الذي لم يزل يذوب في أوصاله وابتلع قرصين منشطين لحالته الجنسية وسط ذهول مارلين التي لم تستطع تفسير كيف يحتمل كل تلك المواد المخدرة والمنشطات والخمر في آن واحد.

لم تمر ثوانٍ وما كاد أن يلامسها حتى سقط مغشيًا عليه فوقها. ظنت في البداية أنه سيعاود النهوض والتهام رحيقها، لكن ما أن شعرت أنه غاب عن الوعي حتى هزت مارلين جسده أكثر من مرة قائلة «عادل، إبراهيم، أنت كويس؟».

لم يستجب لندائها فوضعت ظهر يدها بالقرب من فتحتي منخاره لتستشعر أنفاسه. وعندما اطمأنت أنه حي لكنه فقد وعيه، أنفضته بعيدًا عنها وسترت جسدها بروب طويل ووقفت على حافة السرير تراقبه في حيرة.

تنتظر حتى يستفيق وتنهي ليلتها وترحل في سلام، أم تهرب؟

هرولت نحو حقيبتها وملمت أغراضها كلها في حسم، ارتدت في عجلة من أمرها بنطالها الأسود الضيق والتيشرت الأبيض الذي يبرز مفاتنها للخارج ثم وضعت فوقه معطفًا أسود طويلًا يصل حد ركبتيها. راودتها فكرة مسح الفيديوهات الجنسية التي التقطها إبراهيم عنوة، فاقتربت من الشاشة بتردد، لكنها حسمت أمرها وبدأت بالعبث بها وهي تختلس نظرة إلى الراقد خلفها بين الثانية والأخرى.

استطاعت الولوج إلى الملف الأساسي الذي يحوي كل المقاطع، وما أن رأت فيديوهات حديثة حتى علمت أنها لها، فتحتها لتتأكد وصدق حدسها عندما رأت أكثر من عشر مقاطع مصورة تجمعها مع إبراهيم. تارة كان يظهر الأخير فيهن بوجهه وتارة أخرى كان يخفيه بقناع أسود. في النهاية، مسحتهم كلهم.

ولم تكترث إذا كان يمتلك نسخًا أخرى من تلك الفيديوهات أم لا، دفعها شعورها بالخوف والتهديد من مسحهم دون التفكير حيال أمر آخر.

هبطت من الدور الأول وهي تتفحص هاتفها لتستقل سيارة أوبر وهي تعلم أن الأمر يبدو مستحيلًا لاسيما أن الوقت قد تأخر، كادت أن تخرج من باب الشاليه بالدور الأرضي لكن ما استوقفها هو أنها لمحت باب غرفة في نهاية الدرج كان مفتوحًا، وهذه هي المرة الأولى التي ترى فيها فحواه منذ أن قاما بإيجار المنزل.

اقتربت في فضول سيطر عليها من ردهة طويلة والتي يقبع في نهايتها مكتب بني اللون وفوقه حاسوب شخصي رأته لأول مرة أيضًا.

لم ينتبها أي فضول من قبل لزيارة الدور الأرضي لاسيما تلك الغرفة الموصدة بعد أن قضيا كل سهراتهما بالأعلى. فتحت الحاسوب بعد أن جلست على مقعد جانبي وتفحصت التليجرام الذي كان يتحدث إبراهيم عبره إلى الوسيط.

لم تبحث كثيرًا عن مبتغاها بعد أن وجدته، دردشة طويلة بين إبراهيم وبين ذلك الغريب التي تجهل اسمه، كلما قرأت سطرًا منها كانت ضربات قلبها تزداد سرعة حتى كادت أن تسمعها.

صعدت بمؤشر الحركة إلى الأعلى وكلما قرأت وشاهدت المقاطع المصورة المرسلة لاسيما مقاطعها - التي طالما

Visual Watermark

هددها بها - ازداد نحيبها المكتوم.

فتحت أكثر من مقطع مصور لها كان إبراهيم يرتدي قناعه الأسود فيهن وكأنه قد انتقاهن ولم يرسل من المقاطع المصورة ما قد فُضح وجهه فيهن.

لم تزل غير قادرة على استيعاب أن أمرها قد فُضح وأنه لم يعد تهديدًا بعد.

هبطت بمؤشر الدردشة إلى نهايته وقرأت جملة «الريس هالمرة يريد خطف واغتصاب»، ثم حركت عينيها إلى الرسالة التي تليها «ثم قتل».

أخذت تصفع خدها وهي تهمس لنفسها بعدما تذكرت أن كل أمور الحجوزات كانت ولم تزل باسمها:

يا لهوي، قتل، أنا كان مالي ومال الهباب ده!

أغلقت الحاسوب وأخذته وما لبثت أن استدارت وخرجت وقطعت الردهة في سرعة حتى فاجأها من يقف على حافة الباب ومستندًا برسغه عليه، قال إبراهيم بصوت هادئ:

على فين يا مورو؟

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025
يسعدنا انضمامك لنا

Visual Watermark
Processed using the free version of Watermarkly. The paid version does not add this mark.

وضع قليلًا من عطر ياسين فوق قميصه ثم ارتدى حذاءه الأسود في عجلة من أمره وقبل أن يخرج من منزل صديقه التفت إليه وشكره على استضافته في منزله طوال تلك الفترة، قال ياسين:

يا عم ده بيتك ومكانك، والله لولا إن فيه دراسة بكرة لكنت خليت الولاد شوية كمان في البلد.

انتبه علاء لهاتفه ثم أرسل رسالة نصية لبارا يؤكد فيها أنه سيكون متواجدًا قبل ميعاد الزيارة الأولى لابنته بربع ساعة، تابع ياسين في اهتمام متسائلًا:

لسه برده ماحددتش هتعمل إيه، هتقعد هنا في إيجار جديد وتكمل شغلك في المكتب ولا هترجع إسكندرية؟

أغلق جفني علاء ببطء مرارًا وتكرارًا وهو يحاول أن يزيح عن كاهله وعقله التفكير، أجابه وهو يربت على كتفه قبل أن يرحل:

لسه مش عارف حاجة، أنا تايه، بعيش في وضع مكنتش متخيل أعيش جواه، وبيتهيالي معنديش إجابة على أي سؤال إلا لما أشوف بنتي الأول.

ودع صديقه وهو يبتسم على مضض ثم خرج من البناية المتهالكة بشارع فيصل حيث يقطن وليد واستوقف ميكروباص بصعوبة في وقت الزحام وغاص داخله بين الركاب المتداخلين في بعضهم البعض.

ظل واقفًا على حافة باب الميكروباص متشبثًا بطرفه ويراقب المارة والسيارات الملتصقة بالأتوبيسات، حتى ترجل أحد الركاب فجلس بدلًا منه وكانت فرصة لأن يخرج هاتفه ويتصفح الانستجرام، فتح الصفحة الشخصية لفريدة وتردد في إرسال رسالة نصية، ابتعد عن مربع الكتابة وأخذ يتصفح حسابها فوجد أن عدد المتابعين لها قد تخطى المليون متابع، استغرب كثيرًا فتصفح منشوراتها ليعرف السبب وراء كل تلك الشهرة لا سيما أنه لا يستخدم ذلك التطبيق كثيرًا ليجد أنها قد أصبحت من المؤثرين في وسائل التواصل الاجتماعي بالمقاطع المصورة عن ترحالها لكثير من البلاد العربية والأجنبية، غلبته مشاعره وفضوله ففتح أكثر من مقطع كانت فيهن فريدة تشرح وتوصف كثيرًا من المعالم المميزة لكل بلد على حدى وبصوت مميز أعاد في رأسه كل الذكريات بينهما، أنهى المقاطع فغلبته عاطفته وانقشع عقله وأرسل لها:

هو لو أنا قولتلك إني محتاج أتكلم معاكِ أكتر من أي وقت، هتسمحيلي؟

ظل محدقًا في رسالته لدقائق لكنها لم ترَ الرسالة بعد، اختلس نظرة إلى الطريق فوجد أنه قد اقترب من الكافيه المتفق عليه بينه وبين طليقته في منتصف شارع الهرم، أمر السائق بالتوقف جانبا ففعل الأخير ما طلبه علاء ولكنه تذمر قائلًا:

وبالنسبة للأجرة؟

أدرك أنه من فرط التفكير واليأس غفل عن مناولته للأجرة. تنهد طويلًا قبل أن يعتذر للسائق الذي أخذ يسب بصوت خافت لم يصل لأذني علاء. ناوله الأخير ما يزيد عن استحقاقه ثم عاد إلى الوراء حيث الكافيه وتجاهل مناداة السائق له وصوت بوق سيارته المزعج كي يأخذ بقية العشرة جنيهات.

صعد الدرج أسفل البناية التي تضم وجهته ثم استقل المصعد حتى أشار الرقم أعلى المصعد إلى ستة. ترجل منه ودلف إلى كافيه «كونتراكت» ومشى بين طاولاته الخاوية واختار طاولة بالقرب من نافذة تطل على شارع الهرم وظل شاردًا عبرها وهو يختلس نظرة إلى ساعة هاتفه بين الحين والآخر وأحيانًا أخرى يتفقد الانستجرام لعله يكون قد حصل على إجابة من فريدة.

أنهى قدحين من القهوة في نصف ساعة قد تأخرت فيها يارا، والتي كانت كافية لأن يجري اتصالًا بها. أخبرته أنها قد وصلت لتوها أسفل البناية وأن زحام المرور هو ما وراء ذلك التأخير. دقائق وكانت أمامه هي وأمها وفريدة ابنتهما.

ألقى علاء التحية عليهما لترد يارا تحيته بتحية مقتضبة بينما أمها اكتفت بإيماءة من رأسها قبل أن تجلس على

Visual Watermark

مقعد مقابل لعلاء. ناولته يارا ابنته فأخذها بين أحضانه وأخذ يقبل خديها وكفيها في حماس سيطر عليه. أخرج من كيس بلاستيكي صغير كان يحمله حلوى صغيرة داخل لعبة بلاستيكية وما إن نوى أن يطعمها منها حتى علقت يارا وهي تشير إلى ابنتها:

الحاجات دي ممنوعة منها عشان لسة صاحية من دور برد.

تعليقها لم يثبط من عزيمته وشغفه لتبادل الأحاديث مع صغيرته التي سألته في براءة عن سبب عدم رؤيتها له. أعاد اللعبة البلاستيكية إلى داخل الكيس ثم حرك ناظريه تجاه أمها ونظر إلى ابنته مجددًا وأجاب متذرعًا:

بابا عنده شغل وبيسافر كتير يا حبيبي.

قاطعت يارا طليقها:

بخصوص السفر، أنا وماما هنسافر عند خالتي في أسوان.

تساءل علاء:

قد إيه؟

خرجت الأم عن صمتها وقاطعت يارا قبل أن تجيبه وقالت في نفور:

وانت مالك تقعد قد إيه؟

أشار علاء إلى ابنته واستطرد مبررًا:

أنا بسأل عشان بنتي مش عشان حياتها هي حرة فيها. أظن ده من حقي.

يعني حوالي شهر.

ألقت إجابة يارا الأخيرة الاستنكار داخله فاستند على الطاولة الفاصلة بينهما وعلق في انفعال:

شهر وفي أسوان؟ طب أشوف بنتي إزاي؟

اقترب برأسه قليلًا منها وهو لا يزال يستند على الطاولة وقال بصوت هادئ مستجديًا عطفها:

أنا أستحمل منك أي حاجة يا يارا، بس بلاش بنتنا بالله عليكِ، ماتلويش دراعي في أهم شيء عندي وتاخدي حقك مني فيه.

لم يتلقَ ردًا لكن ظهرت بوادر التعاطف على وجه وعيني يارا اللتين قاربتا على أن تدمعا. وما أن شعرت الجدة بذلك حتى أخذت فريدة من بين ذراعيه وقالت في حسم:

معاد الزيارة خلص، لما نرجع من السفر هنكلمك تيجي تشوفها.

قال علاء في قلة حيلة وهو ينظر إلى ساعته:

بس انتو جايين متأخرين نص ساعة. سيبوني أقعد مع بنتي شوية.

عاد الانفعال داخل صوت علاء الذي رفع سبابته وهتف:

أنا لحد دلوقتي عمري ما اتعاملت معاكم إني محامي، وفيه ١٠٠ طريقة أقدر أشوف بيها بنتي. دي جزاتي إني بحترمكم!

خرجت الجدة وهي تحمل بين ذراعيها حفيدتها متجاهلة حديثه لتؤخر يارا نفسها عمدًا وتقول:

أول ما هرجع من السفر هكلمك تشوفها، وأعتقد ملوش داعي بهدلة المحاكم عشان بنتك مش عشاني. وآه على فكرة، أنا مش صاحبة قرار السفر. آسفة على التأخير النهارده مرة تانية بس مكنش مقصود.

أمسك علاء بأناملها قبل أن تتبع أمها وقال في اشتياق:

Visual Watermark

انتِ إزاي قدرتِ بسهولة تهدي البيت كده، ماوحشتكيش طيب؟

لم تستطع هذه المرة كبح دموعها فنفضت أصابعها من بين كفه وقالت في اشمئزاز:

لو سمحت كفاية بقى، خليني أقدر أتعامل معاك كأب لبنتي، عشان دي لو أنا معرفتش أعملها مش هتشوفني ولا هتشوف بنتك.

كفكفت دموعها ثم أردفت وهي تنظر موضع قدميها:

عن إذنك.

رحلت وتركته غارقًا في اللاشيء وهو ينظر عبر النافذة. امتزج شعور الغضب داخله، لكونه لم يجلس برفقة صغيرته وقت كافٍ، بقليل من الإهانة تسرب داخله عندما أغلق في وجهه كل الطرق لإصلاح كل ما فات.

وضع النادل دفتر الحساب أمامه والذي كان في حجم دفتر مذكراته التي فضحت أمره. دفتر المذكرات الذي قد دُون به كل التواريخ، الموسيقى، الأماكن، وبعض الصور التي جمعته بفريدة. كل شيء منذ اللقاء الأول حتى اللقاء الأخير بعدما نال منه والدها سلام. الدفتر الذي وقع في يد زوجته عن طريق الصدفة وهي تنقل أغراضه من مكان لآخر حتى تنتهي من تنظيف غرفة مكتبه، لتكتشف زوجته في النهاية أنها مجرد وسيلة لنسيان ما مضى وأن ابنتها سُميت تيمنًا بحبيبته السابقة، ليتبدد مع إيجاد المذكرات كل شيء.

استقبل رسالة نصية عبر الانستجرام أخرجته من شروده: «طيب أنا هتصل بيك».

فريدة التي أغلقت من قبل كل وسائل الاتصال بينهما وحجبت رؤيته لها في كل التطبيقات ما إن تزوج من يارا لكنها غفلت عن تطبيق الانستجرام وغفلت عن استخدام علاء له من الأساس لأنه يتصفحه بضع مرات في العام نقيض تطبيقات أخرى، أو تغافلت وتركت بابًا مواربًا بينهما. لم يجد علاء إجابة.

استقبل اتصالها حيث يسمح لها فقط بالاتصال لأنها هي من قامت بوضعه في قائمة الحظر. قبل المكالمة، سيطر السكوت قليلًا بعدما رحبا ببعضهما البعض، حتى سألته فريدة باهتمام:

مالك؟

تايه، وده أكتر وقت محتاجك فيه.

صمت لثوانٍ ثم سأل باهتمام:

طمّنيني عليكِ الأول، انتِ كويسة؟ صوتك بيقول إن فيه حاجة عندك برده.

كل شيء بخير، بابا بس تعبان بقاله فترة، لكن أنا واثقة إن ربنا هيشفيه.

سأل باهتمام مصطنع لاحظته فريدة حول صحة أبيها:

ماله بابا؟

تعمدت فريدة أن تغير دفة الموضوع وتسأله عن عمله وكيف يدير أموره بالقاهرة، وعن ابنته التي رأت صورتها على إنستجرام ولم تزل تجهل اسمها. تعمد علاء ألا يجيب عن طلبها الأخير آنذاك وقال بصوت هادئ في قنوط:

أنا ويارا اتطلقنا.

ساد السكوت مجددًا، حتى سألت فريدة عن السبب وراء الطلاق، وعن مصير ابنته، وعن كيفية تقديم المساعدة له. فسرد لها قصة خلافهما منذ أن قرأت رسالتها عبر إنستجرام عندما كانا في الإسكندرية، حتى أنهيا إجراءات الطلاق منذ أسابيع. قالت فريدة بصوت ممزوج بالبكاء:

يعني أنا السبب؟ هُو ده اللي كنت خايفة منه عشان كده مسحت الرسالة.

Visual Watermark

أخذت تعتذر وهي تنتحب عاليًا وتعده بألا تجري أية اتصالات مجددًا، وأنها ستحجب عنه التطبيق الوحيد الذي يجمعهما. حتى قاطعها علاء وقال بصوت هادئ قد زلزل ما بداخله:

انتِ عمرك ما هتكوني السبب في انفصالنا، لأننا من ساعة ما اتجوزنا وأنا وهي بعيد عن بعض.

بس أنا بعت رسالة مكنش المفروض أبعتها لحد كان في حياتي واتجوز، هي حتى لو سامحت، أنا مش هسامح نفسي.

انتِ قاسية على نفسك ليه؟ المشاعر دي مش بإيدينا. يعني هو أنا كان بإيدي أشيلك من حياتي وماعملتش!

بس برضه أنا مكنش المفروض أبعتلك ولا أكلمك، بس أعمل إيه في القلب؟ عارف، يوم ما بعتلك كان بابا دخل عناية مركزة وكنت لوحدي، حرفيًا لوحدي رغم إن فيه ناس كتير بتيجي. ولما صورة بنتك ظهرت قدامي بالصدفة، حسيتها إشارة من ربنا إنك ممكن تبقى معايا في يوم زي ده، لأني كنت مرعوبة. ياريتني كنت عملت بلوك على إنستجرام كمان من الأول ومخربتش بيت بإيدي.

تنهد علاء وهو مغمض العينين من فرط الإرهاق النفسي، ثم أجابها:

ممكن كفاية جلد ذات؟ أنا بكلمك لأن مفيش غيرك أنا برتاح له ممكن أكلمه في توقيت زي ده.

أخذت فريدة شهيقًا عاليًا لا زال مصحوبًا بمحاولة التوقف عن البكاء، ثم أردفت قائلة قبل أن تنهي المكالمة:

مبقاش ينفع نتكلم خلاص يا علاء، أنا مضطرة أقفل، مع السلامة.

شعر علاء بسخونة تحتل مقدمة رأسه وعينيه ما إن أنهت المكالمة معه. حاول لملمة شتات نفسه وهو يخرج سيجارة من جيب بنطاله ويشعلها، محدقًا في اللاشيء مجددًا. أدرك أنه حاول كسب أي شيء فخسر كل شيء. لا عصا يمكن مسكها من المنتصف في علاقات كهذه. أخرج نقودًا تفوق ثمن ما احتساه وحده، ثم وضعها في دفتر الحساب. وقبل أن يعود أدراجه إلى الشارع، استقبل اتصالًا من ياسين. قبل علاء مكالمة الأخير الذي تساءل باهتمام عما حدث في زيارته لابنته وعن وجهة علاء المستقبلية، ليجيب الأخير ببضع كلمات مقتضبة:

هفضل في القاهرة زي ما أنا عشان بنتي، مبقاش فيه سبب أنزل عشانه إسكندرية خلاص.

ارتعدت فرائصها والتصقت بظهرها في مقدمة المكتب عندما رأت من يعلو وجهه ابتسامة ساخرة ولازال يقف عند حافة باب مكتبه. حاول أن يتماسك وهو يستند على جدار فاصل بينهما من فرط المخدر، قال لها بصوت رتيب:

ليه بتبصي على حاجة مش بتاعتك يا مرمر؟ عديتها لك مرة وده مش طبعي، تعمليها تاني!

تلعثمت وأخذت تبرر مرارًا أنها لم تكن متعمدة تصفح حاسوبه. فاختلس نظرة إلى حقيبتها التي عزمت على الرحيل بها، واستطرد قائلًا بنفس نبرة الصوت:

ومستعجلة ليه؟ ما كنت هسيبك تمشي وهعمل أنا كل حاجة بنفسي.

قهقه عاليًا وهو يخبط بكفيه في بعضهما البعض قبل أن يتابع:

هو انتِ فاكرة إن عندي نسخة واحدة من الفيديوهات عشان تمسحيهم؟ ده أنا حبايبي في الوطن العربي كتير وبحب أبسطهم.

أفزعتها كلمة «كنت هسيبك» في حواره، فجثت على ركبتيها وقبل أن تلتقط كفه لتقبله راجية إياه أن يتركها ترحل، حتى انقض عليها كالأسد بعد أن أجمع قواه وأسقطها أرضًا وهو يلتف بيديه حول رقبتها محاولًا أن يمنع وصول الهواء لرئتيها. مر شريط حياته أمام عينيه في تلك الثوان، صور عشوائية جعلته يضغط بأقصى قوته فوق رقبة المسكينة ذات الجسد الهزيل تحته.

يوم زفافه وهي تبتسم له، شهر العسل ببلجيكا، ضحكاتها العالية أثناء مداعبته إياها، قراءة الكتب سويًا

Visual Watermark

وتبادل الآراء حولها، وانتهى ذلك الشريط بالمشهد الذي لا يفارق عيناه، مضاجعة زوجته لرجل غريب فوق سريره. وانتهى به الأمر بقتلها خنقًا كما يفعل مع مارلين التي احمر وجهها وتحشرج صوتها ولفظت أنفاسها الأخيرة بين قبضتي يده. فأخذ ينظر إلى كفيه في ذهول وصدمة، غير مصدق أنه تورط في الأمر هباءً للمرة الثانية. وقف على قدميه بصعوبة بعد أن خارت كل قواه وتلاشت، وأخذ يدور حول جثة مارلين الساكنة تمامًا، وهو يضغط على جانبي رأسه من فرط التفكير. أنقذه القدر في المرة الأولى ولم يعبث الطب الشرعي بجثة زوجته وكُتب في تقرير الوفاة أنها وفاة طبيعية بعدما أعطى رشوة قدرها مليون جنيه لمدير المشفى وثلاثة عاملين بوحدة الطب الشرعي. لكن المرة الثانية ضرب القلق فيها كل أوصاله ليس لقتله إياها، ولكن لأن الأمر كله حدث فجأة دون ترتيب، وكانت تفصله ساعات عن استلام الشاليه الجديد المحجوز باسمها.

جردها من هاتفها ثم أغلقه نهائيًا وأخرج منه الشريحة وبطاقتها وأغراضها الشخصية، ثم سحب الجثة لمنتصف الصالة. وعاد إلى المطبخ باحثًا عن مشمع بلاستيكي كبير أو حصيرة قديمة بالية ليست من أثاث الشقة الأساسي بعد أن هداه تفكيره إلى خطة قد ينجح بها في إخفاء الجثة دون أثر.

خطة لا بد من تنفيذها ليلًا وقبل أن تشرق الشمس حتى لا يلاحظ أحد القاطنين حوله أو مالكي الشاليه اللذين سيأتون في الصباح. فشل في العثور على مبتغاه من المطبخ فتذكر لتوه غطاء السيارة فخرج مسرعًا واقتلع غطاء السيارة المصنوع من القماش عنها، ثم عاد إلى الداخل وافترشه أرضًا. ثم حمل الجثة واكتنفها بالغطاء عدة مرات وساعده في ذلك جسدها الرفيع والقصير. جلس على كرسي بالصالة أمام الجثة بعد أن تراخت أعصابه من المجهود، وأخذ يشعل في سجائر من علبته المارلبورو حتى أنهى علبتين منها. وما أن خيم الليل على سيدي كرير حتى خرج للجنينة أمام الشاليه وأغلق بابه من الداخل، ثم بدأ الحفر في الرمال بآلات بدائية الصنع تارة وبكلتا يديه تارة أخرى. ظل لساعة ونصف يصنع حفرة في الرمال طولها متر ونصف المتر حتى هطلت الأمطار فجأة فأغرقته وأغرقت الجثة الملفوفة بجانبه. أخذ يمسح عن جبينه وعينيه المياه الغزيرة ثم حمل مارلين وألقاها في القبر الذي صنعه لها، والذي يبلغ عمقه مترين حتى ابتلع مارلين بين حديه.

رمقها بنظرة طويلة وهو يقف على حافة مدفنها ليعلو صوت الرعد في المكان الخاوي ويزلزله، لكن لم يحرك في قاتلها ساكنًا. ردم الأخير بكلتا يديه الرمال في الحفرة حتى تكومت بزاوية، ثم ترك المكان وخرج إلى داخل الشاليه بعد أن أطفأ الأنوار تمامًا.

عاد إلى الداخل وهو يترنح يمينًا ويسارًا بعد أن فقد السيطرة والتحكم في أوصاله. وما أن تراءت له الأريكة في منتصف الصالة حتى ألقى بجسده فوقها وغاط في النوم بملابسه التي تشبعت بمياه الأمطار. انكمش وتقوقع داخل جسده متخذًا وضعية الجنين فاتحًا فاه من فرط التعب.

وقفت تلك السيدات التي تخطى عددهن العشر حوله في غرفة مظلمة - الأشبه بغرفة من غرف السجن - ممسكاتٍ بيد بعضهنّ البعض وينادين باسمه. أنهى على زوجته وقضى عليها بيديه العاريتين أرضًا، ثم نهض وحاول فك أصابعهن المشتبكة وأخذ يدور بينهن لكنه ما يلبث أن يقترب من إحداهن حتى تنفضه بعيدًا فابتعد عنهن بعدما قاوم للنهاية وهرب إلى ركن من أركان الغرفة وهو يلهث عاليا. خرجت مارلين بفستانها الأبيض من العدم وكانت أكثر طولًا منه ولها بنيان عريض. رمقها مندهشًا أنها لا تزال حية، فابتسمت له ابتسامة أعلنت عن أسنان يسير بينهن دود الأرض. قالت وهي تشير إلى صدره:

أنا مسامحاك، متخفش.

احتضنته ومالت عليه برأسها ولثمت فمه بقبلة طويلة ارتخى على أثرها وبادلها بقبلة أشد حرارة من سابقتها. أحاطت بذراعيها جسده الهزيل وضمته لها فازداد الأدرينالين داخله واستيقظ شيطانه. مالت بأناملها أرضًا والتقطت سكينًا ثم غرسته في رقبته فجحظت عيناه عن آخرهما واستيقظ من كابوسه وهو ساقط أرضًا من فوق الأريكة. أخذ ينظر يمينًا ويسارًا حتى لمح زجاجة مياه فزحف حتى شرب منها واستند بظهره للحائط وهو لا يزال يلهث. أخرج علبة السجائر من جيب بنطاله فوجدها مهترئة إثر المياه. استطاع إخراج واحدة غير تالفة ولثمها بين شفتيه وأشعلها وهو شارد في سقفه.

Visual Watermark

هرول مسرعًا إلى الجنينة وأعاد الحفر لساعة أخرى حتى أشرقت الشمس. استطاع رؤية الجثة فجلس ليلتقط أنفاسه، وبعد أن ارتاح قليلًا أخرجها وردم الحفرة. ثم وضع الجثة بحقيبة سيارته وأحكم إغلاقها وأخذ يحاول أن يهندم ملابسه التي اتسخت لكن باء الأمر بالفشل. صعد إلى الدور العلوي وخلع عن جسده ملابسه بالكامل ثم أشعل المياه الساخنة واقتحمها وهو يفرك تحتها كل خلية من خلاياه حتى شعر أنه استعاد جزءًا من طاقته. فخرج إلى الصالة ومنها إلى خزانة الملابس وأخرج قميصًا أبيض واسعًا وبنطال جينز أزرق. وما أن أنهى ارتداء ملابسه حتى استرق نظرة حوله فوجد الفوضى تعم المكان بأكمله، لكنه لم يعر ذلك انتباهًا وتفقد حاسوبه وألغى الاتصال بينه وبين الشاشة الذي يسمح بتفقد محتويات حاسوبه من خلالها، ثم ولج إلى ذاكرة الشاشة نفسها ليمسح المقاطع التي تجمعه بضحيته الأخيرة مارلين ليجد أنها قد مُسحت. فابتسم ساخرًا من سطحيتها لأنه يحتفظ بالفعل بنسخة أخرى عبر درايف جوجل الذي يخزن كل ما يقوم بالتقاطه أوتوماتيكيًا.

أخرج حقيبتين من خزانته ثم أكمل وضع ملابسه وملابسها المتبقية فيهما وكذلك الكتب الخاصة به لاسيما رواية داليا حتى امتلأتا عن آخرهما. دار في كل أنحاء الدور العلوي عدا الشرفة بحثًا عن ما يثير الريبة وكذلك الدور الأرضي حتى اطمأن وخرج إلى سيارته في العراء.

وضع الحقيبتين فوق الكنبة الخلفية ثم أدار محرك السيارة لكنها لم تستجب. حاول مرارًا لكن بلا فائدة ففتح غطاء السيارة الأمامي وبدأ بفحص الأسلاك وغيره.

عاد إلى الخلف ثم أخرج من حقيبة السيارة وبجوار الجثة - عدة إصلاح السيارات - التي يحتفظ بها طالما أنه في مكان نائي. ظل يعبث لنصف ساعة بالأسلاك الأمامية وما أن اكتشف العيب وشخصه لخبرته في صيانة السيارات قبل أن يخوض سباقات الفورمولا الاحترافية حتى افترش الأرض أسفل السيارة بكرتون ورقي ثم نام فوقه وأعطى وجهه لهيكل السيارة من أسفلها. مرت ربع ساعة أخرى وهو لا يزال يصلحها حتى سمع صوتًا يناديه من خارج السيارة. زحف على يديه حتى تراءى له العم غانم الذي ألقى التحية على إبراهيم، ليسأله الأخير على مضض عما يريد، ليجيب العجوز في بشاشة وهو يشير إلى الشاليه:

الشركة باعتني أسلمكم مفتاح الشاليه الجديد، وأستلم القديم.

ارتكز على كفيه ونهض بصعوبة ثم قال في اقتضاب:

آه تمام، هات المفتاح.

ارتاب العم غانم لأنه من المفترض أن تتسلم الوحدة سيدة شابة، قال عم غانم في حرص وهو ينظر إلى صورة بطاقة هوية مارلين التي كانت بحوزته:

طيب هي أستاذة مارلين صاحبة الحجز فين؟

عندها شغل واتحركت، أنا جوزها.

طيب نستناها عشان أسلمكم بنفسي المكان الجديد.

لا ارجع انت متتعبش نفسك، أنا هاخد منك المفتاح دلوقتي، ولما هرجع من شغلي أنا كمان بالليل متأخر هنبقى نعاين أنا ومراتي الشاليه ولو فيه حاجة ناقصة هنكلمكم.

مد إبراهيم يده إلى العم غانم وهو يشير إلى المفتاح وقال حاسمًا:

هات المفتاح.

شخص غانم نظره إلى يد إبراهيم الممدودة لثوانٍ ثم أعطى الأخير المفتاح في قلة حيلة قبل أن يسأله:

طيب اسم حضرتك إيه؟

وضع المفتاح في جيب بنطاله ثم نظر إلى عيني غانم وأجاب:

Visual Watermark

عادل أيمن.

طيب ممكن لو مافيهاش إساءة يا أستاذ عادل أبص على المكان قبل ما تسلمه لي عشان التأمين، موضوع روتيني بس.

هز التوتر أوصاله وهو يبدل بصره بين الجثة الموضوعة في حقيبة السيارة وبين المنزل الذي يريد حارس العقار تفتيشه. عاد إبراهيم في النهاية إلى الخلف وهو يشير بيده المبسوطة إلى الشاليه معطيًا لغانم إشارة الدخول دون أن يتفوه بكلمة.

دخل الرجل العجوز إلى المنزل وسط عيني إبراهيم اللتين لم تتوقفا عن متابعته حتى غاب عن الأنظار. لم يجد العم غانم ما هو غريب إلا علامات العربدة التي يعتاد عليها بالشاليهات التي يحرسها، لا سيما العقارات المؤجرة، يتذمر من رؤية ما يغضب الله لكن لا حول له ولا قوة.

الدور الأرضي أثاثه قليل فلم يحتج إلا دقيقة للتفقد لا سيما غرفة بها مكتب ومنزوية، والتي ارتكب فيها جريمته، ثم الصالة الواسعة وغرفة أخرى كانتا على قدر من النظافة والترتيب وكأنهما لم يدلفا إليهما من الأساس.

وما أن صعد إلى الدور العلوي حتى تخبطت قدماه في زجاجات من الخمر ملقاة أرضًا وملاءات سرير متسخة ومفترشة أرضًا وعليها من آثار البقع ما لم يحتج قدر من الذكاء لتخمين ماذا كان يفعل مؤجرو الشاليه.

تفقد كل شيء حتى الحمام ولم يجد ما هو غريب أو مفقود أو تالف، فخرج إلى الشرفة التي وجد بها آثارًا لشرب المخدر تزجي بصاحبها إلى السجن، حتى أن العم غانم رفع شيشة متكدسة بالحشيش - الذي لم يشتعل بعد - إلى الأعلى وهو يقول في نفور:

آه يا ولاد الكلب يا أنجاس.

ألقاها أرضًا وهو ينظف كلتا يديه، أدار ناظريه إلى الطاولة الصغيرة التي كان فوقها إيصال حساب لثمن أكلة من مطعم مشويات يتعدى راتبه في شهر. نظر إلى المبلغ المكون من أربعة أرقام وإلى اسم صاحب الإيصال ولم يلبث أن يصب تركيزه نحو الإيصال بتركيز أكبر حتى تفاجأ بمن يقف بالقرب منه، قال إبراهيم:

كل حاجة سليمة؟

ترك العم غانم الإيصال كما هو فوق المنضدة ثم وضع كلتا يديه في جيبي عباءته - وسط حملقة إبراهيم به - ثم أجابه:

كله تمام يا باشا.

أشار إبراهيم إلى الخارج وأخبر حارس العقار أنه سيرحل إلى عمله وسيعود كما أخبره ليلًا ليستلم المكان الجديد، أوقفه الحارس بعد أن مشى إبراهيم بضع خطوات للأمام. ارتاب الأخير وارتعش خديه قليلًا حتى أخرج غانم من جيبه حفنة من ورق المائتي جنيه وناولها لصاحب الوجه المسيطر عليه الفضول وقال:

دول فرق التأمين، الشاليه الجديد تأمينه أقل من القديم، الشركة ملقتش حساب ترد عليه الباقي فوصوني أديهم لسعادتك كاش في إيدك.

تحول الخوف تدريجيا إلى ابتسامة هادئة لم تعلن عن لون أسنانه، أشار إليه برأسه وقال:

خليهم علشانك.

اتسعت عينا غانم وأخذ يبدل النظر بين الرجل الذي غاب عن أنظاره وبين حفنة النقود بين أصابعه والتي تتخطى نصف راتبه الشهري.

هبط إبراهيم إلى الدور الأرضي بمفرده ومنه إلى السيارة، اتخذ نفس وضعية الإصلاح السابقة حتى أنهى العطل في دقائق بعد أن أكمل ما بدأه ثم نظف كلتا يديه في بعضهما البعض ودلف إلى السيارة وأدار محركها وسط

Visual Watermark

مراقبته لغانم الذي لازال بالداخل ينظف فوضاه هو وزوجته التي لحقت به منذ دقائق. رمق الشاليه بنظرة أخيرة ثم تحرك إلى وجهته حيث سينفذ خطته الجديدة.

خرج إلى الطريق الرئيسي الذي يربط سيدي كرير بالإسكندرية ثم اتخذ طريق العودة إلى المدينة الساحلية ومنه إلى مول سيتي سنتر بمحرم بك، توقف بالسيارة في المرآب وتأكد قبل نزوله من أن صندوق السيارة مغلق حتى لا يُفضح أمر جريمته.

دلف إلى المول وخرج منه بعد ربع ساعة محملًا بحقائب أخذت كتفيه إلى الأسفل من ثقلها، وضعها بالمقعد الخلفي بجوار أغراضه في حذر، ثم انطلق بسيارته سالكًا الطريق الصحراوي ومنه إلى طريق جانبي بمحاذاته يؤدي إلى منطقة (الملاحات) التي تحتوي على مياه راكدة شديدة الملوحة. توقف بسيارته بعد أن تأكد أنه بعيد عن مرمى البصر لجميع المارة وجميع الصيادين، ترجل من سيارته وأشعل سيجارة في الهواء الطلق ونظر إلى السحاب الذي انقشعت وراءه الشمس ثم عاد بأدراجه صوب حقيبة السيارة الخلفية ووضع السيجارة بين شفتيه وأخرج بكلتا يديه الجثة إلى الخارج ثم ألقاها أرضًا ثم دار حول السيارة وجر الحقائب التي اشتراها للتو من المول إلى الخارج وفتحها.

أخرج منها أثقالًا يتخطى وزنها الخمسين كيلو كان قد اشتراها من مكان مخصص لبيع حديد صالات رفع الأثقال بالمول، أحاط الجثة بتلك الأثقال التي تقارب وزن الفتاة الملفوفة بغطاء السيارة. أخرج سلسلة طويلة من المعدن ثم أخذ يلفها ويدور بها حول الجثة والأثقال حتى تأكد من إحكامه للربط ثم انحنى ودفعها بكل قوة حتى سقطت من فوق منحدر يعلو المياه المالحة بمتر ونصف تقريبًا وغاصت في مياهه واختفت تمامًا. جلس إبراهيم على حافة إسمنتية وهو يراقب المياه في تركيز شديد وهو لازال ينفث دخان سيجارته حتى أنهاها، ألقاها أرضًا وعاد إلى داخل سيارته بعد أن اطمأن لنجاح خطته في إخفاء الجثة بل وذوبانها، وضع يده على مفتاح محرك السيارة وقبل أن يديره راودته فكرة جعلته يترك المفتاح ويلتقط هاتفه، أجرى مكالمة وبعد بضع ثوان استقبل صوت متثاءب في أذنه، سأل إبراهيم دون مقدمات:

إيه أصغر كاميرا عندك؟

قهقه الرجل الذي كان نائمًا فوق سريره وأخذ يصدر كحة عالية تلاها بلغم قُذف من فمه في سلة قمامة بجواره، قال ساخرا:

أصغر من الكاميرا الأخيرة اللي إديتهالك يبقى هجيبلك حاجة قد حباية الرز!

أدار إبراهيم محرك السيارة وعاد بأدراجه إلى الطريق الرئيسي وأكمل المكالمة عبر بلوتوث السيارة بعد أن أوصله بهاتفه، لثم سيجارة أخرى في فمه ثم قال:

هات أصغر حاجة ومهما كان السعر هشتري.

اعتدل النائم في جلسته وقال في اهتمام:

حتى لو بألفين دولار.

ضحك إبراهيم بصوت خافت وأجابه:

حتى لو بألفين دولار، جاهزة معاك دلوقتي؟

فرك عينيه قبل أن يقوم من فوق سريره ثم قال في نشوة سيطرت عليه:

ولو مش جاهزة اعتبرها جاهزة، هي في حجم مفتاح قفل صغير، عايزها امتى؟

لو جاهزة دلوقتي أنا هخلص.

أكد له البائع أنها بحوزته ليحسم إبراهيم وجهته قائلًا:

Visual Watermark

جهزها لي، أنا مسافة السكة وهكون في دكانك.

دار إبراهيم بسيارته وعاد إلى وسط البلد حيث يقطن ذلك الشاب، وفي دقائق دلف إلى منطقة كرموز بعد أن سار خلال طريق المحمودية، ومنه دخل إلى حارة ضيقة كان في نهايتها مبتغاه، تباطأ بالسيارة حتى وقف أمام المحل ليخرج شاب لم يكمل عامه الخامس والعشرين بعد من باب بناية قديمة ملتصق بباب المحل، أشار إلى إبراهيم بتحية مقتضبة ثم فتح باب المحل ودخله، وتبعه إبراهيم في حذر، وبعد أن دلفا إليه أضاء ذلك الشاب أنوار المحل وأغلق الباب خلفهما.

سأل إبراهيم وهو يتصفح تطبيق حسابه البنكي:

حسابك البنكي لسه زي ما هو يا زيزو؟

أومأ زيزو برأسه وهو يمحص النظر غير مصدق أن من يقف أمامه يدفع حوالي مائة ألف جنيه في كاميرا تصوير صغيرة. أخرجه إبراهيم من شروده وهو يشير بأنامله قائلًا:

هات الكاميرا.

وضع يده في جيب معطفه المنتفخ وأخرج علبة سوداء في حجم محفظة الجيب وناولها لإبراهيم الذي سأل:

بتشتغل إزاي؟

شرح له زيزو كيفية استخدامها وإيقافها أيضًا، وهو يشير إلى عدة تعليمات ورقية مدونة بكتيب صغير داخل العلبة وسط تركيز إبراهيم نحو شاشة هاتفه وإنهاءه لإجراءات تحويل المبلغ المتفق عليه. أشار إبراهيم إلى هاتف زيزو وتابع:

بص على حسابك.

انشغل زيزو بالاطمئنان على استلامه النقود ليقول إبراهيم وهو يرمقه بنظرة وعيد:

إياك حد يعرف إني خدت الكاميرا دي أو عتبت مكانك، مفهوم؟

حاضر.

قالها زيزو وهو مطاطأ الرأس إلى هاتفه ثم أومأ برأسه إيماءة معناها أنه قد استقبل المبلغ، مشى إبراهيم خطوتين ناحية الباب المغلق ثم عاد كمن تذكر شيئًا وسأل مجددًا:

بتفهم في سيتنج كاميرات المراقبة؟

رُسمت على وجه زيزو ابتسامة انتصار تعني أنه من يبحث عنه، ليقول إبراهيم وهو يشرح له بكلتا يديه في حماس:

لو عايز أتحكم في كاميرا بعيدة عني، تقدر؟

حسب نوع الكاميرا، يعني لو نوع قديم أقدر وبكل سهولة، ولو جديدة هاخد وقت عشان بيكون عليها حماية أكتر، بس هقدر في النهاية.

أغمض إبراهيم إحدى عينيه محاولًا التذكر ثم تابع قائلًا:

قديمة.

اتسعت الابتسامة على وجه زيزو الذي أشار بأصابعه إلى إبراهيم كي ينتظر، ثم فتح باب المحل واختفى عن الأنظار لدقائق وعاد محملًا بعلبة أصغر من العلبة السابقة وناولها لإبراهيم الذي سأل عن كيفية عملها، فتحها زيزو لتعلن عن قطعتين معدنيتين صغيرتين، أمسك إحداهما وقال:

دي هتتحط جوه الكاميرا نفسها، هتشيل القطعة اللي زيها وتحط دي بس كده.

Visual Watermark

ثم أخرج القطعة الثانية واستطرد قائلًا:

دي بقى هتحطها في الكمبيوتر بتاعك وهتشوف كل حاجة.

أخذ زيزو يعيد على أذان إبراهيم طريقة عمل الكاميرا الصغيرة التي تخطى ثمنها الألفين دولار، والكاميرا الأساسية التي سيغرس بها قطعة أخرى، وزوده ببعض التعليمات حول كيفية تفريغهما وسط همهمة إبراهيم الذي سأل عن ثمن القطعة الثانية المراد اختراقها، والذي كان ثمنها أقل بكثير من الأولى. حول له مبلغًا ثانيًا غطى تكلفتها، وقبل أن يهم بالرحيل قال زيزو في دعابة:

هو أنت هتسرق بنك ولا إيه؟

اقترب إبراهيم بوجه جامد ملامحه ثم خبط بكفه مرتين على وجه زيزو في رفق وقال في وعيد:

قولنا متتكلمش في حاجة زي كده حتى لو قدام نفسك.

سكت خوفًا بعدما صُفعت كرامته ليعود إبراهيم إلى داخل سيارته وانطلق بها صوب فيلته القريبة من محطة ترام لوران. وضع سيارته بالمرآب الذي يحوي ورشة إصلاح للسيارات خاصة به بعد أن أخذ حقيبتي ملابسه وملابس ضحيته الأخيرة وكذلك حاسوبه، ثم صعد أدراج فيلته وارتاح داخلها حتى أشارت عقاربها إلى منتصف الليل. فأخذ حقيبة ملابس مارلين وخرج بها وسط سكون الأجواء تمامًا حوله ودار إلى فناء خلفي ملحق بمنزله ثم دلف إلى ورشة الإصلاح وأخرج منها مادة مساعدة على الاشتعال ثم سكبها بالكامل على أغراض مارلين بعد أن وضعها داخل برميل أسود طويل ثم أشعل النار بها لتبدد آثار جريمته أمام عينيه الشاردتين في خطته التي سينفذها بعد دقائق.

أصدر هاتفه رنينًا من رقم غير مسجل بهاتفه ومفتاحه يشير إلى أنه من دولة عربية قريبة من الخليج العربي فأجاب بلطف:

كارما، واحشاني، والشاسيه واحشني أوي.

ضحكة الفتاة ضحكة رقيعة تلاها غزل جنسي صريح ثم قالت له:

لو الشاسيه واحشك زي ما بتقول كان زمانك واخد أول طيارة وكنت عندي.

أخذا يتبادلان النكات والإيفيهات الجنسية حتى قاطعت الفتاة التي كانت تستقل سيارة أجرة آنذاك حديثه وقالت في جدية:

سمعت إن الديل المرة دي نار.

مائة ألف دولار.

واو، واللي عليه العين مين؟

ابتسم ثم استطرد قائلًا:

الرهان بتاعنا من أكتر من سنة، فاكراه.

أشارت الفتاة لسائق السيارة بالتوقف جانبًا أمام أحد الفنادق ثم تابعت قائلة:

دي صعبة عليك أوي، بس المبلغ يستاهل.

ما هو عشان المطلوب مش زي كل مرة، لما نتقابل يا كارما أحسن هفهمك.

استشفت ما يقصده أن الأمر لن يقتصر هذه المرة على معاشرة جنسية فأكملت وهي تداعبه:

بس عندي إحساس إنك المرة دي مش هتكسب وأنا اللي هكسب.

قهقه إبراهيم قبل أن يبادلها المزاح:

Visual Watermark

هكسب، بس متنسيش إني لو كسبت الرهان فيه ألف دولار عندك.

ودعها وأنهى المكالمة بعدما اتفقا على أن يتقابلا في مصر قريبًا لاسيما عندما أكدت له أنها ستزور مصر خلال أسبوعين من توقيت مكالمتهما. أخمد النيران المشتعلة وأغلق باب الورشة ثم أخذ حاسوبه وملابس جديدة من خزانة ملابسه بالداخل واستقل سيارته عائدًا إلى سيدي كرير.

أدار الأغاني بمسجل السيارة فسيطرت ألحان عمرو دياب على تركيزه بعيدًا عن القيادة وتاه في ذكرياته، نظر إلى المقعد الشاغر بجواره والذي طالما شهد مكوث أرملته قبل أن يكتشف خيانتها، تذكر حديثها المعسول وترديدها للأغاني معه، ووعودها بأن تبقى طيلة حياتها معه فعاد بعينين محملتين بكثير من خيبة الأمل إلى الطريق الصحراوي بعدما رُسمت على وجهه ملامح الغل والغيظ.

ضغط على مكابح سيارته فجأة فأصدرت صريرًا عاليًا قبل أن يتوقف بها جانبًا وانخرط في البكاء كالأطفال وهو يصرخ ويهتف حتى كاد أن يحطم مقعده من فرط الغضب.

توقفت سيارة لادا أخرى على الطريق وعلى بعد ثلاثين مترًا تقريبًا من سيارة إبراهيم، لم ينتبه الأخير إلى صاحب سيارة اللادا الذي كان يهرول ناحيته حتى وقف وأطرق زجاج السيارة الذي انكب على وجهه من فرط البكاء، انتبه إبراهيم للطَارق الذي قال:

حضرتك كويس، فيه حاجة في العربية؟

لم ينزل إبراهيم زجاج السيارة واكتفى بمسح دموعه وأدار مقود سيارته هروبًا من الشاب الذي كان واقفًا على باب سيارته متعجبًا، وخلال أقل من ساعة كان إبراهيم بالشاليه الجديد رقم ١٤.

وعندما أشارت الساعة إلى الثانية صباحًا ارتدى قلنسوة رأس لتحميه من البرد ولتخفي ملامحه ثم وضع داخل جيبه ما قد اشتراه من زيزو وتحرك على قدميه مشيًا بين الشاليهات حتى وصل للشاليه الأخير المنزوي.

دار حوله دورة واحدة حتى يتأكد من عدم وجود غانم كالمرة السابقة يوم أن قطع الكهرباء عن منزلها والتي كاد فيها أن يُكشف أمره، وما أن تبين له أن حارس العقار وقاطني الشاليه ليسا بالداخل أو بالجوار حتى اقترب من نافذة المنزل وحاول فتحها لكنه لم ينجح فدار حول الدور الأرضي حتى اكتشف ثغرته، باب شرفة قبلية هزيل دفعه بقوة فنجح في فتحه ودلف إلى المنزل المظلم، أضاء كشاف هاتفه وتحرك به عبر الصالة ومنه إلى غرفة النوم، فضل ألا يضيء أية أنوار داخل الشاليه حتى لا يجذب الأنظار حوله فأكمل خطته بمساعدة كشاف هاتفه فقط.

اقترب من سرير غرفة النوم وبحث عن مخبئ للكاميرا خاصته وهو يدور بعينيه، قرر أن يضعها بين الكتب في رف يعلو مقدمة السرير لكن تراجع عن الأمر وهداه تفكيره إلى غرسها داخل ساعة حائط سوداء كبيرة تقبع أمام السرير وبجوار باب الدخول إلى غرفة النوم، اختار زاوية تسمح له برؤية ما يحدث بالتفصيل داخل غرفة نوم ضحيته فأزاح الساعة عن الحائط وحاول فكها لكنه شعر أن أمرها سينكشف لاسيما أنه سيضطر إلى كسرها.

دار بعينيه حتى اقترب من السراحة فزرعها بين التحف المصنوعة من الخزف والتي كان لونها قريبًا جدًا من لون الكاميرا الصغيرة وما أن تأكد من أن زاوية وضعه لها ستفي بالغرض حتى خرج وأغلق باب الشرفة كما كان ثم مشى إلى الباب الرئيسي للفيلا حيث الكاميرا القديمة - المعطلة - وجذب الأريكة الموضوعة بالخارج ووقف على حافتها حتى استطاع بالكاد فكها بواسطة مُفك معدني أخرجه من جيبه، مشط بعينيه أجزاء الكاميرا الداخلية حتى وجد مبتغاه ففكه بصعوبة وغرس الجديد بدلًا منه وأوصل الأسلاك به وتأكد من أنه موصل بالكهرباء، أعاد غطاء الكاميرا إلى حيث كان ثم نزل من فوق حافة الأريكة وأعادها إلى الزاوية حيث كانت وما أن أنهى كل خطته حتى عاد إلى شاليه ١٤ بنفس الحرص السابق.

فتح حاسوبه وأوصل به القطعة المعدنية الثانية التي تسمح له بالولوج إلى الكاميرا الأساسية عند مدخل منزل فريسته، أدخل بعض البيانات كما أرشده زيزو وبعد عدة خطوات نجح في اختراقها وتراءى له مدخل المنزل الذي

Visual Watermark

سيساعده في متابعتهما ومعرفة موعد عودتهما وموعد تنفيذه للخطة لا سيما بعد أن أدار الكاميرا الصغيرة الثانية المزروعة بين الخزف واطمأن لعملها هي الأخرى.

أشعل سيجارة حشيش وهو يمكث فوق الأريكة وأخذ يحرك ناظريه في المكان الجديد الذي سيمكث به والذي لا يختلف ديكوره كثيراً عن القديم ثم أراح رأسه المنتشية على مقدمة الأريكة وغرق في النوم بعد أن اشتد به التعب والإنهاك.

روايات عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

Visual Watermark

طالتها نظراته المغلفة بالهيام أثناء قيادته للسيارة التي تقلهما للمنزل فانتبهت صاحبة الحجاب الطويل إلى العينين الممحصتين بها فابتسمت ابتسامة هادئة ليسألها:

وحشتك؟

لم تجد من الكلمات ما يعبر عن اشتياقها فشبكت أصابعها بأصابعه وأخذت تتحسسهم وكأنها تستمد منهم الأمان، امتلأت عيناها بدموع لم تعلن عن خروجها بعد وكأن الكلمات التي أبت أن تخرج من بين شفتيها تلألأت في عينيها، سألها مرة أخرى في اهتمام:

دودو، ماما قالتلك حاجة تانية تضايقك في الكام يوم اللي قعدتيهم هناك؟

تنهدت وأجابته:

كالعادة كل مرة نفس الموضوع، مش عاجبها فكرة إني اخترت مكان بعيد، عايزاني أجي أقعد معاها.

نظرت إلى طارق وتابعت في ضعف:

بس أنا بتأقلم متخفش عليا.

ضم رأسها إلى جسده بيده الخالية وقبلها ثم قال:

أنا معاكِ في أي وضع وفي أي مكان تختاريه، المهم تكوني مرتاحة.

اعتدلت في جلستها وصبت اهتمامها نحوه وهي تثني عليه بنظراتها ثم علقت قائلة:

عارف، أنت الحاجة الوحيدة الصح اللي في حياتي، أنا عارفة وفاهمة إن اختياري للمكان البعيد ده مش مريحك ورغم كده موافقني فيه عشان بس شايف راحتي فيه.

إيه الكلام الكبير ده؟

رفعت أحد حاجبيها واستطردت قائلة:

متحاولش تعمل إنك مش فاهم، أنت عارف إني مش جاهزة أتعامل مع بشر، وبخاف عشان كده موافقني نقعد بعيد في سيدي كرير.

ابتسم لها ابتسامة أضافت لها طمأنينة أكثر من سابقتها وتابع:

وهنفضل قاعدين في المكان ده ومش هنمشي لحد ما تقولولي إنك جاهزة.

أبهرها ذكائه الاجتماعي، أبهرها أنه يعلم مفاتيحها كأنثى، شعور بالأمان لا يتخلله غدر أو فراق، وطمأنينة حتى ولو ببضع كلمات، شعرت أنها قاربت على الطيران من فوق مقعدها فصفقت بكلتا يديها في حماس ونشوة سيطرا عليها وقالت:

انتباه كده ليا، نسيبنا من أي كلام في الماضي ونركز في اللي جاي عشان فيه كلام مهم.

أنصت لها بعد أن قهقه عاليًا وهو يمسك بكلتا يديه دفة القيادة، قالت:

أولًا، مفيش سفر تاني لوحدك، رجلي على رجلك مهما كانت البلد أو الشغل، مفهوم؟

أومأ برأسه موافقًا، متجاهلًا الضرر الذي قد يحدث عندما تزداد اجتماعياتها، فهم أنه قد أعطاها من الأمان ومن الطاقة ما جعلاها تغفل عن عزلتها، وهذا ما أسعده، تابعت وهو تربع إصبعها عاليًا:

ثانيًا، الأسبوع الجاي عندي حفلة مناقشة مهمة جدًا وانت اللي هتناقشني فيها قدام الجمهور، أنا خلاص رتبت الدعاية وكل شيء، فاضل موافقتك.

ثم استطردت مداعبة إياه في خديه:

Visual Watermark

موافقتك، اللي هي كده كده تحصيل حاصل.

علا صوت ضحكاته مجددًا وهو يهز رأسه موافقا دون تردد، هدأت صوت ضحكاتهما داخل السيارة تدريجيًا حتى خيم السكون لينظر إليها في فضول، قالت هذه المرة وهي تشير إلى نفسها:

ثالثًا وده الأهم، فيه أخبار حلوة، الدكتور بشرني إن المشكلة اللي عندي بخصوص الأدوية اللي كنت باخدها شبه انتهت، وإني...

التفت ناحيتها في اهتمام بالغ لتكمل وهي تشبك أصابعها في بعضهم البعض:

وإني يعني جاهزة للحمل إن شاء الله.

سألها متأثرا:

وليه مقولتيش على الحاجات الحلوة دي وأنا هناك؟ ده كنت هموت من القلق.

كنت عاملهالك مفاجأة.

قبل يدها هذه المرة وأردف قائلًا بعد أن اقتربا من منزلهما:

أحلى مفاجأة.

اختلس نظرات مملوءة بالحب ونشوة السعادة لها أثناء مروره بالسيارة بين الشاليهات حتى ترجلا من سيارتهما وما أن وقفا أمام باب الشاليه حتى حملها فجأة بين ذراعيه فقالت وهي تضحك:

بتعمل إيه؟

غمز لها بعينه بعد أن دلفا سويًا إلى غرفة النوم وقال:

في إيه؟ دول إسبوعين، هنجرب نصائح الدكتور نشوفها هتشتغل ولا لأ.

انشغل في متابعة حاسوبه، ما بين تطبيق التليجرام وبين نافذة الكاميرا التي زرعها بمنزل فريسته، فضل أن يقضي أيام انتظاره بالفيلا خاصته بلوران حتى تعود داليا إلى الشاليه بسيدي كرير، استقبل رسالة نصية عبر الحاسوب الذي كان بالصالة أثناء إعداده للقهوة بالمطبخ وما أن سمع صوت الإشعار حتى مشى عبر الردهة التي تفصل بين الغرف وبين المطبخ ليتفحص ما بها، قرأها في عناية وهو يقترب برأسه من الشاشة:

«ما فيه جديد سيد إبراهيم؟».

وقبل أن يجيبه إبراهيم استقبل رسالة نصية أخرى بها:

«المستر مستني، كتير مهم هالمقطع».

لفت انتباهه وهو يراقب عمل الكاميرات المزروعة سيارة تتحرك فوق الرمال الملاصقة لشاليه ١٧ فازدادت سرعة ضربات قلبه وابتلع ريقه بعد أن شعر أن خطته تكاد أن تكتمل، كتب ردا سريعا مقتضبا للوسيط به:

«قريب أوي».

عاد إلى المطبخ سريعا وصب قهوته وعاد مهرولًا إلى حاسوبه وهو يحملق بشاشة الحاسوب، أعد الكاميرا بغرفة النوم للعمل واستراح فوق مقعده معطيا كل اهتمامه لما سيحدث بين داليا وزوجها اللذان عادا بعد غياب، راقب طارق الذي ما أن ترجل من سيارته هو وزوجته حتى حملها بين ذراعيه وغاصا بغرفة النوم في أحضان بعضهما البعض، راقبهما إبراهيم في مكر وهما يتجردان من ملابسهما وصوت ضحكاتهما يصل إلى أذنه بوضوح تام، قام بتسجيل ما يحدث بينهما بالصوت والصورة، تصبب عرقا وثار شيطانه عندما حملق بجسد داليا البض الذي يعج بأنوثة لا تقاوم أبعدتها عن عيون الرجال كافة واحتفظت بها لزوجها، وما أن رآه حتى ازداد تصميمه على ما ينوي فعله.

Visual Watermark

لم يحرك إبراهيم ساكنًا لنصف ساعة قد تبادل فيها الزوجان ما يروي ظمأهما واشتياقهما لبعضهما البعض، انتظر حتى قاما بالاستحمام بعد أن قضيا شهوتهما ثم أرسل رسالة نصية إلى زيزو وهو لا زال قابعًا أمام الحاسوب بها ليكمل بها بقية خطته:

عايز شقة إيجار لشهر في النقل والهندسة، مش قولتلي خالك ماسك شركة عقارات في الشارع ده؟

أجابه زيزو على الفور:

آه شغال هناك، ادِيني دقايق.

ترك نافذة المحادثة مفتوحة بينهما وعاد لمراقبتهما مرة أخرى حتى استقبل رسالة بها:

موجود، بخمستاشر ألف مفروش، شهر إيجار وشهرين تأمين.

ثم أرسل ملصقًا ضاحكًا وتابع:

وشهر عمولة ليا.

احجز بس باسمك.

فتح تطبيق حسابه البنكي ثم قام بتحويل المبلغ المتفق عليه ثم كتب رسالة نصية أخيرة بها:

هستلم كمان يومين المفتاح منك انت في نفس الشارع، استنى مني تلفون.

اطمأن الذئب ورُسمت على وجهه علامات الراحة، أشبك أصابعه في بعضهم البعض وأراح مؤخرة رأسه فوقهم وهو لا يزال ينظر إليهما ويراقبهما.

أصدر صفيرًا وهو يحتسي من قهوته ثم تصفح هاتفه وقام بطلب سيارة (أوبر) وذهب إلى داخل غرفة نومه، وخلال دقائق معدودة كان قد انتهى من تبديل ملابسه والتخلص من القبعة فوق رأسه وتصفيف شعره الطويل.

دلف إلى سيارة أوبر وسأله سائقها عن وجهته فأعطاه إبراهيم ردًا مقتضبًا وهو يشير إلى هاتف السائق المنصوب أمامه والذي يسير حسب خرائط جوجل:

امشي لوكيشن، أمال أنا طالب أوبر مش تاكسي ليه!

ثم تابع بصوت رتيب وهو يطأطئ رقبته إلى الأسفل تجاه هاتفه:

مزازيك.

انكفأ السائق على وجهه وأكمل قيادة سيارته في نفور من طريقة ووجهة هذا المتعجرف بجواره، لا سيما وجهته إلى الملهى الليلي الأشهر بالإسكندرية والذي يقبع بالقرب من قصر المنتزه. أسرع السائق في قيادته وكأنه يصارع الزمن للتخلص من إبراهيم الذي لم يعطه اهتمامًا حتى عند سماعه لسباب السائقين حوله. وصل بعد دقائق أمام باب الملهى فانتبه إبراهيم وخرج عن شروده نحو أحد تطبيقات الدردشة، سأل إبراهيم:

كام؟

أجاب السائق وهو يشيح بوجهه بعيدًا تجاه زجاج السيارة الأمامي:

بص في التطبيق واعرف كام.

ثم نظر إلى إبراهيم واستطرد بنفس الصوت:

أمال انت طالب أوبر مش تاكسي ليه!

ارتسمت ابتسامة صفراء على وجه إبراهيم الذي أغلق تطبيق الدردشة وفتح التطبيق المنشود وقرأ تكلفة الرحلة بعينيه التي كانت (خمسة وأربعون جنيهًا) فأخرج ورقة من فئة المائة جنيه وأعطاها إياها وهم بالرحيل وسط انشغال السائق الشاب بالبحث داخل جيوبه عن بقية الأجرة. مشى إبراهيم وأغلق الباب خلفه لينادي

Visual Watermark

السائق فالتفت الأول إلى مصدر الصوت ويده الممدودة ببقية المائة جنيه وسط ذهول إبراهيم، قال الشاب ذو اللحية المشعثة قليلًا:

الباقي بتاع حضرتك.

خليه علشانك.

قالها إبراهيم واستدار بكامل جسده إلى باب الملهى ليمسك الشاب برسغه ويديره إليه مجددًا مستطردًا:

لا معلش، شكرا.

حشر المبلغ في جيب معطف إبراهيم الذي بدا على وجهه الانزعاج من تصرف السائق فأخرج النقود وهرول غاضبًا تجاه مقعد السائق الذي استعد للعودة إلى عمله ومال برأسه تجاهه ثم ألقى ببقية الأجرة تجاه وجهه وعلق غاضبًا:

أنا ميتقليش لا.

سبه السائق ووصفه بالمجنون وهو يلملم الورقتين من أرضية السيارة وخرج خلف إبراهيم، لكن الأخير كان قد غاص بين أحضان الملهى تاركًا ذلك الشاب يدفع ويدفع من الأمن المتراص على البوابة والذين منعوه من اللحاق بإبراهيم بعد أن عصف بكرامته وهوي بها أرضًا.

اختلس إبراهيم نظرة إلى الخلف وأرسل قبلة ساخرة في الهواء لذلك السائق الذي ما إن يأس في الدخول حتى عاد إلى سيارته وهو لا يزال يسبه ويلعنه.

رحب به أكثر من نادل وهم يشيرون إلى طاولته المفضلة والتي تقع بالقرب من المسرح وتمنح له رؤية الراقصات والمؤدين الشعبيين عن قرب، أشعل سيجارة بعد أن جلس، أخذ يهز رأسه مبادلًا التحية لكل من يمر بجواره من طاقم العمل، حتى حياه أحدهم تحية حارة مختلفة ومال على أذنه وسأله:

مزاجك جايب إيه النهارده يا عادل باشا؟

أشار المنظم ذو البدلة السوداء والكرافت السوداء إلى مجموعة من المومسات ذوات الفساتين القصيرة والضيقة والتي يغلب عليها اللون الأحمر ليختار من بينهن، كسا وجههن مساحيق التجميل ويتخلل أصابع معظمهن سجائر أو مبسم الشيشة. تَوسَّطهن رجل أصلع في الخمسين من عمره ذو عينين جاحظتين، لفت انتباه إبراهيم ذلك الأصلع الذي يحملق به لكنه لم يعبأ وقال وهو يشير إلى الفتيات:

ولا واحدة منهم، عايزها بلدي.

أعاد القواد رأسه إلى الأعلى في ذهول، لكن لم تمر ثوانٍ حتى أشار إلى إبراهيم بالانتظار قائلًا:

طلبك عندي يا باشا، دقايق.

عاد القواد إلى الطاولة التي يرأسها الرجل الأصلع ومال على أذنه مليًا طلب إبراهيم، فأشار إلى القواد ناحية إحدى الزوايا التي كان في نهايتها باب مغلق ليدلف القواد إليه ولم تمر دقائق حتى خرج بصحبة امرأة ثلاثينية ترتدي عباءة سوداء وبمساحيق تجميل أقل من زميلاتها، مالت بخطواتها وهي تمضغ اللبان حتى رأت الزبون المنتظر فامتقع وجهها وجذبت أذن القواد إلى الأسفل وهمست بكلمات قصيرة جعلته يصطحبها إلى الخلف بعيدًا عن طاولة إبراهيم ودار بينهما حوار قصير اهتم الأخير بمراقبته في قلق حاول السيطرة عليه.

أمسكها القواد من رسغها برفق وعاد بها إلى الأصلع الذي أنصت لها وهي تتحدث وتشير إلى طاولة الزبون المنتظر تارة وإلى هاتفها التي أعطته إياه تارة أخرى وما إن أنهت حتى أمسك بهاتفها وشاهد مقطعًا أشارت إليه الفتاة ثم تحدث بكلمات مقتضبة إلى مساعده القواد تبعها رحيل الأخير رفقة المومس البلدي إلى الداخل مجددًا وغابا عن الأنظار.

Visual Watermark

أطفأ الرجل الخمسيني سيجارته ومشى في تؤدة إلى طاولة إبراهيم الذي حاول مداراة قلقه في متابعة المطرب الشعبي الشهير وهو يطرب الحضور. وقف أمام طاولته وهو لا يزال ممسكًا بهاتف المومس وابتسم له على مضض ثم قال:

طلبك مش عندنا.

ضحك إبراهيم ساخرًا وقال:

نعم!!

مال الأصلع برقبته إلى الأسفل قليلًا وتابع في حدة:

بقول سيادتك، طلبك مش عندنا.

قال إبراهيم وهو يشيح بنظره بعيدًا عنه حتى لا يستشف قلقه:

كل النسوان دي وطلبي مش عندك؟

استند الأصلع بكفيه على الطاولة وقال بصوت رتيب:

لما يكون هدفك مش مزاج وليلة حلوة، يبقى طلبك مش عندنا.

نظر إليه إبراهيم وسأل بعينين تتحركان يمينًا ويسارًا:

مش فاهم؟

جلس الرجل وشغّل المقطع على هاتف المومس وأشار به إلى عيني إبراهيم وقال:

اللي أنت مصورها دي كانت شغالة هنا ومشيت لما الفيديو بتاعها اتسرب.

تابع إبراهيم المقطع المصور بينه وبين إحدى المومسات والذي قام بتصويره دون علمها وبيعه من قبل مقابل حفنة من الدولارات، لم يظهر بالمقطع سوى وجه الفتاة بينما هو كان مرتديًا قناعًا أسود يخفي تفاصيل وجهه بالكامل، علق إبراهيم في ثبات:

وأنت بقى مين قالك إن الشخص ده يبقى أنا؟

أشار إلى الباب الذي اختفت فيه المومس عن الأنظار وقال:

صاحبتها شافتك ليلة ما أخدتها من برة مزازيك، تخيل بقى أنا شكلي إيه قدامهم وأنا المفروض بحميهم وأكتشف بالصدفة دلوقتي إنك كنت السبب إن البنت متجيش تاني، أنا أعدل لك أي حاجة إلا إنك تضر أكل عيشي.

ابتلع إبراهيم ريقه فاقترب الرجل الخمسيني منه وهو لا يزال يستند على الطاولة وتابع ساخرًا:

عايز تصورها للذكرى وتتفرج على الفيديو كل شوية وتقنع نفسك إنك جامد ماشي، تمتع نفسك ماشي، تكون عنيف مع البنت ميشغلنيش، لكن تفضحهم وتخليهم ميشتغلوش تاني، لا.

رجع بجسده إلى الخلف وأردف قائلًا:

اتبسط واشرب وخد واجبك على الآخر، لكن بنات تاني لا.

شعر أنه كاد أن يُهزم في مبارزة الحوار بينهما فحاول كسبه قائلًا في كبرياء وهو يزفر دخان السيجارة إلى الأعلى:

ولو قولت لك ليك نسبة في الفيديو؟

ارتسمت علامات الانزعاج والضيق على وجه الأصلع الذي قال:

أنت عارف حتى لو أنا المفروض أوافق، فمعاك انت مش بالعها، امشي اطلع برة.

Visual Watermark

إيه؟

لم يصدق إبراهيم أذنيه وارتعشت أوصاله إثر تهديده، اقترب العجوز منه مجددًا وأشار إلى الباب الذي يقف عليه ثلاثة رجال من الأمن وأعاد ما قاله بصوت رتيب:

زي ما سمعت، انت يلا فاكر نفسك مين، اطلع برة بدل ما أخليهم يطلعوك بره.

أعاد إبراهيم السيجارة إلى بين شفتيه ونظر في تحدٍ لمن يجلس أمامه ثم قال:

انت كده هتخسر كتير.

زفر الأصلع ضيقًا واستدار بزاوية إلى الخلف مشيرًا بأنامله فقط إلى الثلاثة فاقترب اثنان منهم وأصغوا إليه وسط مشاهدة الفتيات وترقبهن لما سيحدث، أشار إلى الرجلين المفتولين العضلات وأكمل تهديده:

هتطلع بشياكة ولا يطلعوك بطريقتهم؟

وقف إبراهيم بعد أن أطفأ سيجارته وملم أغراضه من فوق الطاولة راسمًا علامات الكبرياء على وجهه وهو يحاول أن يلملم كرامته التي أهدرت للمرة الثانية في دقائق، رمق مدير المكان بعينيه في غضب وتوعد ثم سار بين حارسي الأمن حتى خرج من الملهى منتكس الرأس وهما لا يزالان يتبعانه بعينيهما، هبط الدرج الفاصل بين الملهى وبين الرصيف وهو ينظر إلى موضع قدميه وعندما لامست قدميه الرصيف استقبل لكمة في وجهه أسقطته أرضًا وكاد أن يفقد وعيه بسببها، فتح عينيه ببطء وهو راقد فوق الأرض محاولًا تحديد هوية المعتدي ليجده سائق الأوبر الذي لم يبرح مكانه، قال الأخير في وعيد:

انت كنت فاكرني هسيبك.

ضحك حارسا الأمن اللذان لا يزالان يتبعانه وهما يشاهدانه يُطرح أرضًا وتبعثر خيلته الكاذبة على الملأ، ألقى السائق النقود في وجه إبراهيم وبصق عليه قبل أن يردف قائلًا:

كلب ولا تسوى.

وقبل أن يتجمهر قليل من المارة عاد السائق إلى سيارته في سرعة ورحل تاركًا إبراهيم وهو يحاول أن يجمع شتات أمره ويستند على قدميه. تأرجح يمينًا ويسارًا ثم ارتكز على قدميه وعدل من وضع بذلته ومشى عشوائيًا حتى ابتعد عن مرمى بصرهم، أوقف تاكسي هذه المرة وألقى بجسده داخله ولم تمر دقائق حتى وصل أمام فيلته بلوران، أعطاه أجرته ثم دلف إلى منزله وما أن خطت قدماه صالته حتى خلع عنه الجاكت وألقاه على الأريكة واختلس نظرة إلى الحاسوب الذي لا يزال يعرض ما يدور بمنزل طريدته، شعر بدم شبه جاف أسفل منخاره كان لم ينتبه إليه إثر اللكمة التي كادت أن تهشم عظام منخاره وأسقطته أرضًا، مسح القليل منه بأنامله وهو لا يزال يحدق بما يعرضه حاسوبه.

لم يهتم بما تعرضه الشاشة قدر ما دار برأسه من هواجس حاول الهروب منها كثيرًا، مال ناحية طاولة صغيرة بجانبه وأمسك بورقة بفرة وقطعة حشيش صغيرة مقطعة إلى قطع رفيعة ووضع القليل منها فوق التبغ ثم أحكم لفها جيدًا وأشعلها وبدأ استنشاق دخانها عسى أن تهدأ من ثورته، لكن كان على النقيض هذه المرة.

تكالبت عليه الهموم في تلك الثواني وهو شارد، امتقع وجهه غيظًا فجأة بعد أن سيطرت عليه هواجس الماضي مرة أخرى، راودته فكرة الانتحار ففتح درجًا وأخرج مسدسًا خاصًا بها، أخذ يدور به حول عقلة أصابعه غير عابئ بحشوه بالرصاص، فتح فاه ووضع فوهة المسدس داخله لثوانٍ ثم غلبته نوبة ضحك هستيرية فأخرج المسدس من فمه وأعاده إلى الدرج كما هو.

أخرج كبدة نيئة من الثلاجة ووضعها بشكل عرضي على خشبة نُصبت للقطع في مطبخه الذي كان على الطراز الأمريكي في زاوية من الصالة. أمسك سكينا بيد وباليد الأخرى التي لا زال عليها آثار دم منخاره ثبت الكبدة وأخذ يقطعها حتى أصبحت مكعبات صغيرة وبدأ بتناول إحدى هذه المكعبات ومضغها بعينين خاليتين من أي حياة.

Visual Watermark

مشى صوب الحاسوب وهو لازال يمضغ ما ألقاه في فمه وأمسك هاتفه الذي تلطخ بآثار الدماء وأدار الكاميرا وبدأ بالتقاط عدة لقطات لشاشة الحاسوب التي يتخللها داليا التي كانت نائمة فوق سريرها. فتح تطبيق الفيسبوك ثم تصفحه قليلًا واستخدم البحث ليجد الصفحة الرسمية للكاتبة داليا الصاوي. أرسل عدة صور لأوضاع مختلفة لها من حساب مزيف ثان من بين حساباته المزيفة.

تبع ذلك رسالة نصية منه مرفقة بموقع جغرافي أرسل إحداثياته عبر خرائط جوجل:

إيه رأيك نتقابل أحسن؟

Visual Watermark

بعد أيام قليلة من رؤية ابنته فريدة وبعد أيام قضاها في بنسيونات فيصل مؤقتا استطاع أن يجد مبتغاه وقام بإيجار شقة بالدور السابع الأخير ولا تحوي أثاثا سوى أريكة وسرير للنوم ذو مرتبة قديمة متهالكة دون ملاءة فوقها ومقعد صغير وراوتر للإنترنت حتى لا يصاب بالضجر من مشاهدة حوائطها القذرة وأرضيتها المتسخة. استطاع بالكاد أن يؤجرها لشهر دون مبلغ تأميني بعدما توسط له ياسين صديقه إلى أن يحسم أموره المستقبلية المعقدة وبعدما تطاير ثلاث أرباع مرتبه الشهري بين النفقة وبين فريدة ابنته.

انتهى من التهام علبة الكشري وهو جالس أرضا بعد أن افترشها بعدة كراتين ثم أعاد العلبة الفارغة إلى الكيس البلاستيكي وأغلق إحكامه وألقاه جانبا بجوار قليل من القمامة سيلقيها صباحا وهو خارج إلى عمله بمكتب المحاماة.

استند بظهره إلى الأريكة وفتح هاتفه ومنه إلى قائمة الصور حتى وقعت عيناه على صورة فريدة ذي الابتسامة الواسعة البريئة فسالت منه دموع مصحوبة بابتسامة شوق لها. ظل هكذا لنصف الساعة وما أن فشل في تخطي ماضيه حتى استعان بقطعة حشيش صغيرة أعطاها له أحد المتهمين صباحا بالمحكمة ولم يتمنع عن أخذها كما يفعل بعضهم معه عادة عند توليه قضية دفاع عنهم. وضع القطعة المربعة في كف يده المفتوح ورمقها في استنكار حتى مال إلى كوب فارغ كان بجانبه ونصب تلك القطعة أعلاه بعد أن قطعها وأشعلها واستنشق دخانها الذي أرخى أعصابه قليلا. انتهى منها في حوالي عشر دقائق حتى استمع لطرق فوق الباب. ارتكز على حرف الأريكة ومشى حافيا تجاه الباب حتى فتحه ليجد أن الطارق هو ياسين. نظر إليه الأخير في تعجب بعدما رأى حالته التي يرثى لها ودلف إلى شقته وهو يشمشم:

إيه يا ابني عامل إيه؟ بقالي ساعة برن عليك مقفول، وإيه الريحة دي؟

نظر إلى داخل عيني صديقه بعينين متسعتين عن آخرهما واستطرد في استنكار:

حشيش، حشيش يا علاء؟

لم يهتم علاء بالرد وجلس على الأريكة ليتابع ياسين:

يا بني هي حياتك ناقصة فقر، من امتى بتشرب الهباب ده؟

أشعل علاء سيجارة وأجابه وهو يتنهد بزفير دخانها:

عايزني في إيه؟

جلس ياسين بجواره وربت على كتفه وأخذ يحدثه ويواسيه مرسلا له كثير من رسائل الاطمئنان والدعم النفسي، وأنه سيتخطى تلك الأزمة ويبدأ من جديد، ثم ختم حديثه وهو يشير إلى الكوب الزجاجي الذي تراص على حوافه لون بني من آثار الحشيش وتابع:

بس بلاش الحاجات دي عشان خاطري.

اعتدل ياسين في جلسته وقال في حماس:

وأنا اللي كنت جايبلك خبر حلو؟

أدار علاء رأسه إلى ياسين وأعطاه اهتمامه دون أن يتفوه بكلمة ليقول الأخير مداعبا صاحبه:

مش هتسألني إيه الخبر؟ يا باي عليك لما بتبقى قافل.

قول.

استدار ياسين إليه بكامل جسده وزف خبره وهو مبتسم:

أنا كلمت يارا تليفون من شوية وشرحتلها ظروفك وهي قدرت ووعدتني إنها مش هتطول في السفرية وبالكتير أسبوع وهتشوف فريدة تاني.

Visual Watermark

عادت الحياة إلى روح علاء الذي أخذ يسأل عن جدية ما يقوله ياسين في فرح وحماس، ليكمل ياسين في ثقة:

أكيد والله، من امتى بقولك حاجة مش أكيدة؟

سكنت الراحة وجه علاء بينما سيطرت الشفقة والعطف على ياسين الذي قال موجها النصح إلى صديقه:

بس عشان خاطري متخليش فريدة تشوفك كده.

حاضر والله مش هشرب تاني، دي كانت طياري يا صاحبي من الزهق والخنقة.

سأل ياسين في فضول وهو يشير إلى هاتفه:

مفيش أخبار عن فريدة؟

شخص علاء عيناه على النافذة الزجاجية المغلقة أمامه وأجاب في قنوط:

لا، مكنش فيه جديد وأنا واقف على رجلي، هيكون فيه جديد إزاي وأنا مش قادر أكمل يومي بشكل طبيعي.

دارت عينا ياسين في الشقة حوله تجاه نوعية وبقايا الطعام المتناثر من علبة الكشري فأدرك ما يشير إليه علاء الذي تبدل حاله من حال إلى حال مختلف تماما. أطفأ الأخير السيجارة وتابع بصوت رتيب:

قصة وانتهت، ومبقاش فيه إسكندرية تاني.

ربت ياسين فوق كتفه مجددا واستعد للرحيل بعدما زف على أذني صديقه خبر قد أسعده واتفقا على أن يتقابلا صباحا بمكتب العمل. قال ياسين قبل أن يغلق باب الشقة خلفه:

اتفقنا، مفيش شرب تاني؟

أومأ علاء برأسه مبتسما ابتسامة يعلوها بعض الأمل لم تعلن عن أسنانه ثم عاد إلى الداخل بعدما رحل صديقه المقرب وغاص في النوم بين أحضان الأريكة وبقايا بعض الطعام ورماد السجائر.

قامت بكي فستانها الوردي الواسع وبذلة زوجها وانتقت رابطة عنقه بعدما تحيَّرت لأكثر من ساعة. اختارت له ساعة فضية وحذاء بني اللون، وكذلك لم تغفل حتى عن ملابسه الداخلية وأزرار البذلة والدبابيس قبل ليلة من موعد حفل التوقيع الخاص بها.

انشغل طارق بمكالمة هاتفية يتحدث فيها إلى أحد مساعديه بالمطبعة موصيًا إياه بضرورة شحن كل الكتب للمكتبة التي سيقام بها حفل توقيع زوجته غدًا. حفل التوقيع والمناقشة الذي هو الأكبر من نوعه ومن المتوقع أن يكون به زخم كبير وإقبال لم يحدث من قبل. انتهى من مكالمته وانتبه إلى زوجته التي غاصت في مقعد مجاور للأريكة وأخذت تلتقط أنفاسها إثر التعب. سألها طارق وهو يتحسس خصلات شعرها الناعمة:

إيه يا قمر، كل حاجة جاهزة؟

ابتسمت له ابتسامة انتصار وهي تشير بإصبعيها إلى الأعلى مؤكدة أنها قد أعدت بالفعل كل أغراضهما للحفل المتوقع غدًا. سألها مهمهمًا وهو يحك ذقنه:

بس نسينا حاجة مهمة أوي؟

اتسعت عيناها من القلق وهي تسأله في فضول عن ما قد غفلوا عنه وهي تؤكد أنها انتبهت لكل التفاصيل الصغيرة قبل الكبيرة. وضع يده في جيب بنطاله الخلفي ثم أخرج علبة سوداء طويلة بعض الشيء ومنقوش فوقها كريستال عصفور. ضمت حاجبيها حتى قال لها وهو يفتح العلبة ويشير إلى ما بداخلها:

القلم اللي هتوقع بيه أحسن كاتبة في مصر.

قامت من فوق مقعدها وأخذت تقفز للأعلى كالأطفال بعدما لازمها الذهول والفرحة وهي تمسك القلم الأسود المذهب. احتضنت زوجها وقبلته فوق خديه وهي تثني على هديته واختياره الموفق. سألها في اهتمام:

Visual Watermark

أخبار الدعاية والسوشيال ميديا إيه؟

أعادت القلم في حرص إلى علبته ثم أجابته:

دي الحاجة الوحيدة اللي ناقصاني النهارده، شوية وهفتح اللابتوب وهأكد على معاد الحفلة وأرد على كل الرسائل المتعلقة.

تركها وعاد إلى مكالماته الهاتفية وصب اهتمامه نحوها، بينما أخذت زوجته حاسوبها الشخصي وجلست به في مكانها المفضل على الأريكة بالصالة. ذكرت متابعيها بميعاد الحفل بمنشور على صفحتها، ثم أخذت ترد على بعض من التعليقات التي تمحورت حول (أخيرًا حفل توقيع - طب مفيش حفل في القاهرة؟ - أنا جاي وكل رواياتك معايا). ثم فتحت نافذة الرسائل وردت على أغلبهم في شغف حتى وقعت عيناها على حساب يحمل اسم رواية ثانية من رواياتها (لقاء أخير).

وقفت بالمؤشر على النافذة من الخارج وخشيت أن تقرأ الرسالة لأن صاحب الحساب السابق (الزهرة الزرقاء) كان مصدر تهديد لها.

فتحت نافذة الرسالة بعد أن أخذت شهيقًا عاليًا، وما إن رأت صورها شبه عارية وهي ممددة على سريرها حتى شعرت أن العالم يدور بها وأن قلبها كاد أن يتوقف. حركت عينيها إلى الرسالة التي تلي الصور وقرأتها «إيه رأيك نتقابل أحسن؟» وإلى الموقع الجغرافي الذي أرسله صاحب الحساب والذي هو بالتأكيد إبراهيم قمر، وهذا لم يحتّج تخمينًا منها. كل ما دار برأسها هو كيف التقط كل تلك الصور الكاشفة لها، وماذا سيفعل بتلك الصور، وعن رد فعل زوجها. خشيت أن تخسر كل شيء وسيطر عليها الذعر.

أغلقت الحاسوب دون أن تجيب على رسائله واستغلت انشغال زوجها بالتحدث عبر الهاتف وهرولت إلى داخل غرفة نومها وهي تبحث عن الكاميرا الصغيرة. لم تحتّج إلا ثوانٍ حتى استشفت مكانها ورمقتها في رعب لا زال يسيطر عليها. انهمرت دموعها كمياه تسربت من صنبور صغير تالف لم يتوقف عن ضخ المياه، وهي ترمق الكاميرا بعينين تائهتين، حتى استقبلت رسالة ثانية عبر نفس التطبيق ومن نفس الحساب ولكن عبر هاتفها الذي كان في جيب بيجامة النوم.

فتحت الرسالة وكانت صورة حديثة التقطت للتو وهي تنظر إلى الكاميرا في قلة حيلة، وأُرفقت برسالة نصية منه بها «مقولتيش، هنتقابل ولا أتصرف في الحاجات الحلوة اللي معايا».

نظرت مجددًا إلى الكاميرا ونزعتها من مخبأها ثم وضعتها في كوب مياه كان فوق الكوميدينو المجاور للسرير وعيناها لا زالت تدمعان. تلفت الكاميرا فتوقفت عن التصوير حينذاك لتكتب داليا وهي تجفف دموعها تارة وتطمئن على أن زوجها لازال بالخارج تارة أخرى:

انت عايز مني إيه؟

نشرب قهوة مع بعض.

أرسل لها تلك الرسالة الأخيرة مصحوبة بملصقات ضاحكة. لم تجد ردًا وضربت الحيرة رأسها، تحظر ذلك الحساب وكأن شيئًا لم يكن أم تبلغ زوجها، وحينذاك قد يقع الأخير في مشاكل ويتورط في مصائب مع ذلك المجنون. وقبل أن تحسم قرارها وهي تضغط على زر الحظر، فاجأها برسالة نصية أخرى بها مقطع فيديو مسجل أثناء ممارسة علاقتها الحميمية مع زوجها. جلست على طرف السرير بعدما شعرت بغصة في حلقها، وبعدما ألمتها بطنها التي كادت أن تنفجر من شدة الخوف والاضطراب. راقبت المقطع المصور لزوجها الذي كان عاريًا كما ولدته أمه هو الآخر، فشعرت أن اختياراتها نفدت ولا حل مع ذلك المجنون سوى التحدث معه حتى لا ينفضح أمرها وأمر زوجها، وحتى لا يقتله الأخير لأنها تعلم شدة غيرته وعصبيته المفرطة إزاء من يحاول فقط أن يؤذيها.

قبل أن تهم بالرد على رسائله، فتحت الموقع الجغرافي عبر إحداثيات جوجل لتجده يبعد عن سيدي كرير التي تقطن فيها بساعة ونصف على الأقل، وقريبًا من محور المحمودية وبالتحديد في منطقة عمرانية جديدة بشارع

Visual Watermark

النقل والهندسة الشهير بالإسكندرية.

تأكدت أن غيابها هي وزوجها طوال الفترة الماضية سَهّل له مهمة اختراق منزلها. فاجأتها رسالة أخرى قطعت تفكيرها وربطها بكل الأحداث:

قولي موافقة ومش هتندمي.

ودّت لو توافق على طلبه بشرب القهوة وإنهاء كل هذا بعد أن تملكها الخوف كالعادة، لكنها كانت على يقين أن الأمر لن يقتصر على احتساء القهوة أو التحدث إليها.

وضعت هاتفها جانبًا وأخذت تتأمل السقف وهي تدعو الله أن يكون كل ما رأته كابوسًا ليس إلا. كتبت ومسحت مرارًا حتى ضغطت على زر الحظر لحسابه، متمنية أن يكون هذا هو أقصى ما يمكن لهذا المجنون أن يفعله.

خرجت إلى الصالة في تؤدة حيث زوجها الذي كان قد أنهى مكالمة أخرى خارج الشاليه. أجراها بالخارج لأن شبكة الاتصال تكون أقوى، وعندما عاد أشار إلى الكاميرا الأخرى المنصوبة عند بوابة الدخول وسأل زوجته:

الكاميرا باين إنها أكتيف واشتغلت. هو انتِ صلحتِ السيستم وأنا مش هنا؟

حملقت تجاه الكاميرا بعينين متسعتين ولم تجبه. أعاد سؤاله مرة أخرى ثم هتف مناديًا إياها لتستفيق من شرودها، ولكن تلعثمت الحروف على شفتيها. أصدر هاتفها رنينًا قصيرًا يعلن عن استقبالها رسالة أخرى، وودت لو تكذب ظنها.

فتحت الرسالة التي كانت من حساب آخر غير الذي حظرته منذ دقائق وكان باسم (عادل عادل) لتجد صورة لهما وهما عند مدخل الشاليه حيث تقف بالقرب من زوجها. فنظرت في ضعف إلى الكاميرا الأخرى المخترقة. سألها طارق بعد أن سيطر عليه الفضول:

هو فيه حاجة؟

قالت بصوت يصحبه قليل من الحدة:

انت لازم تصلح الكاميرا دي في أسرع وقت.

أجاب مندهشًا:

ماشي، قلقانة ليه كده؟ دي حتة كاميرا تعبانة جايبة مدخل البيت بس. أنا لو كلمت الفني يجي دلوقتي مش هيرضى.

لم تغير كلماته أو تقلل من الحيرة التي تسكن ملامحها، فظن زوجها أنه توتر أصابها بسبب قرب الحفل أو قد تكون هرمونات متقلبة وأنها لا تعني بالتأكيد أن تنفر بهذا الشكل. قال محاولًا أن يطمئنها:

بكرة أول ما نرجع هصلحها، أوعدك.

صمت هنيهة ثم سأل باهتمام:

انتِ في حاجة مضايقاكِ؟

وضعت الهاتف في جيب بيجامتها بسرعة ثم نفت وهي تهز رأسها:

لا أبدًا، تعبانة شوية، هنام وهكون كويسة.

عادت إلى غرفة نومها وهي تلوم نفسها أنها لم تفصح بعد عما يحيق بها من خطر حتى لأقرب الناس إليها. وازداد جلد الذات داخلها أنها لم تملك من القوة كي تخبره وتلقي على كتفه بهمّ لم يكن في الحسبان.

دخلت غرفتها وأغلقت الباب والأنوار خلفها ثم جلست على سريرها وكتبت للحساب الأخير:

Visual Watermark

هتستفاد إيه من كل ده؟ يعني لما هشرب معاك القهوة مشاكلك كلها هتتحل؟

بصراحة مش كل مشاكلي هتتحل، لكن مايضرش.

أخذت تقضم أظافرها من شدة الغيظ وتهز قدميها في توتر ضرب كل أطرافها، لا سيما أنها قد توقفت عن أخذ دواء الاكتئاب. كتبت مرة أخرى:

مش خايف إني أبلغ عنك أو عن المكان اللي باعتهولي أو أقول لجوزي وهيتصرف معاك؟

أرسل إبراهيم عدة ملصقات مضحكة استفزت طريدته ثم كتب:

هتبلغي عن مكان مش متأجر باسمي ولا أنا قاعد فيه؟ طب نفترض إنك هتقولي لجوزك، مش خايفة وقتها مصر كلها تسهر على فيديوهاتك.

توقف عن الكتابة ثم أرسل رسالة أخرى:

بس انتِ طلعتِ كرباج على السرير.

بكت بحرقة في تلك الثواني بعدما ضغط إبراهيم على نقطة ضعفها، الخوف. وفضلت أن تضع يدها فوق فمها لتكتم أنينها خشية أن يشعر من يقف بالصالة بما يحدث بالداخل. كتب لها رسالة أخرى:

أنا هكون جدع معاكِ وهسيبك تخلصي حفلة توقيعك بكرة، لكن من بعد بكرة لو محددتيش معاد نتقابل فيه خلال ٣ أيام، هنزل أول فيديو.

اغتاظت فضغطت على زر الحظر مجددًا وكأنها تهرب من مأزقها بتلك الطريقة. رمت الهاتف بعيدًا ثم أكملت قضم أظافرها لثوانٍ ثم استعادته وأجرت اتصالًا ببسنت، مرة، ثلاث، عشر، حتى سمعت صوتًا خافتًا لبسنت. رحبت داليا بها وقالت غير مهتمة بنبرة صديقتها غير الطبيعية:

آسفة لو اتصلت كل المرات دي بيكِ، بس أنا واقعة في مصيبة ومفيش حد غيرك ممكن يفهمني.

استندت بسنت على رخام المطبخ ودفست رأسها خلف الثلاجة بعيدًا عن أعين زوجها ثم سألت وهي تختلس نظرات إلى الخلف:

فيه إيه، خير؟

سألت داليا بعدما انتبهت لصوت صديقتها:

مال صوتك؟ فيه حد جنبك؟

لا مفيش، أنا بتكلم في المطبخ بعيد عن جوزي عشان ميسمعش. قولي، سامعاكِ.

أخذت داليا شهيقًا طويلًا وروت ما حدث بالتفصيل وسط انصات بسنت التي لم تزل تتوقف عن اختلاس النظرات للوراء. كادت أن تنصحها حتى اخترق أذنها صوت زوجها الذي وقف على حافة المطبخ. أشار إلى هاتف زوجته وقال هاتفا:

انتِ بتكلمي مين يا بسنت؟

أعاد سؤاله أكثر من مرة، فأبعدت زوجته الهاتف عن فمها محاولة أن تكتم الصوت، لكن من توترها فشل الأمر ووصل كل الانفعال إلى أذني داليا التي انتكس رأسها من شدة الإحراج. اقترب حسن زوج بسنت منها ثم تابع بصوت عالٍ:

داليا صح؟ أنا مش قولت مفيش مكالمات ولا زيارات ليها تاني، كلامي مابيتسمعش ليه؟

قالت بسنت بصوتٍ يملؤه الإحراج هي الأخرى قبل أن تنهي المكالمة:

أنا آسفة يا داليا. هقفل دلوقتي وهكلمك تاني.

Visual Watermark

أنهت بسنت المكالمة وبدأت شجارًا مع زوجها، استسلمت فيه لتعاليمه خوفًا من قراراته الصارمة، ووعدته بألا تجري اتصالات بها، لكن ذلك سيسبقه رسالة اعتذار منها وستكون الأخيرة إلى داليا.

سيطر اليأس محل الخوف لدى داليا التي لم تتوقف عن البكاء وإرسال دعواتها إلى السماء متمنية من الله أن يزول كل هذا. استقبلت آنذاك رسالة نصية من بسنت بها:

«أنا آسفة لو سمعتِ كلام ماكانش المفروض تسمعيه، وآسفة أكتر إني مش قادرة أكون جنبك في محنتك، اعذريني لو مش هقدر أرد على اتصالك تاني، وطبعًا مش هقدر أزورك في إسكندرية لأن زيارتي المرة اللي فاتت هي سبب المشاكل بيني وبين جوزي، لكن لو عايزة نصيحتي، أمر خطر وتهديد زي ده لازم تبلغي بيه جوزك وهو يتصرف. خدي بالك من نفسك يا حبيبتي وربنا يحفظك من كل شر».

أغلقت نافذة الرسائل بينها وبين صديقتها عبر تطبيق الواتساب وأخذت تفكر كثيرًا في نصيحة بسنت. ودت لو تملك القدرة على تنفيذها، لكنها تخشى عليه أكثر من نفسها.

راودتها فكرة فنهضت من فوق سريرها وأمسكت بحاسوبها وبحثت عبر جوجل: «إبراهيم قمر سباقات الفورميلا».

ظهرت نتائج بحث كثيرة تتمحور حول مشاركة أول بطل مصري في سباق السيارات الأشهر عالميًا وهو سباق الفورميلا ١، بل وإحرازه مركزًا متقدمًا. تصفحت بقية النتائج حتى استوقفها عنوان بارز به «إيقاف البطل المصري إبراهيم قمر عن المشاركة في مسابقات الفورميلا لأجل غير مسمى».

ضغطت عنوان الخبر الذي لفت انتباهها وقرأت تفاصيل الخبر الذي شرح فيه كاتبه أسباب إيقافه، وأنها ترجع إلى كونه يتعاطى المخدرات منذ صدمة تعرض لها البطل المصري في وفاة زوجته. ورجح الصحفي أن إبراهيم قمر استسلم لحزنه وقهره بعد موت زوجته، وهذا ما جعله مدمنا وغير قادر على خوض السباقات العالمية.

أغلقت نافذة البحث ورمت هاتفها هذه المرة بعيدًا حتى لا تشغل عقلها بما لا تجد أية إجابات عنه، لاسيما بعد أن قرأت عن الصدمة التي تعرض لها ذلك المجنون وحولت مسار حياته. لكنها لم تفهم حتى الآن ما سر تحوله إلى تلك النسخة المؤذية وليست الحزينة لفراق زوجته.

روت فضولها بعد أن عرفت معلومات هامة عنه، لكنها لم تجد ما قد يوقفه عن العبث معها. غلبها توترها فغاصت في النوم بعد تفكير وخوف لازمها، ولم تستفق إلا عندما أشرقت الشمس.

استيقظت لتجد زوجها قد أعد لها الإفطار، والذي قد لاحظ شحوب وجهها وشرودها، لكنه تعمد ألا يتحدث فيما حدث بالأمس وانشغل بالتحضير وإعادة الأسئلة التي ستطرح في المناقشة حتى تعد إجاباتها.

بعد أن حلت الرابعة عصرًا، كانا قد أتما استعدادهما للذهاب إلى المكتبة الكبرى بالإسكندرية. دلفا إلى سيارة طارق الذي انطلق مسرعًا حتى لا يتأخرا عن الموعد، وعينا داليا لا زالتا متعلقتين بالكاميرا الخارجية المنصوبة عند باب الشاليه حتى سلكا الطريق الرئيسي المؤدي إلى وسط البلد.

وصلا قبل الموعد بربع ساعة، ومروا بين الحضور الذي تخطى المائة شخص ثم صعدا إلى المنصة ليرحب بهما مدير المكتبة، ثم أعلن عن انطلاق المناقشة التي استمرت لساعة، تخللها أسئلة أدبية وأحيانًا بعض المداعبات من الجمهور، حتى قال طارق وهو ينظر إلى ساعته اليدوية:

فاضل عشر دقايق، نقدر نستقبل فيهم سؤالين تلاتة كمان، وبعدها اللي حابب يوقع رواياته هيتفضل طبعًا.

رفعت شابة صغيرة يدها فأذن لها طارق بأن تسأل، لتنطلق الفتاة بكل حماس وتسأل عبر الميكروفون الذي كان بين كلتا يديها، سؤالًا عن الرواية القادمة المرتقب صدورها خلال شهور.

لم تنتبه داليا إلى السؤال رغم وضوحه واستماع كل القاعة جيدًا له. وكل ما انتبهت له هو جلوس شاب طويل يرتدي قبعة بيضاء في آخر صف من المقاعد بعد أن تزاحم مع قليل من الوقوف ومر بينهم وجلس خلسة.

Visual Watermark

وكأن هناك سيارة دهست قفصها الصدري وسدت كل السُبل لوصول الهواء إلى رئتيها، ودت لو تصرخ، أو تختبئ خلف زوجها ليحميها منه.

محصت النظر به جيدًا، ليرسم هذا الشاب ابتسامة صفراء فوق وجهه لم تعلن عن أسنانه وبعينين مشخصتين البصر نحوها.

«هو إبراهيم قمر»، هكذا تحدثت إلى نفسها دون صوت.

أعادت الفتاة السؤال حينذاك مرة أخرى، لكن بلا إجابة من داليا. لم تخرج الأخيرة من سيل أفكارها إلا عندما نكزها زوجها من أسفل المنضدة وهمس بصوت خافت جازًا على أسنانه دون أن يحرك شفتيه حتى لا ينتبه الحضور:

السؤال، السؤال يا داليا عن الرواية الجديدة.

اقتربت من الميكروفون بعد أن استجمعت قليلًا من قواها وأعطتها إجابة مقتضبة:

قريب، قريب إن شاء الله هعلن عن كل التفاصيل.

استشف طارق أنها لم تعد تقوى بعد على إكمال المناقشة، فقال وهو يشير إلى منصة التوقيع:

نكتفي بالأسئلة لحد كده، التوقيع على المنصة يا شباب.

التف الحضور حول منصة التوقيع تاركين مقاعدهم بعد أن سبقتهم الكاتبة، ولكن بعينين لا زالتا مثبتتين ناحية إبراهيم الذي كان جالسًا فوق كرسيه كما هو.

انتبهت إلى أعين الحاضرين - المنتظرين أدوارهم للتوقيع - الممتلئة بالشغف، وبدأت في كتابة الإهداءات ولكن بذهن مشتت، وقعت لثلاث شابات كن مع بعضهن البعض، ثم نظرت إلى الكرسي الذي حمل إبراهيم فوقه لتجده شاغرًا هذه المرة. تاهت عيناها بين المقاعد والأبواب بحثًا عنه حتى لاحظ زوجها الذي كان يقف خلفها، اقترب من أذنها وهمس:

بتدوري على حاجة؟

أشارت إلى رأسها وقالت متعمدة أن تبدل دفة الحوار:

مصدعة شوية، ممكن تجبلي مسكن صداع معلش.

أشار إلى عينيه الاثنتين بأنه سيلبي طلبها، وبينما هو يخرج من القاعة التي توقع بها زوجته رواياتها، رن هاتفه. أجاب على المكالمة وهو يتلفت إلى الخلف حيث تنغمس زوجته بين الكتب والقراء.

بينما أخذت داليا تنظر إلى حيث جلس ذلك المجنون بين كل دقيقة والأخرى، وعندما انتظمت أنفاسها قليلًا وبدأ خوفها ينكمش، استقبلت رسالة نصية عبر نفس التطبيق بهاتفها الذي كان فوق المنضدة حيث الروايات التي تُوقع.

التقطت هاتفها وفتحت التطبيق لتجد حسابًا آخر يحمل اسم (الزهرة الزرقاء) وقد أرسل لها رسالة نصية:

أظن إنك اتأكدتِ النهارده إني مش بهزر.

ابتلعت ريقها بصعوبة وارتعشت أصابع يدها حتى أن الهاتف كاد أن يسقط أرضًا.

كتب حساب الزهرة الزرقاء مجددًا:

وافقي عشان لو موافقتيش أول فيديو ليكم هينزل كمان ساعة.

قرأت رسائله بعينين دامعتين حتى أرسل واحدة أخرى:

مستنيكِ بكرة الساعة أربعة في نفس اللوكيشن.

Visual Watermark

ضغطت داليا على الحروف في غل وكتبت:

مش جاية ومش هاجي، ارحمني بقى، لو عندك أخت ترضى حد يعمل فيها كده.

حاولت استعطافه واستجداء مروءته لكنه أطال في فترة الرد، فانتبهت هي إلى الحضور الذي لم يتخطَ عددهم الست أفراد بين سيدات شابات ومراهقات. وقعت لهن في عجلة من أمرها حتى لا تتذمر إحداهن، ثم انتبهت إلى هاتفها مجددًا بعد أن استقبلت رده:

بكرة الساعة أربعة نشرب القهوة مع بعض.

كتبت داليا مجددًا:

مش جاية، وهقول لجوزي دلوقتي وهبلغ عنك مباحث الإنترنت لو مسبتنيش في حالي.

استجمعت قواها ثم تابعت برسالة أخرى:

ولو عايز تنشر الفيديو براحتك، أنا مش بعمل حاجة غلط، ده جوزي.

قرأ إبراهيم رسالتها هذه المرة ولم يجِبها لدقيقة من الزمن، وهذا ما ألقى الذعر داخلها. كتب رسالة أخيرة بها:

هتندمي إنك قولتِ لا للمرة الثانية.

اختارت عدم الرد وعدم وضعه في قائمة الحظر مثل كل مرة، ثم أغلقت إضاءة هاتفها وأمسكت بمؤخرة رأسها من شدة الصداع. وضع زوجها أمامها على المنضدة شريطًا من دواء المسكن (بانادول) لتلتقط واحدًا منه وتضعه في فمها وتشرب القليل من المياه. شكر طارق مدير المكتبة على استقباله، ثم اصطحب زوجته إلى الخارج حيث سيارته وسط صمت يطبق عليهما. لاحظت داليا الغضب المكتوم الذي يسكن وجه زوجها ولم يعلن عن سببه بعد. سألته عما به لكنه لم يجب، وأكمل قيادته حتى سلك الطريق الصحراوي العائد إلى سيدي كرير. تلقت رسالة أخرى شغلتها عن طارق لكنها لم تقرأها وتعمدت أن تشيح بنظرها بعيدًا عن الجالس بجوارها حتى لا ينتبه للتوتر الذي يزداد.

سألت زوجها بعد دقائق مجددًا بعدما لم تتلقَ إجابة عن سؤالها ليتوقف بالسيارة جانبًا ويتنهد عاليًا وهو يفرك جبينه ويسأل:

داليا، انتِ مخبية حاجة عني؟

حاجة زي إيه؟

انفعل طارق وأخذ يضرب بوق سيارته أكثر من مرة بكلتا قبضتي يده حتى أنها انزوت والتصقت بزجاج السيارة الجانبي. قال منفعلًا وهو يرفع سبابته للأعلى:

يعني أعرف من الغريب إن فيه خطر حواليا أنا ومراتي، ومراتي نفسها عارفة ومش بتقول ليا. أفهم ده إيه؟

مش فاهمة، خطر إيه وغريب مين؟ بالراحة يا طارق وفهمني.

نظر إليها بعينين جاحظتين ثم فتح هاتفه وأخرج رقمًا غير مسجل بقائمة الأسماء، ثم استطرد قائلًا:

عارفة ده رقم مين؟ ده رقم حسن جوز بسنت صاحبتك. اتصل بيا وأنا في الحفلة عشان يحذرني، وبعت لي الرسائل بينك وبين مراته وكل حاجة.

ابتلع ريقه وشعر أن ضعفه وعجزه كادا أن يتملكاه حتى أنه قارب على الدمع. أشاح بوجهه هذه المرة وتابع:

أعرف إني بتصور وأنا نايم مع مراتي، وأكتر من مرة وأنا زي المغفل معرفش حاجة ولا قادر أحميكِ! تخيلي صَعبت على الغريب وحب يفهمني عشان أحافظ عليكِ، وانتِ لسة مصممة تخبي.

سأل مجددًا في انفعال وعصبية وهو ينظر إليها:

Visual Watermark

ليه؟ مفرقش معاكِ أكون آخر من يعلم؟ أمال إزاي أنا الراجل بتاعك والمفروض أكون بحميكِ؟

دار بعينيه مجددًا إلى الأمام ثم أكمل بصوت رتيب وكأنه يعاتب نفسه:

أنا الغلطان في كل الأحوال. مكنش ينفع أبدًا أوافقك على فكرة إننا نعيش في مكان مش أمان وبعيد زي ده. أنا لما وافقت، وافقت عشان تخفي وتبقى أحسن وتستعدي للتعامل مع الناس تاني، مش عشان...

سكت ولم يكمل حديثه، بينما بقت داليا كما هي منزوية بين المقعد والباب. لم تحرك ساكنًا حتى أن عينيها ظلا مشخصتين نحوه، كأنها ترجوه أن يتوقف عن عصبيته، كأنها تريد عتابه، وكأنها تريد احتضانه أيضًا لتستمد منه القوة. استجمعت قواها وقالت بعينين ثابتتين في محجرهما كما هما:

أنا آسفة.

نظرت إلى عينيه هذه المرة وتابعت بعينين بدأت أن تفيض بما فيهما من دموع:

أنا مقولتش ليك عشان خايفة عليك ومن رد فعلك، وعشان متوصلش للحالة دي.

سكتت هنيهة ثم أكملت وهي تبكي:

أنا عارفة إني غلطانة بس كنت فاكراه هيزهق ومش هيبعت تاني، وكنت هقولك النهارده. والله كنت هقولك النهارده، صدقني.

شهقت عاليًا ثم قالت بصوت مضطرب:

أنا خايفة يا طارق.

لان قلبه وتبددت آثار العصبية من فوق وجهه وحل محلها الرفق بها. ربت على كتفها ثم ضمها إليه وأخذ يمسح على رأسها ويكفكف دموعها، ثم رفع رأسها إليه بكلتا يديه ونظر داخل عينيها وقال:

أنا معاكِ ومش هسيبك ولو كان الثمن أي شيء، اطمني.

تابع بجدية:

بس عايزك تحكيلي كل حاجة من الأول عشان أقدر أوقفه.

هزت رأسها بالإيجاب أنها ستخبره بكل شيء، وما لبثت أن بدأت حتى أصدر هاتفها رنينًا قصيرًا مثل سابقه، ويعلن عن استقبالها لرسالة نصية. ارتعد وجهها من جديد وهي ترمق هاتفها بعد أن تأكدت أن الراسل هو ذلك المجنون. سألها طارق وهو يشير إلى هاتفها:

هو؟

أومأت برأسها مؤكدة أنه هو من يبحث عنها، يطاردها من حساب مزيف من بين حساباته. أشار لها طارق بأن تناوله هاتفها ففعلت، فتح نافذة الرسائل بينهما وقرأ الرسائل السابقة - والتي لم تكن كثيرة - بسرعة حتى وقعت عيناه على رسالتين كانتا الأخيرتين منه إليها: «هتندمي إنك قولتِ لا للمرة الثانية».. «هديلك فرصة لحد بكرة تغيري رأيك».

انتهى من قراءة رسائله لا سيما الأخيرة، ثم ضغط على زر التسجيل الصوتي وسجل له مقطعًا صوتيًا به:

أظن لما تسمع صوتي دلوقتي هيوفر عليك كتير، وحياة أمي حياتك دي لأقلبهالك جحيم، مش بس هبلغ عنك مباحث الإنترنت عشان فيديوهات وتهديداتك لمراتي، لا ده شيء مفروغ منه وكده كده هيحصل، لكن أنا قبلها هاخد حقي منك بإيدي عشان حظك إنك وقعت في إيد واحد صعيدي.

Visual Watermark

خرج من الحفل قبل أن ينتهي، ثم عاد إلى سيارته وأشعل سيجارة منتظرًا. بين كل دقيقة والأخرى كان ينظر إلى ساعة يده الرولیکس الذهبية وإلى رسالتها الأخيرة له عبر تطبيق المانسجر، والتي كانت بها:

ولو عايز تنشر الفيديو براحتك، أنا مش بعمل حاجة غلط، ده جوزي.

فأرسل إبراهيم لها في غيظ بعد أن قرأ رسالتها عدة مرات:

هتندمي إنك قولتي لا للمرة الثانية.

بعد دقائق، رأى طريدته وزوجها يخرجان ويسرعان في طريقهما إلى السيارة حتى يحتميا من البرد داخلها. أدار محرك سيارته واستعد للانطلاق وراءهما. تحركت سيارة طارق ودواليا وخلفهما إبراهيم الذي حافظ على مسافة ليست بالقصيرة بينهما حتى لا ينكشف أمره. كتب لها رسالة نصية أخرى بها:

هديلك فرصة لحد بكرة تغيري رأيك.

فتح إبراهيم تطبيق التيلجرام ثم أرسل لنافذة محادثة كانت الأولى في البحث:

محتاج أأجل تسليم مقطع الفيديو شوية.

تقصد الفترة قد إيه؟

رفع إبراهيم رأسه إلى السماء وهو يفكر ثم أعاد الكتابة:

يعني شهرين أو تلاتة، وممكن أكتر، فيه حاجة مانعاني.

لحظات عم بلغ المستر وأرجعلك.

مرت تلك اللحظات في الانتظار كأنها سنوات على إبراهيم، ترقب الأخير رد الوسيط في قلق حتى كتب:

المستر بيبلغك كنسل الديل.

ضغط إبراهيم على الحروف وهو يكتب في عصبية:

يعني إيه؟ أنا بقالي شهور براقبها وكمان دفعت كتير، إزاي أكنسل؟

خوي، للمرة المليون أنا وسيط، وهذا كلامه وصلته لك. هو عم يقول لو جبت المقطع في نفس الفترة المتفق عليها هيكون في حسابك مائة ألف دولار كيف ما اتفقتم.

زفر إبراهيم ضيقًا وهو لازال يقود سيارته، كتب مجددًا:

طب ممكن نأجل أسبوع واحد بس؟

ولا يوم واحد تأجيل خوي، آخر الأسبوع إذا ما جبت المقطع الديل اتكنسل، ولو حابب يصير نفس الديل ساري ممكن تختار شخصية عامة تانية وتنفذ الاتفاق وهنعطيك الكاش.

مين قالك إنها مسألة كاش بس؟ ممكن تبلغ المستر بطلبي، اديني أسبوع أو أتنين زيادة فوق المهلة، البنت تستاهل.

لحظات.

أشعل سيجارة تلو الأخرى وهو يحدق بالشاشة حتى استقبل رد الوسيط خلال دقائق:

المستر بيقولك معك لآخر الشهر القادم، لكن المبلغ هيصير النصف، خمسين ألف دولار فقط إذا تأخرت.

نظر إلى التاريخ المدون على شاشة الهاتف وحفظه عن ظهر قلب، لم يفكر في العرض ولم يشغل عقله حول تقلص المبلغ إلى النصف بل كتب إلى الوسيط بسرعة بعد أن حصر الأيام المتبقية له حتى تنفيذ خطته:

ديل، اتفقنا.

Visual Watermark

هم إبراهيم بالعودة من طريق آخر والتوقف عن ملاحقتهما لاسيما أنه لن يجني شيئًا من وراء مراقبتهما، لكنه تفاجأ بتسجيل صوتي أُرسل من زوجها طارق، والذي ما أن سمعه حتى ارتعد خوفًا وبات على يقين أنه سُيقبض عليه لا محالة بعدما أرسل له طارق وعيدًا بالانتقام منه ثم الزج به في السجن.

تسجيل صوتي انتهى بكلمات:

لكن أنا قبلها هاخد حقي منك بإيدي عشان حظك إنك وقعت في إيد واحد صعيدي.

أبطأ في سرعته خلفهما وهو يعيد تشغيل المقطع الصوتي أكثر من مرة حتى تسرب إليه شعور بأن مهمته أصبحت مستحيلة في الوقت الحالي وأنه طالما طارق بمصر فلن يتسنى له الاقتراب منها لاسيما بعد خسر رهانه حول امتلاك داليا الشجاعة وإخبار زوجها بأمر مراقبتها، وهذا ما فعلته في النهاية.

هذا لم يمنع تسرب إحساس الغيظ داخله، ضغط على دواسة البنزين بقوة حتى تضاعفت سرعته، أصبح على مقربة منهما ويفصل بينهما عشرات الأمتار فقط، تزاحمت الأفكار العشوائية في رأسه، ما بين خوف وغيظ وتوعد، خاصة لأن داليا هي الطريدة الوحيدة التي تعلم هويته الحقيقية نقيض كل من سبقوها سوى مارلين التي ماتت، وهذا ما جعل الرعب يسيطر على أوصاله وقلص من حلوله بالهرب بعيدًا وإنهاء كل شيء وكأنه لم يكن من الأساس.

بات لا يملك اختيار الابتعاد لأن أمره قد فُضح فتبادر إلى ذهنه مخطط شيطاني لم يملك من الحلول غيره.

ظل خلفهما بسيارته وأطفأ أنوار مصابيحه حتى مع انحسار النهار وغروب الشمس، وصلا إلى سيدي كرير وبدأت الطرق المؤدية إلى الشاليهات تضيق تدريجيًا عن الطريق الرئيسي، وهذا ما سيسهل تنفيذ خطته.

دار إبراهيم من طريق آخر غير ممهد وسبقهما إلى جسر أسمنتي علوي - يعلو عن الطريق الرئيسي بخمسين مترًا ويسع سيارة واحدة - ويؤدي إلى الشاليه بعد أن كاد عداد سرعته يصل إلى آخره، وهذا ما جعل رأسه ترتطم في سقف السيارة أكثر من مرة، لكنه لم يكترث.

وصل لنهاية الكوبري وغاب طارق وزوجته عن الأنظار، فتوقف بسيارته واستدار بها وانتظر ظهورهما في بداية الكوبري من الناحية الأخرى حتى يبدأ ما يخطط له.

دقيقتين من الزمن وأصبحت سيارتهما الهيونداي الخضراء تظهر في الأفق، ألقى إبراهيم سيجارته من النافذة واستعد بوضع قدمه على دواسة البنزين بعدما أصبحا في منتصف الجسر، راهن إبراهيم على مهاراته في القيادة التي لا يمتلكها الكثير في مصر وبدأ بقيادة سيارته فوق الجسر ليصبح مواجهًا لسيارة طريدته ولا يفصل بينهما سوى عشرات الأمتار.

آنذاك كان طارق يمسك بهاتفه منشغلًا بالتحدث إلى أحد أصدقائه قائلًا:

هاني باشا، إزاي معاليك، كنت عايزك في بلاغ كده، لا مش معايا أنا، يخص مراتي.

ما لبث أن يكمل حتى لاحظت داليا سيارة قادمة لا مناص منها في الطريق الضيق وبسرعة قصوى وبرؤية كادت أن تكون منعدمة، لم يسعفها الوقت في أن تنبه زوجها الذي كان مشغولًا وقالت:

طارق، خلي بالك.

غامر إبراهيم بحياته واقترب بسيارته - التي كادت أن تطير من سرعتها - من الجزء الأيسر بسيارة فريسته الذي يحوي داليا، لم يملك طارق من الحلول آنذاك إلا أن يستدير بسيارته إلى أقصى اليمين حتى يفادي زوجته من أثر الصدمة، أصدرت سيارة طارق صريرًا عاليًا قبل أن يصطدم بالسور الحديدي وتتهشم سيارته ومعها رأس طارق الذي لم يمتلك من وسائل الأمان في سيارته ما يحميها، وقبل أن تلحق بها سيارة إبراهيم بأمتار قليلة قفز الأخير منها لتكمل السيارة المسرعة دهس ما تبقى من طارق الذي لم يكن قد فارق الحياة بعد.

استقبل طارق السيارة المسرعة التي هشمت جسده بصراخ عالٍ قبل أن يلتصق حديدها ويتداخل في عظامه

Visual Watermark

ويعم الصمت على المكان.

توقفت أنفاس طارق نهائيًا بينما من بجواره كانت تجاهد في فتح عينيها المغطتين بالدماء، لم يصل إلى عينيها سوى طيف أضواء السيارة الأخرى حتى اختفت الرؤية تمامًا ولهثت أنفاسها المتسارعة حتى هدأت تمامًا وغابت عن الوعي.

قام إبراهيم من فوق الأسفلت بصعوبة وهو يستند على ركبته المصابة بعد أن قفز على جانبه الأيسر وارتكز بشكل خاطئ فوقها وأصابها.

لم يكن هناك إلا ضوء القمر المكتمل ومصباح واحد غير معطل من سيارته هما ما يشفعان له بالرؤية وسط الظلام الحالك وانعدام المارة والسيارات، اقترب من سيارة فريسته في تؤدة وهو يبحث عن هدفه وسط حطام السيارة.

مر بجوار مقعد السائق ليجده قد اختفت معالمه وتوقفت حركته وغطت الدماء كل جسده من أطراف شعره حتى أخمص قدميه، دار حول السيارة ليتفحص داليا التي كانت غائبة عن الوعي، وضع أنامله بالقرب من منخارها ليتحسس نبضها وعندما استشعر أنفاسها اطمأن لنجاح خطته.

حاول فتح الباب المجاور لها بصعوبة حتى خارت قواه ولم ينجح، فعاد إلى سيارته التي تحطم صاجها الأمامي وأخرج من حقيبتها عتلة ضخمة ثم عاد إلى حيث تجلس داليا وحشر العتلة بين الباب وهيكل السيارة وحاول هذه المرة بكل قوته حتى نجح أخيرًا في فتح الباب وسقطت داليا التي كانت ترتكن إلى الباب أرضًا.

نجح النصف الأول من خطته فعاد إلى سيارته وحاول أن يدير محركها عدة مرات حتى دارت ليرجع بها إلى الخلف، وما أن ابتعدت سيارته عن بقايا السيارة الأخرى حتى تراءى له جسد طارق.

لم يهتز لإبراهيم جفنًا عندما رأى أحشاء طارق بارزة حتى وصلت للأسفلت من شدة الاصطدام وخرج من سيارته ليكمل خطته ويعود بداليا إلى داخلها.

ما لبث أن حملها بين ذراعيه بصعوبة بعد أن استنزف قواه حتى رأى أضواء سيارتين قادمتين خلف بعضهما البعض، لم يسعفه الوقت كي يكمل خطته فهرول إلى سيارته التي قد كان أدار محركها وأطفأ مصباحها حتى لا يلفت الانتباه وعاد إلى الخلف بعيدًا عن اتجاه السيارتين.

أخذ يصرخ ويخبط على دفة القيادة بعد أن فشل في تحقيق مراده، استطاع رؤية السيارتين - من خلال مرآته - قد توقفا عن سيرهما واتجها لإنقاذ داليا التي لم تفارق الحياة بعد.

كانتا سيارتين لعائلة واحدة وهما في طريقهما للعودة إلى منزلهما بنفس القرية السياحية التي تقطن بها داليا، اقتربت سيدتان منها وحملاها بصعوبة إلى سيارة من السيارتين وأسرعا بها إلى المشفى.

بينما حاول ثلاثة رجال إخراج جثة طارق التي التصقت بالكرسي لكنهم فشلوا في ذلك مما اضطرهم إلى إبلاغ الإسعاف التي جاءت إلى مكان الحادث خلال نصف ساعة.

في الطريق إلى المشفى كانت السيدتان يستمعان إلى داليا التي تهلوس وهي لم تزل تمكث في مقعدهما الخلفي للسيارة، استدعى طاقم طبي وتمريض من قسم الطوارئ لعمل اللازم، والذين اصطحبوها إلى العناية المركزة لمحاولة إنعاش قلبها ونبضها الذي كاد أن يتوقف.

استمرت محاولات الإسعاف لثلاث ساعات حتى خرج أحد الأطباء من غرفة العناية وتوجه إلى إحدى السيدتين المرافقتين لداليا والتي بالكاد أكملت الأربعين من عمرها وسألها باهتمام:

حضرتك من أهلها؟

نفت السيدة كونها تعلم هوية الضحية فسألها الطبيب عما حدث لتسرد له ما حدث وسط إنصات الطبيب الذي أشار إلى ممرض بجواره وتابع قائلًا:

Visual Watermark

يبقى تبلغ الشرطة حد يجي منهم لأن دي حادثة وفيه تحقيق، وشوف لو معاها أي رقم لحد من أهلها يجي يتابع كل الإجراءات.

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025

Visual Watermark

أفاقت من غيبوبتها ولازمها طنين شديد فوق أذنيها واستمر لثوانٍ حتى هدأ وبدأت تستمع لمن في الغرفة حولها، أصوات مألوفة لديها وأصوات عرفت منذ الوهلة الأولى أنها لطاقم طبي يمكث بجوارها وهذا يرجع للمصطلحات الطبية وصوت رنين الأجهزة. انتظرت داليا أن يُنزع من فوق عينيها الغمامة التي تمنع الضوء عن الوصول إلى عينيها، لكنها عندما تحسست بأصابعها تجويف عينيها لم تجد ما يمنع رؤيتها للأشياء حولها. تسرب الفزع إلى قلبها بعدما استشعرت فقدان بصرها وقالت بصوت انتبه له الموجودون حولها:

أنا فين؟ ومش شايفة ليه؟

جرت السيدة التي - كسا وجهها مساحيق التجميل - وبالكاد تخطت الخمسين من عمرها صوب ابنتها ولملمت شعرها المصبوغ باللون البني وأعادته للخلف قبل أن تجلس على سرير ابنتها وتقول:

ألف سلامة يا حبيبتي، ألف سلامة، الحمد لله إنك كويسة.

أخذت الأم تحتضنها تارة وتقبل جبينها تارة أخرى، لكنها انتبهت في النهاية إلى وجه ابنتها ذو الملامح الجامدة. قالت داليا بصوت رتيب وبعينين مشخصتين ثابتتين في الفراغ:

أنا مش شايفة ليه؟

لم تجد الأم من الكلمات ما قد تزيل به خوف ابنتها واكتفت بنظرة إلى الطبيب الذي اقترب وأخذ يفحص النبض وينظر إلى الشاشة الصغيرة التي تعرض نبضها ويحرك كف يده أمام عينيها ثم استخدم كشافًا صغيرًا وغرس ضوءه في بؤبؤي عينيها، لكن ذلك لم يحرك لها جفنا. سألت الابنة مرة أخرى وهي تبكي هذه المرة:

يا ماما، أنا مش بشوف ليه؟ جاوبيني والنبي؟

سكتت داليا لثوانٍ ثم أخذت تدور برأسها يمينًا ويسارًا وتابعت:

وطارق فين؟

سألت الأم الطبيب المشرف عما يحدث بوجه كساه الخوف. أشاح الطبيب بنظره بعيدًا وكتب بعض المهدئات لداليا لتبدأ الممرضات حوله في إعطائها جرعة منها. خرج الطبيب وتبعته الأم ثم تبعهما شاب يرتدي سلسلة ذهبية تصل حتى منتصف بطنه. سألت الأم بعينين كادتا أن تنهمر منهما الدموع:

طمني، هي بنتي اتعمت يا دكتور؟ قولي لا وريحني، قولي إن دي أعراض مؤقتة وهترجع تشوف.

أجابها الطبيب الشاب وهو ينظر إليها في رفق:

مقدرش أحدد دلوقتي ده سبب عضوي ولا نفسي، حالتها الصحية تستقر شوية وساعتها هنعرف.

ثم تابع الطبيب كمن تذكر شيئًا:

ويا ريت متقولوش دلوقتي إن جوزها اتوفى.

بس هي لازم تعرف.

مش دلوقتي، أنا حتى تحقيق النيابة هأجله لحد ما تبقى في حالة نفسية تسمح.

أثناء ذلك اقترب منهما الشاب الذي كان في منتصف عقده الرابع وسأل زوجته:

قالك إيه؟

لم تعِر الأم انتباهها وعادت بأدراجها إلى غرفة ابنتها ليتبعها ذلك الشاب مرة أخرى. كفكفت الأم دموعها واخترقت صفوف الممرضات اللاتي كن يقفن حولها وجلست مرة أخرى على سرير ابنتها وأخذت تطمئنها وأن تلك الأعراض وخاصة فقدانها للرؤية هي مؤقتة. دلف إلى الغرفة رجل صعيدي وزوجته ذات الملابس السوداء المتواضعة ومعهما قطّ داليا الأبيض. قال الرجل بصوت يغلب عليه الحنان:

Visual Watermark

ألف سلامة يا أستاذة داليا، ألف سلامة يا بنتي.

أنصتت داليا جيدًا إلى صاحب الصوت المميز ثم قالت مرحبة:

عم غانم.

قالت أمها وهي تشير إليه:

الراجل الطيب هو ومراته ده بقالهم أسبوع معانا ومسابوناش يوم واحد من ساعة الحادثة، وواخدين بالهم كمان من القط بتاعك، شوفتي بيحبوك إزاي؟

نكزت زوجها الذي كان يعبث بهاتفه في ملل واستطردت:

وحمادة كمان صمم يفضل معايا هنا لحد ما نتطمن عليكِ.

خبطت حمادة زوجها في كتفه مجددًا حتى يتحدث، فقال وهو لازال يثبت ناظريه على شاشة هاتفه:

سلامتك، بسيطة إن شاء الله.

تجاهلت داليا سؤاله المصطنع وسألت أمها عن زوجها مجددًا ليقول حمادة وهو ينظر إليها هذه المرة:

شدي حيلك.

رمقته الأم بنظرة غضب واشمئزاز قبل أن تصرخ داليا وتهيج غضبًا وأخذت تنزع خرطوم المحلول وجهاز رسم القلب من فوق رسغيها قبل أن تقول:

هو فين يا ماما؟ فين بالله عليكِ؟ طارق ماماتش صح؟؟

أعادتها الأم وزوجة العم غانم إلى سريرها لتعطيها إحدى الممرضات حقنة مهدئة. خارت قواها وأغمضت عينيها تدريجيًا وتلاشى مع ذلك هتافها العالي باسم زوجها. استمر مفعول المهدئ حتى اثني عشر ساعة لتستفيق داليا مرة أخرى، نادت بصوت أيقظ أمها وزوجة غانم الذي آثر أن يتركها داخل الغرفة ويبيت هو خارجها حتى الصباح:

طارق مات يا ماما؟

كله مقدر ومكتوب يا بنتي، قدره كده.

سكتت الأم لثوانٍ ثم سألت في فضول:

هو إيه حصل؟ احكيلي.

ترسخ في ذهنها رأس زوجها المهشم ودمائه التي غطت وجهه وهو جالس بجوارها فجحظت عينيها بعدما تذكرت المشهد الأخير قبل أن تفقد وعيها. قالت في ثبات وهي تحاول النهوض من على سريرها:

أنا عايزة أصلي.

طب استني بس تبقى...

قاطعتها داليا وتابعت في حسم:

عايزة أصلي ركعتين، لازم أصلي.

استسلمت الأم للأمر الواقع وساعدت ابنتها حتى ضغطت على قدميها المتصلبتين ومشت بصعوبة حتى وصلت إلى الحمام وتبعتها قطتها التي أخذت تتمسح في قدميها وكأنها تبث داخلها الطمأنينة. توضأت ثم وضعت حجابًا فوق رأسها - كان لزوجة العم غانم - وافترشت الأرض وصلت ركعتين تناجت فيهما مع ربها وفاضت إليه بكل شيء، ركعتين كانتا الأطول في حياتها. ما أن انتهت من صلاتها حتى أعادتها الأم إلى سريرها، سألت الأم مجددًا في فضول لازال يسيطر عليها:

Visual Watermark

مش هتحكيلي إيه اللي حصل؟

لم تتفوه داليا بأيّة كلمة لتعاود أمها الحديث في محاولة لبث الطمأنينة في نفس ابنتها:

طب بلاش تحكي، أنا عايزاكِ تيجي تقعدي معايا، كفاية بقى يا بنتي، انتِ بقيتِ لوحدك، عايزة الناس تقول عليكِ إيه؟ ده أنا حتى قولت لحمادة ووافق...

قاطعتها داليا مجددًا:

هاخد عزا جوزي وهرجع أقعد في الشاليه.

استشاطت الأم غضبًا لكنها حاولت أن تسيطر على أعصابها وقالت:

ليه بتعملي كده في أمك؟ ده أنا بحبك وعايزاكِ تيجي تقعدي معايا.

ابتسمت داليا ابتسامة هادئة تحمل معها الكثير من الحسرة وقالت:

كل اللي فارق معاكِ كلام الناس، متخفيش هقولهم إني أنا اللي اخترت أبعد مش انتِ. ممكن تسيبيني في حالي بقى.

قامت الأم من فوق السرير هذه المرة ولم تستطع التحكم في عصبيتها:

مفيش فايدة فيكِ، عمري ما عملت عشانك حاجة وقدرتيها، ربنا عمره ما بيسيب حق، إيه موت جوزك مخلكيش تتعظي وتهدي؟

تسارعت أنفاس داليا وشعرت أن رأسها تدلت على صدرها من شدة التعب، استجمعت قواها وقالت لأمها:

اطلعي برة.

ثم أردفت وهي تنحب عاليا:

لو مكنتيش أمي وربنا أمرني أبرك كنت قولتلك مش عايزة أشوفك تاني.

خرجت الأم تلملم ما تبقى من كرامتها فاقتربت زوجة حارس العقار من الابنة وحاولت تهدئتها. لاحظ العم غانم خروجها فطرق الباب وتنحنح حتى أذنت له زوجته فدلف إلى الغرفة. سأل زوجته عما حدث لتقول داليا في حسم:

أنا هاجي الشاليه من بكرة الصبح يا عم غانم مش هستنى هنا ولا هروح معاها البيت.

إيه حصل بس؟

أنا كنت فاكراها اتغيرت بس هي أنانية ومش هتتغير، حتى في أكتر فترات ضعفي وتعبي مرحمتنيش، فاكر اللي عملته فيا وحكتهولك يا عم غانم؟ فاكر؟ أنا مش هسيبها تأذيني تاني.

فاكر وخفت ده يحصل تاني عشان كده استنيت ومروحتش. أنا ومراتي تحت أمرك يا بنتي، أنا بعتبرك زي بنتي عزة بالظبط ربنا يعلم.

حركت داليا رأسها إلى حيث يقف العم غانم وأردفت قائلة في ضعف:

ممكن تخليكم معايا وتحموني.

Visual Watermark

استقلت سيارة أجرة من أمام المدافن عن طريق تطبيق أوبر ورافقها العم غانم وزوجته وقطتها بعد انتهاء التحقيقات وإنهاء محضر الحادثة ضد مجهول بعد هروب صاحب السيارة الأخرى المجهول بمركبته، والتي لم تستطع داليا أن تعطي أية معلومات عن أوصافه أو عن سيارته سوى أنها كانت سيارة سوداء، وعللت بذلك أن كل شيء حدث في ثوان معدودات ولم يسعفها الوقت في أن تلحظ أي شيء، جزم الجميع لا سيما رجال الشرطة أن الجاني قد هرب خوفًا من أن يتحمل مسئولية موت أحدهم وإحداث عاهة لزوجته، وأن ذلك الجاني كان ينوي مساعدة داليا لكن عندما تراءى له عدة مركبات أخرى قد توقفت في الطريق قرر الهروب خوفًا.

دُفن زوجها وحضر جنازته عائلته ولفيف من الكُتاب والشعراء بملابس متشحة بالسواد. استندت داليا على ذراع زوجة غانم طيلة اليوم حتى إنهاء مراسم الدفن وعزمت على العودة إلى منزلها مع أخذ وعد من العم غانم بالبقاء معها أغلب ساعات اليوم وحراستها وتنظيف المنزل وشراء كل الأغراض لاسيما بعد أن فقدت زوجها وبصرها، عرضت حينذاك عرضًا ماليًا إضافيًا على العم غانم مقابل الساعات الإضافية لكنه رفض وأصر أن يكون ما تدفعه مثل ما يدفعه بقية قاطني الشاليهات بالقرية.

اشترت عصا سوداء طويلة كي تتعكز عليها وتقيها من شر عوائق الطرق وكذلك استخدمت على هاتفها العديد من التطبيقات لمساعدة المكفوفين أهمهم تطبيق (Be My Eyes).

وصلت إلى الشاليه الخاص بها وما أن ترجلت من السيارة هي وغانم وزوجته وصعدت الدرج الفاصل بين الرمال وبين باب الشاليه حتى قالت وهي تشير إلى الأعلى بعصاها:

عم غانم، عايزة أصلح الكاميرا الي هنا، النهارده، الموضوع ميتأجلش.

وافق العجوز الذي كان يحمل حقيبة كبيرة بها كل أغراضها، لتتابع هي:

ويا ريت تخلي شاشة المراقبة عندك في البيت، حتى الساعات الي هتكون مش عندي فيها تبقى شايف مدخل البيت.

تفهم غانم خوفها وأعطاها موافقة أخرى على طلبها دون تفكير أو مناقشة، دخلا إلى المنزل وما أن وقفت بمنتصف صالتها حتى قالت أم عزة:

هنضفلك وهرتبلك كل حاجة النهارده.

وضع غانم الحقيبة أرضًا وقطها الذي كان يحمله باليد الأخرى والتقط أنفاسه ثم قال لزوجته:

الأهم إننا نسيب كل حاجة مهمة في مكانها عشان الست هانم متتعبش وهي بتدور على حاجة.

ثم تابع غانم وهو يشغل أنوار المنزل:

أنا كمان كلمتلك واحد حبيبي بلدياتي هيبعت بنت تيجي تقعد الكام ساعة الي أنا ومراتي فيهم برة البيت.

ملوش لازمة يا عم غانم أنا مش هطول في القعدة هنا، المهم بس متنساش تجيب فني يصلح الكاميرات الي برة.

تحركت داليا خطوتين للأمام وهي تتحسس بعصاها أثاث المنزل وقالت:

أنا عايزة أخد شاور.

قالت أم عزة وهي تساعدها في الوصول إلى باب الحمام:

هاجي معاكِ، أساعدك.

أشفقت داليا على نفسها وقالت في كبرياء:

ملوش داعي، شغلي المياه الساخنة بس وهاتيلي طقم من جوة أوضتي وأنا هتصرف.

ناولتها زوجة غانم ملابس نظيفة بعد أن آبت من غرفة نومها وانتظرتها بالصالة حتى تنتهي، بينما عاد غانم

Visual Watermark

إلى منزله ليبدل ملابسه هو الآخر ويقضي مهامه المتأخرة لبقية الشاليهات وللشركة المالكة أيضًا.

خلعت داليا ملابسها بالكامل وفتحت المياه الساخنة وأخذت تتحسسها بأناملها إلى أن اطمأنت لدرجة حرارتها، وما أن وضعت كامل جسدها أسفل المياه الساخنة حتى اشتعلت ذكرياتها في رأسها.

لم تفارق مخيلتها رأس زوجها المهشمة ودمائه المهدرة وعجزها عن تقديم المساعدة له. تذكرت أنها باتت وحيدة مذ الآن فبكت بصوت مكتوم وهي تفرك وجهها بالمياه الساخنة. شعرت فجأة بمغص في بطنها وقيء كاد أن يخرج من فمها، فخرجت من أسفل المياه الساخنة وهرولت إلى حوض صغير بجوارها وتقيأت بعد أن تاوّت وأصدرت أهات مرتفعة انتبهت لها زوجة العم غانم. سألت الأخيرة وهي تطرق باب الحمام في قلق:

ست هانم، انتِ كويسة؟

اتكأت داليا على جدار الحمام حتى فتحت الباب بصعوبة لتدخل أم عزة وخلفها الهرة التي أخذت تدور حول قدمي صاحبتها. وضعت السيدة العجوز روبًا فوق جسد داليا الذي كان يرتعش من البرودة وضمتها إليها حتى قالت داليا في ذهول يعتلي وجهها:

أنا شكلي حامل.

ارتسم على وجه السيدة العجوز مزيج من المشاعر، فرحة اختلطت بالشفقة والعطف، قالت:

دي تبقى هدية من ربنا ليكِ وفي وقتها يا ست هانم.

مشيًا سويًا إلى غرفة النوم وهي لا تزال تضمها إلى داخل جسدها. تابعت:

أد إيه ربنا كريم، بيقطع وبيوصل.

ساعدتها حتى تمددت على السرير ووضعت فوقها أكثر من غطاء ليهدأ جسدها الذي لم يتوقف عن الارتعاش. لحظات واستسلمت للتعب ولم تتركها أم عزة حتى تأكدت أنها قد خلدت للنوم فنامت هي الأخرى بجوارها ولكن على كرسي صغير يقبع بجوار السرير. استيقظت من نومها بعد ساعات لتجد غانم قد أصلح الكاميرات ووضع عدة أقفال على الباب الخارجي كما طلبت مالكته، ورتبا أغراضها وأدويتها خاصة البانادول لصداعها المتكرر. أخذًا يعرفانها على مكان أشيائها ومكتبتها وطعامها وطعام القطة وأغراضها هي الأخرى. طلبت داليا من حارس العقار أن يستدعي طبيبًا للتأكد من حملها لطفل من عدمه، وفي المساء كان الطبيب حاضرا وقام بفحصها وسؤالها عدة أسئلة استنتج فيهن حملها. هنأها الطبيب ووصف لها عدة مكملات غذائية ومقويات ثم رحل. هنأ حارس العقار وزوجته داليا تباعًا حتى قالت الأخيرة:

الله يبارك فيك يا راجل يا طيب، من بكرة يا عم غانم تعرض الشاليه للبيع أو تبلغ الشركة اللي ماسكة القرية هنا يحددوا سعر ونخلص. أصدرت كحة خفيفة ثم تابعت:

ويا ريت لو تشوفلي شقة إيجار مناسبة لحد البيع.

سألها الرجل الصعيدي في قلق:

هتروحي فين يا بنتي، وهتقعدي مع مين ومين هيخدمك؟ هو فيه حاجة مخوفاكِ؟ أنا من امبارح عايز أسألك ليه كل الأقفال دي؟

نظرت حولها وهي تتأمل تفاصيل عش الزوجية الذي أصبح كهفًا في جبل لا تريد أن تأوي إليه. كل التفاصيل والذكريات السعيدة في المكان أصبحت عبئًا على قلبها ولا تريد أن تزيد من ذلك العبء. وكل ما التقطه ذلك المجنون زادها خوفًا من أن يكرر مجددًا، وهذه المرة لن ترى شيئًا مما يفعله. قالت في ضعف:

خلاص يا عم غانم، لا حالتي النفسية ولا الصحية تسمح أقعد في المكان ده.

حركت وجهها ناحيتُه واستطردت وهي تتحسس بطنها:

Visual Watermark

بقى فيه بيبي كمان. عايزاه يطلع كويس وهو مش هيكون كويس إلا لما أنا نفسيًا أكون كويسة ومش خايفة من حاجة.

سألها العم غانم عن الموقع الذي تريد فيه شقة إيجار مؤقتة فأخبرته بأن تكون قريبة من كل الخدمات وخاصة مستشفى، وأن يكون بها حارس أمن ومراقبة بالكاميرات. لم يمر أربعة أيام حتى جاءها العم غانم بخبر يقين أنه وجد مبتغاها، شقة في محطة الرمل وبالدور الأول، وينطبق عليها كل المواصفات. وأخبرها أن تلك الشقة ستكون متاحة خلال ثلاثة أيام من تاريخه، أي برحيل المستأجر القديم ستستطيع داليا الانتقال إليها. شكرته داليا واستغلت اليومين المتبقيين لها بالشاليه وحاولت إنهاء روايتها التي كانت قد قاربت على إنهائها.

استخدمت برنامجًا لتحويل النص الصوتي إلى كتابي. حاولت أن تكتب وتنفض عنها غبار اليأس والحزن، حاولت مرارًا لكن فشلت. يومين حاولت فيهما استغلال وقتها في أمور أخرى بعدما فشلت في الكتابة، فقامت بأداء دور زوجها في إدارة دار النشر. تابعت المهام مع مساعدته وأخبرتها أنه من ذلك الحين ستتابع داليا كل كبيرة وصغيرة كان يقوم بها زوجها.

أخبرت داليا مساعدته أنها ستنتقل قريبًا إلى وسط البلد بالإسكندرية وأن ذلك سيسهل متابعة أمور العمل حتى ولو كان بمنزلها الجديد المؤقت.

يومين لم يفارقها فيهما العم غانم وزوجته ووفا بوعدهما بحمايتهما إلا بضع ساعات خلال النهار لقضاء الأعمال الخاصة بالشركة التي وظفتهما، وبضع ساعات خلال الليل للاطمئنان على ابنتيهما وقضاء مهام أخرى تأخرا في تنفيذها، حتى مواعيد الدواء وشراءه كانا يحرصان على الدقة في تنفيذها. تصفحت بين الحين والآخر مواقع التواصل الاجتماعي التي عجت بأخبار عن الحادثة الأليمة التي تعرضت لها هي وزوجها وفقدانها للبصر، واستطاعت سماع تلك الأخبار عن طريق مساعد جوجل أحيانًا وبعض إذاعات الراديو أحيانًا أخرى.

شغلت البقية من وقتها بمحاولة الاستماع إلى رواياتها عبر أحد التطبيقات الصوتية تارة وبمحاولة الاستماع إلى الموسيقى تارة أخرى، وبالمواظبة على برنامجها الصحي وأخذ الأدوية والمقويات والمتابعة مع الطبيب المشرف على حالتها بعد الحادثة. تخلصت من كل الأعراض الجانبية للحادث عدا الصداع الذي لازمها، لكن ما طمأنها هو حديث الطبيب حول ذلك العرض وأنه مؤقت وسيتلاشى. تأقلمت، وكلما صاحبها القنوط كانت تتحسس بطنها وتتذكر من ينتظر الخروج للحياة وينتظر أمًا وأبًا ومرشدًا له. فيعود الأمل داخلها وتنفض عنها كل أفكارها وهواجسها في الانتحار والتخلص من تلك الآلام النفسية، خاصة الخوف من المجهول.

بينما كان إبراهيم قد عاد مجددًا إلى الشاليه ١٤ ولكن بقدم مُجبّرة برباط ضاغط يساعده في الارتكاز عليها، حاول أن يحصل على بعض المعلومات من غانم بذريعة أنه يريد شراء شاليه يطل على البحر وليس جانبيًا مثل خاصته، وسأله إذا توافر شاليه بتلك المواصفات، لكن غانم كان حريصًا ولم يبلغه سوى بنية داليا في بيع الشاليه الخاص بها بعد موت زوجها ومكوثها بالشاليه بمفردها، وأن الشركة التي تدير القرية تعرضه للبيع إذا ما أراد شراءه.

تفهم إبراهيم أنه لم يعد يملك من الوقت الكثير لتنفيذ خطته مرة أخرى، وأنها ستكون مستحيلة إذا ما انتقلت تلك الكاتبة إلى مكان آخر مأهول بالسكان والحراس.

وفي ليلة رحيل داليا عن الشاليه، أفسد إبراهيم نظام إضاءة الشاليه الخاص به وحطّم عدة زهريات لتتناثر قطعها أرضًا، ثم أجرى اتصالًا بمقر الشركة التي تدير القرية وأخبرهم بالعطل. وما هي إلا دقائق وكان العم غانم حاضرًا ومعه فني كهربائي لإصلاح العطل. شرح لهم إبراهيم أنه حاول إعادة الكهرباء بمفرده لكن الأمر باء بالفشل. استعد الفني لأداء عمله ليقترب إبراهيم من غانم الذي كان يضيء مصباح هاتفه ليرى الفني ما حوله في هذا الوقت المتأخر، قال إبراهيم:

وأنا بحاول أصلح الكهرباء كسرت فاظتين صغيرين غصب عني، والمكان زي ما أنت شايف محتاج تنضيف.

أشار غانم إلى عينيه وقال:

Visual Watermark

عينيا يا بيه، الصبح المكان هيتنضف.

توتر إبراهيم وقال وهو يحاول أن يخبئ قلقه:

أنا بس خايف حد يتعور، مينفعش يتنضف دلوقتي.

أجرى غانم اتصالًا بزوجته - التي كانت بمنزل داليا وهو على علم بذلك - وأخبرها أنه يحتاجها لساعة من الزمن في شاليه ١٤ لتنظيفه. اعتذرت زوجته لداليا وأخبرتها أنها ستعود ما أن تنتهي من عملها، لتبتسم داليا لها وهي تزيل عنها الحرج وتنشغل بمداعبة قطها الذي كان بين ذراعيها.

لم تمر خمس دقائق حتى جاءت زوجته بخطى مسرعة إلى الشاليه المنشود وانضمت إلى زوجها والفني الذي لا زال يصلح العطل منتظرين إياه حتى ينظفا المكان بأكمله.

وحينما اجتمعا الرجل وزوجته - وهما العائقان الوحيدان لتنفيذ خطته - في منزل إبراهيم، تعلل الأخير بالذهاب بسيارته كي يبتاع عدة مصابيح جديدة عوضًا عن التي تلفت.

رحل إبراهيم بسيارة متواضعة من بين سياراته هذه المرة تاركًا غانم غارقًا في حيرته، سألته زوجته عما به ليجيب:

معرفش، الراجل ده غريب أوي، ومن ساعة ما مراته حجزت الشاليه، وهي مظهرتش خالص، وطلباته وتوقيت ظهوره وأسئلته غريبة.

أشار غانم إلى الفني بيده وقال:

خلصنا يا بلدينا بسرعة بالله عليك.

دقيقتين وكان إبراهيم متوقفًا بسيارته أمام شاليه ١٧، ترجل منها ثم فتح الحقيبة الخلفية للسيارة وأخرج منها شريطًا لاصقًا وعلبة رذاذ مخدر صغيرة ووضعهما في جيب معطفه الواسع. عدل من وضع قبعته البيضاء ونظارته الفضية الطبية اللتين يخفيان معالم وجهه، ثم استدار ناحية الشاليه المظلمة أنواره ومشى نحوه ببطء.

حاول فتح الباب الأمامي لكنه كان مغلقًا بعدة أقفال فاستدار إلى الخلف حيث كان قد فتحه من قبل. حاول لكنه لم ينجح هذه المرة بعد أن صنعت داليا أقفالًا أخرى حوله.

استدار إلى نهاية الشاليه والتقط بعينيه نافذة المطبخ مفتوحة على وسعها. حاول القفز من خلالها واستغلال طول قامته لكنه لم ينجح.

نظر في ساعته اليدوية ليجدها قد قاربت على الثالثة صباحًا وأنه لا يملك من الوقت الكثير قبل عودة الحارس أو زوجته إلى حيث تقطن داليا.

عاد إلى الخارج وحمل كرسيًا لأريكة كان بالردهة الخارجية وعاد به إلى نافذة المطبخ، وضعه أسفلها مباشرة ووقف على حافته واستطاع هذه المرة أن يكون داخل المطبخ. لم يرَ شيئًا أمامه إلا قطة صغيرة بيضاء لها سلسلة مميزة ترتديها حول عنقها. أصدرت القطة مواءً خفيفًا ناحية ذلك الغريب ثم هربت خوفًا أسفل رخامة المطبخ، ليسقط شريط دواء بنادول في سلة القمامة بعد أن تعثرت به القطة.

خرج إلى الصالة ووقف بجوار مكتبتها وانتظر فريسته حتى تخرج من غرفة نومها وتتجه إلى المطبخ وهي تتحسس رخامته بحثًا عن مسكن الصداع الذي ألقاه القط في سلة القمامة. كاد أن ينقض عليها من الخلف لكن سرعان ما أجرت داليا مكالمة صوتية عبر تطبيق Be My Eyes وهي تعود إلى الصالة وهي تخبط بعصاها السوداء يمينًا ويسارًا في أثاث منزلها حتى جلست على الأريكة وقالت بصوت أقرب للهمس وهي تحدث نفسها: «أنا منبهة على أم عزة متحركش البانادول من مكانه، الصداع هيموتني».

أنصت إلى داليا التي كان يدور بينهما وبين غريب حوارًا عبر مكالمة فيديو وهي تسأله عن موضع مسكن البانادول بعد أن عادت إلى المطبخ مجددًا ووجدت مبتغاها.

Visual Watermark

تأهب حتى تنهي المكالمة ويحكم سيطرته عليها، لكن ما أن ترامى إلى أذنه -ملاحظة ذلك الغريب التي تتحدث إليه داليا- لوجوده حتى انقض عليها وأنهى المكالمة وأحكم الشريط اللاصق فوق فمها تبعه الرذاذ المخدر إلى أن غابت عن الوعي. فحملها فوق كتفه بعد أن أحكم ربط ذراعيها إلى الخلف وعاد بها إلى حقيبة سيارته وهرب مسرعًا.

بينما في خمسين دقيقة كان العم غانم قد أصلح العطل الكهربائي ونظفت زوجته الشاليه من آثار الخزف، انتظرا صاحب المنزل الذي قد تأخر لدقائق أخرى وعندما يأسا من رجوع إبراهيم أغلقا الشاليه خلفهما وعادا بزوجته إلى حيث تقيم داليا.

دلفا إلى شاليه ١٧ الذي كان بابه مفتوحًا هذه المرة وأخذت زوجته تنادي على داليا التي لم تجب، وعندما تفحصا أرجاءه وجدوه شاغرًا.

اقترب العم غانم من المكتبة التي عَجّت بالفوضى وسقطت كتبها أرضًا، ثم انحنى ليلتقط هاتف داليا المهشّم من فوق السجادة بعينين جاحظتين مذعورتين، التفت إلى زوجته وقال:

لازم نبلغ الشرطة.

ظلام حالك، واهتزاز لعجلات سيارة تصطدم بمطبات، بعضها هوائي وبعضها من الحصى والطوب المهشم، ورائحة شريط لاصق تحتل أنفها، ألم شديد يحتل كل مفاصلها لا سيما ركبتيها المثنيتين إلى الداخل، حاولت فرد قدميها إلى الأمام لكن لم تجد مساحة لذلك فتيقنت أنها محبوسة في صندوق سيارة.

حاولت الصراخ لكن الشريط اللاصق يكتم ذلك، حاولت نزعه لكن يداها مكبلتان من الخلف ولا تستطيع تحرير نفسها، بكت وأصدرت أنينًا مكتومًا عندما تذكرت ما قد حدث منذ ساعات، أو أيام، هي لا تعلم كم مكثت في هذا الصندوق.

آخر ما تذكرته كانتا اليدان اللتان التفتا حول رقبتها وأسقطتها أرضًا أثناء إجراءها مكالمة لذلك الغريب عبر تطبيق (be my eyes) بحثًا عن مسكن الصداع خاصتها.

لاحظت تباطؤ السيارة التي كانت تنقلها وسمعت صوتًا لباب يُفتح، ثم أكملت السيارة حركتها مجددًا لعدة أمتار ثم توقف المحرك نهائيًا وترجل أحدهم منها، واستمعت إلى صوت خطواته ترتفع تدريجيًا حتى توقفت.

استشفت أن قائد السيارة يستعد لفتح الحقيبة، وهذا ما جعل ضربات قلبها تزداد سرعتها حتى كادت أن تسمعها.

ترامى إلى أذنها صوت إيلاج مفاتيحه بالحقيبة، ثم هواء بارد ينعش جسدها الساخن بعدما عرضها للهواء.

قال ساخِرًا:

لحقتي تفوقي.

ميزت صوته، هو إبراهيم قمر، ما لبثت أن حاولت الصراخ والإفلات من الحبل الملتف حول ذراعيها وقدميها حتى أخرج إبراهيم علبة رذاذ المخدر ووضع القليل منها أسفل منخارها لتغيب عن الوعي بعد عدة ثوان.

حملها فوق كتفه ودخل إلى ورشة إصلاح السيارات الخاصة به في فيلته بلوران، ومنها إلى باب صغير في نهايتها دفعه بقدمه ليعلن عن غرفة أخرى خلف الورشة معزولة الصوت عن بقية الغرف وحتى عن الورشة، ومفروشة بالسجاد البني. في نهاية أحد أركانها يقبع سرير صغير وحمام ملحق بالغرفة لا يتعدى طوله مترين وكاميرا مثبتة أمام السرير مباشرة.

ألقاها على السرير ثم نزع الشريط اللاصق من فوق فمها وفك وثاق قدميها ويديها، وقبل أن يستعد للرحيل وإنهاء آخر جزء في مهمته عاد بأدراجه ناحيته وأعاد الشريط اللاصق فوق فمها وكل شيء كما كان في حذر.

أغلق باب الغرفة خلفه ثم أحكم إغلاق باب الورشة، ثم دلف إلى نفس السيارة مجددًا وسار بها إلى طريق

Visual Watermark

الملاحات حيث دفن مارلين. وقبل أن يتخلص من السيارة استدعى سيارة أجرة ثانية عبر تطبيق (أوبر)، وعندما اطمئن لقرب سائق الأجرة منه تحرك بسيارته إلى حافة الملاحات، ثم خرج منها ودفعها بكل قوته إلى الأمام لتسقط أمام عينيه وتغرق في مياه الملاحات ويتبدد معها خيط قد يشير إلى هويته بعدما اختفى عن القرية وهرب بعيدًا مستعينًا بتلك السيارة.

دلف إلى سيارة الأجرة التي وصلت بعد دقائق من إغراقه للدليل، وعاد إلى منزله خلال أربعين دقيقة حيث تنتظره فريسته. دلف إلى الغرفة السرية حيث تنام داليا ليجد الأخيرة قد استيقظت وانزوت في أحد الأركان ممسكة بركبتيها بكلتا يديها اللتين لا زالتا مربوطتين وتستند برأسها على الحائط خلف السرير.

سمعت صوت المفاتيح فسألت في ذعر:

مين؟

قهقه إبراهيم وهو يقترب منها ثم قال:

معقولة كل ده ولسة معرفتيش مين؟ ده أنتِ الوحيدة اللي تعرفي اسمي الحقيقي.

ألقى مفاتيحه أرضًا ثم خلع معطفه ورماه بجوارها وعلق قائلًا وهو ينظر إلى قطعة الشريط اللاصق القديمة الملقاة أرضًا:

جربتي تصرخي كتير وتعبتِ صح؟

انتحبت عاليًا وسألته:

أنت عايز مني إيه؟

مسح بأنامله دموعها المنهمرة فوق خديها فانكمشت إلى الخلف بعد أن اقشعر جسدها، أجابها بصوت رتيب:

تعرفي أنا زعلت أوي لما قريت خبر إنك اتعميتِ على النت.

استطرد ما يقوله وهو يعدل من وضعية الكاميرا فوق حامله وسط جهلها لما يفعله:

لو مكنش موضوع العمى ده حصل كانت الخطة هتبقى مية في المية.

توقفت عن البكاء بعد أن استوقفتها كلمة «خطة»، سألته:

خطة إيه؟

لم يجبها وأكمل تعديل وضع حامل الكاميرا ونصبه مباشرة أمام السرير، لم تهتم بما يفعله في أنحاء الغرفة المغلقة قدر ما اهتمتِ بإجابة السؤال التي أعادته مرة أخرى على أذنيها، التفت ناحيتها وقال:

ده أنا بقول عليكِ ذكية.

في تلك الثوان أسعفتها ذاكرتها حول السيارة السوداء وقت الحادثة، لم ترَ حينذاك إلا سيارة لونها أسود ومنعتها إضاءة مصابيحها القوية من رؤية ملامح السائق، لكنها تذكرت قبعته البيضاء، فتأكدت أنه هو من وراء الحادث.

ارتعشت شفتيها رعبًا فقالت بصوت متقطع جاهدت أن تخرجه من أحبالها الصوتية:

هو أنت اللي عملت كده؟

رمقها بنظرة خالية من الحياة لتعاود حديثها وهي تهتف هذه المرة:

ليه، عملتلك إيه أنا وجوزي عشان تعمل كده؟

أخذت تصرخ وتتلوّى في مكانها وهي تردد بضع كلمات: «حرام عليك، سيبني في حالي وكفاية أنا معملتلكش حاجة». جلس على حافة السرير ووضع إصبعه على شفتيها فسكتت، قال:

Visual Watermark

مش كنتِ وافقتي نتقابل ونتكلم من أول مرة، مكنش زمان كل ده حصل.

أنت فاكرني إيه؟ أنا ست محترمة، مليش في الحاجات دي.

تحولت ملامحه آنذاك من كونها خالية من أي حياة إلى نفور شديد، تابع قائلًا:

مفيش ست ملهاش في الحاجات دي، كلكم زي بعض.

نهض من فوق السرير بعد أن استشاط غضبًا وأدار الكاميرا وأخذ يلتقط عدة صور عشوائية لضحيته. استمعت الأخيرة لصوت الفلاش ففهمت ما ينوي فعله ذلك المجنون، والذي أخذ يردد كلمات بصوت هامس لم تستشف منها إلا «ست محترمة - أنتِ بس اللي مجتش فرصة ليكي عشان تخوني» قالت داليا في رجاء:

أنت هتعمل إيه؟ ممكن تقولي هتعمل إيه فيا؟

تسارعت أنفاسه وكأنه كان يجري في ضاحية سباق وأنهى سباقه للتو، مشى تجاه الباب واستعد للخروج من غرفتها والعودة مرة أخرى بعد أن يحضر كل أغراضه التي ستساعده في إنهاء ما يخطط له منذ شهور، استوقفه سؤالها مجددًا بعد أن كررته وهي تنحب، فأجابها وهو على حافة الباب:

هنشرب قهوة بس على طريقتي مش طريقتك. أخذت تلقي على مسامعه عبارات الرجاء والاستعطاف كي يتوقف عما يفعله، حتى قالت:

أنا مريضة وباخد دوا اكتئاب.

تسمرت قدميه لثوانٍ لكنه لم يعنِ بالإجابة، أكملت داليا في خوف:

ليه أنا؟ إشمعنى أنا اللي مصمم تعمل معايا كده؟

ارتسمت على وجهه علامات السخرية وأردف قائلًا قبل أن يخرج من الغرفة ويغلق الباب خلفه:

متستعجليش.

لم يمتلك الكثير من الوقت كي يتجمل ويتزين قبل رؤية ابنته، تأخره عن ميعاد رؤية فريدة قد يضعه في مشاكل أخرى هو لن يتحملها، وضع القليل من المياه الباردة على وجهه وشعره ثم ارتدى حذاءه الرياضي في سرعة وهبط الدرج مسرعًا قبل أن يستقل سيارة أجرة تقله إلى المكان المتفق عليه للزيارة الثانية لابنته. في الطريق وأثناء زحمة الجيزة، تذكر ما حدث بالأمس عبر هذا التطبيق مع السيدة المجهولة، ود لو كان كابوسًا وأن شيئًا من هذا لم يحدث، لكن ما رآه بعينه جعله لا يستطيع أن ينفض غبار تلك الحادثة عن ذاكرته. ترى ما مصير تلك السيدة؟ ومن هذا الشخص الغريب الذي كان يتربص بمنزلها وهاجمها؟ ترددت تلك الأسئلة في رأسه لكن بلا إجابة، فتح تطبيق الإنستجرام مجددًا وأخذ يتابع فريدة ومنشوراتها الحديثة حتى استوقفه مقطع جديد لم يتخطَّ وقت نزوله سوى ساعات قليلة لكنه كان الأكثر تفاعلًا من بين جمهورها. شغل المقطع والذي كان يحوي بحر الإسكندرية وصخوره ومزّينًا بتعليق صوتي سجلته فريدة بصوتها الدافئ، ولكن هذه المرة كان مليئًا بالحزن أيضًا.

استشف من هذا المقطع أنها تحيي ذكرى عائلية بنفس المكان على بحر الإسكندرية مع أمها وأبيها، خاصة بعد وفاة الأخير منذ عدة أيام.

صُعق علاء عندما علم بوفاة أبيها، وكأنه في حلم آخر، وكأن الأحداث تتسارع في حياته بشكل سينمائي لم يتخيل حدوثه أبدًا وفي هذا الوقت القصير. بعدما صُعق، فرح، لكنها سعادة متأخرة، ماذا سيجني بعد وفاة العائق الوحيد أمام زواجه من فريدة بعدما فارقته الأخيرة بلا عودة وأغلقت في وجهه كل سُبل العودة. أغلق تطبيق الإنستجرام ثم فتحه مجددًا وود لو كتب رسالة عزاء، تراجع عن الأمر في النهاية لاسيما بعد أن وصل لوجهته وأعاد هاتفه إلى جيب بنطاله.

ابتاع أنواعًا عشوائية من الشيكولاتة ثم دلف إلى كافيه في الدور الأرضي هذه المرة ومرفق بمكان مخصص

Visual Watermark

لألعاب الأطفال، أخذ ينظر يمينًا ويسارًا حتى وجد جدتها تجلس على كرسي عريض مخصص للاستراحة أمام الأطفال الذين ينهمكون في اللعب، اقترب منها وألقى عليها تحية مقتضبة وقبل أن يسألها عن ابنته، أشارت إلى الخلف حيث تعبث تلك الصغيرة بعدة مكعبات خشبية، جلس كالقرفصاء حتى رأته فريدة فحضنها وأخذ يقبلها، سأل الجدة:

هي يارا مجتش ليه؟

توقفت الجدة عن التسبيح بالمسبحة الإلكترونية الملتفة حول إصبعها وقالت:

تعبانة، عندها برد.

أشارت إلى ابنته وتابعت قائلة:

انت اللي يهمك فريدة، خليك مع بنتك وركز معاها.

ودَّ علاء حينذاك لو يقلب الكرسي الخشبي بها لكنه تراجع عن الأفكار الشيطانية برأسه وانهمك في اللعب مع ابنته وهو يعطيها من الشيكولاتة التي اشتراها لتقول الجدة:

مش قولنا بلاش شيكولاتة وحاجات تتعب البنت!

هتف في وجهها منفعلًا:

مش ممكن تسيبيني أقعد مع بنتي الساعة اللي ليا براحتي! تقدري تروحي تصلي أو تعملي أي حاجة لآخرتك وتيجي كمان ساعة تاخديها، ومتخفيش مش هخطفها.

رحلت الجدة وهي تسبّه وتلعن اليوم الذي رأته فيه بصوت هامس لكن وصل إلى أذني علاء الذي لم يكترث لشيء سوى مداعبة صغيرته، أخذ يلعب مع ابنته كل الألعاب الموجودة حوله تارة ويحكي لها قصصًا من خياله ويسألها عما تعلمته في الحضانة تارة أخرى، انقضت الساعة وكأنها دقائق له، ولم يعرف أنه قد استنفذ وقته إلا عندما رأى الجدة مجددًا أمام عينيه وهي تقف على حافة منطقة الألعاب، حمل صغيرته بين ذراعيه هذه المرة وأعاد تقبيلها وتوديعها حتى اصطحبتها الجدة ورحلت بعيدًا.

في تلك الثوانٍ غلبه البكاء بعدما أشفق على نفسه، ود لو اختطف صغيرته وهرب بها بعيدًا، صغيرته التي تعطيه دافعًا للاستمرار رغم كل ما أصابه. جرته قدماه بعيدًا عن الكافيه في خيبة أمل ويأس، أخرج هاتفه وآثر أن يهرب من أحزانه بنفس الطريقة القديمة، أرسل رسالة لفريدة عبر تطبيق الإنستجرام وظل منتبهًا إلى هاتفه وهو يمشي عشوائيًا في الطرقات لكنها لم تجب، حاول أن يجري اتصالًا لكن باء الأمر بالفشل حيث تأكد أنها لازالت تحظر رقمه من الاتصال.

توقف عند مركز اتصالات مشهور وابتاع خطًا جديدًا، وكان أول من أجرى اتصالًا به هي فريدة. وما هي إلا ثوانٍ قليلة حتى استمع لصوتها الذي يغلبه الحزن المصحوب بالنعاس.

رد تحيتها فقالت فريدة في تعجب:

علاء؟

آه، أنا، عاملة إيه يا فريدة؟

تنهدت بعد أن اعتدلت فوق سريرها وأجابته:

كويسة.

أرجوكِ متقفليش، أنا مش هاخد من وقتك كتير، أنا معرفش ليه صممت أوصلك بأي طريقة واشتريت خط جديد عشان بس أقولك البقاء لله، شدي حيلك يا فريدة.

ونعم بالله، شكرًا.

Visual Watermark

استمع بعد تلك الكلمات إلى صوت بكاءها المكتوم فعلم أنها تعاني من ضغط شديد وكبت، تركها تُفرغ كل ما في جعبتها ثم قال دون أن يخطط أو يفكر:

هو أنا ممكن أشوفك؟ أنا مينفعش أشوفك كده وأسيبك.

توقفت عن البكاء وكأنها قد كتمت أنفاسها، تابع في ضعف:

وأنا كمان محتاجلك، مش عايز أسيب نفسي لدماغي في الورطة اللي اتحطيت فيها امبارح من غير قصد.

كغيرها من النساء، غفلت عن كلامه المعسول وغلبها الفضول عما قاله فسألت:

ورطة إيه؟

مش هينفع في التليفون.

سألته وهي تمشي في الفيلا الخاصة بها وتنظر عبر النافذة إلى الأشجار المحيطة بها:

هنتقابل إزاي؟ أنت في القاهرة صح؟

قال لها وهو ينظر إلى موقف السيارات المتجه للإسكندرية في الناحية الأخرى من الطريق:

هجيلك إسكندرية، أنا جنب العربيات بالظبط، ساعتين زمن وأبقى عندك.

سألته في ذهول ممزوج بالسعادة:

ده انت مرتب كل حاجة بقى؟

توقف عن السير وعبر إلى الجهة الأخرى من الطريق حيث سيارات الأجرة المتجهة إلى عروس البحر، ثم قال:

هتصدقيني لو قولتلك إني مكنتش مخطط لكل ده، حتى الخط اللي اشتريته والمكالمة دي زي ما قولتلك عملتهم من غير أي ترتيب.

سألها مجددًا في اهتمام قبل أن ينهي حديثه:

هجيلك بس اوعديني متهربيش مني أو تعملي بلوك تاني.

أخذت شهيقًا طويلًا ثم أجابته:

حاضر، أوعدك، بس انت عارف العنوان.

أجابها وهو يضغط على الحروف:

ساعتين وهبقى عندك.

فهمت من إجابته أنه لم ينسَ أية تفاصيل، فضحكت بصوت خافت وأردفت قائلة:

أول ما توصل هتلاقيني مستنياك في العربية تحت البيت.

***

صنع لنفسه سيجارة حشيش بعد أن استحم وأخذ يدخنها حتى انتهى من نصفها، ثم وضع في جيب بيجامته شريط منشطات جنسية وفتح درج كومودينو صغير بجوار السرير وأخرج منه قناعًا أسودًا للوجه به فتحات لمنخاره وعينيه وفمه فقط، ووضعه في جيبه الآخر. ثم عاد إلى الصالة حيث حاسوبه، فتح نافذة المحادثة بينه وبين الوسيط بعد أن التقط شهيقًا من سيجارته المحشوة بالمخدر، أرسل صورة التقطت لداليا وهي منزوية في أركان الغرفة ومكبلة من ذراعيها وقدميها، ثم كتب إلى الوسيط:

جهز المطلوب، خلال نص ساعة الفيديو هيكون عند المستر.

أرسل له الوسيط حينذاك ملصقات ضاحكة ثم كتب:

Visual Watermark

هرسل لك مقطع جنسي قديم المستر يريد مثله بالظبط.

أرسل له مقطع تخطت مدته العشر دقائق ظهر فيه رجل وسيدة لا يتخطى عمرها الثلاثين، ترتدي الأخيرة قميص نوم أبيض لا يشف مفاتن جسدها النحيل جدًا.

أخذت تنظر إلى الكاميرا وهي تبكي تارة وتطأطئ رأسها للأسفل تارة أخرى. أمسك الشاب - الذي يرتدي قناعًا أسودًا يخفي معالم وجهه ورأسه وشعره - مسدسًا صغيرًا وأخذ يلوح به أمام عينيها حتى استجابت لتهديده وخلعت عنها قميص النوم. اغتصبها طيلة العشر دقائق، وكلما أخذت تقاوم لوح لها بالمسدس فتفعل ما يأمر وهي لم تزل تبكي، تارة ترجوه قائلة «عايزة أشوف ابني طيب».. وتارة أخرى تقول له «أنا مش بعمل كده مع جوزي».

لمعت عينا إبراهيم الذي شاهد المقطع حتى نهايته فالتقط من المنشطات الجنسية قرصين في مرة واحدة بعدما سيطر شيطانه. فتح درج مكتبه وتحسس مسدسًا قديمًا مرخصًا لحمايته لم يستخدمه من قبل ويرجع صنعه لبداية الألفية الجديدة، فتح خزينة الرصاص وتأكد من حشوها برصاصتين فأعاد الخزينة إلى الداخل، ثم وضع المسدس في جيب بيجامته إلى جوار قناعه.

خرج من الفيلا إلى الجنينة المحيطة للفيلا ومنها إلى ورشة إصلاح السيارات وبابها الذي يؤدي إلى الغرفة المنشودة. فتح الباب لتتصاعد معه أنفاس داليا الخائفة المرتعبة من مصيرها المجهول، كلما اقترب خطوة منها كانت تكثر من عبارات الاستعطاف. توقف أمام الكاميرا وبدأ التسجيل بعد أن ارتدى قناعه الأسود، جلس بجوارها على حافة السرير لتتوقف داليا عن نداءات الرحمة والاستغاثة. انتبهت لأصابعه التي تحسست خدها ثم رأسها فحاولت أن تبتعد لكنه جذبها بكل قوة ناحيته وخلع عن رأسها الحجاب ليكشف عن شعر أسود ناعم طويل، خرجت عن سكوتها وقالت بصوت متقطع:

هتعمل إيه؟

أخرج المسدس من جيبه وغرس فوهته في ذراعها وقال:

اقلعي.

انزوت مرة أخرى بعيدًا لكنه جذبها بقوة أكبر من سابقتها وغرس الفوهة في جبينها هذه المرة وتابع:

برده بتقولي لا.

حاول جذب بنطالها بيده الخالية من المسدس فأعادته داليا إلى جسدها، حاول مرة أخرى في نزع قميصها لكنها قاومت مرة أخرى فاغتاظ إبراهيم وصوب مسدسه إلى سقف الغرفة المعزول وأطلق رصاصة في الهواء. وضعت داليا يديها فوق أذنيها إثر صوتها العالي ليتابع هو:

أظن عرفتِ أنا في إيدي إيه دلوقتي وممكن أعمل فيك إيه.

ترك المسدس جانبًا وهتف عاليًا هذه المرة:

اقلعي.

انت بتعمل معايا كده ليه؟ ليه أنا بالذات؟

عايزة تعرفي؟

سألها في تحدٍ فشخصت عيناها ناحية صوته دون أن تجيب أو تتفوه بكلمة، قام من فوق السرير وأوقف التسجيل مؤقتًا ثم قال لها بعد أن خلع قناعه عن وجهه:

هحكيلك، بس عشان تعرفي إن مش كل الرجالة هي اللي بتخون زي ما بتكتبي.

Visual Watermark

كانا عاريين كما ولدتهما أمهما في جناح الفندق المطل على برج خليفة بأضوائه القوية المبهجة، زين علم دولة المغرب البرج بعدما وصلت لنصف نهائي كأس العالم ٢٠٢٢ بدولة قطر، ظل يرمق البرج والعلم العربي والاحتفالات أسفل الفندق الذي أقام به هو وكارما.

كارما، الموديل، التي طالما احتلت صورها مع إبراهيم الصفحات الأولى للمجلات الرياضية باعتباره بطلًا رياضيًا منذ سنوات عدة وباعتبارها الأكثر جاذبية من بين الموديلز في الشرق الأوسط، جمعتهما صداقة قوية امتدت لسنوات طويلة تخللها مكالمات بين الشهر والآخر ولقاءات عمل في مواسم رياضية تقام في الدول العربية وأوروبا.

قالت كارما:

ليه ما قلتليش إن مراتك ماتت من شهرين وانت في مصر؟

التفت إلى الفاتنة الممددة على السرير بجواره والتي تدخن سيجارة محشوة مثله، صب قليلًا من النبيذ في كأسه بعد أن ارتدى ما يستر عورته فقط والتفت ناحية البرج وأخذ يراقبه عبر النافذة مجددًا حتى أعادت السؤال إلى ذهنه، دار بعيدًا عن السرير بعدما استفاق من شروده وجلس على الأريكة المقابلة لشاشة تلفاز تعرض قناة مصرية تستضيف الشخصيات المؤثرة خلال العام المنصرم، شرب القليل من كأسه بعدما أدار الثلج داخله ثم أجابها:

عشان مكنتش حابب أتكلم في الموضوع ده مع حد، أنا جتلك الإمارات عشان أفصل ومفكرش.

شعرت كارما بأن هناك ريبًا ما حول زوجته فوضعت الروب على جسدها وقامت لتجلس بجواره على الأريكة، أمسكت ذقنه بأناملها الرقيقة وأدارت وجهه بعيدًا عن شاشة التلفاز ثم سألت:

حاساك متغير، مالك؟

جلست فوق فخذيه ثم تابعت وهي تداعب لحيته:

يعني إحنا نعرف بعض في بيزنس من زمن طويل وعمرك ما فكرت تلمسني أو تلمس أي بنت غير مراتك.

ثم أشارت إلى الخمور ومخدر الحشيش بجوارهما واستطردت قائلة:

ولا عمري شفتك بتشرب كل ده ومحافظ دايمًا على صحتك، حاسة إنك مخبي حاجة ده مش مجرد حزن على مراتك.

أثناء ذلك تسرب إلى أذنه صوت المذيعة صاحبة البرنامج الأكثر مشاهدة في مصر وهي تقدم ضيفًا جديدًا سيظهر خلال دقائق وتصفها بأنها الكاتبة الأكثر تأثيرًا وشهرة بين الكُتاب المصريين والعرب أيضًا وأنه قد ذاع صيتها بسبب مهاجمتها الرجال خلال رواياتها.

لم يحتج إبراهيم للتخمين أنها داليا الصاوي، الكاتبة المشهورة والمفضلة لديه أيضًا، انشغل عن التلفاز قليلا وانتبه إلى المثيرة التي ضغطت على نقطة ضعفه، نظر داخل عينيها هذه المرة وقال بصوت رتيب:

أقدر أمنك على سر كاتمه فوق قلبي؟

توقفت أناملها عن مداعبته وقالت:

جربني.

أعاد ناظريه إلى شاشة التلفاز لكن بذهن منصرف عن داليا التي بدأت في الظهور والإجابة عن أسئلة المذيعة، قال إبراهيم:

نادين مراتي ماتتش موتة طبيعية.

أومال ماتت إزاي؟.

حرك عينيه لتقابل عينا كارما ثم تابع:

Visual Watermark

أنا قتلتها.

قامت من فوق فخذيه وجلست بجواره بوجه ازداد بداخله الفضول والاهتمام، وضعت يدها أسفل ذقنها وهي تستند على حافة الأريكة وسألته:

لا واحدة واحدة كده واحكيلي إيه اللي حصل.

سألها بصوت رتيب:

مش خايفة مني؟

قهقهت كارما وسط اندهاش إبراهيم، قالت بعد أن توقف عن الضحك وهي تشير إلى نفسها:

ليست الأشياء كما تبدو يا عم إبراهيم.

فهم من وراء كلماتها أنه هناك قصة مختبئة خلف ذلك الوجه البريء، أخرجت سيجارة من علبته وأشعلتها ثم ناولته واحدة قبل أن تشير له وتقول:

احكي بالتفصيل ومن غير ما تقطع حاجة.

حكى لها قصة سفره لتمثيل مصر في بطولة الفورميلا العالمية وأن المسابقة التي كان من المفروض أن يشارك بها كانت ستمتد إلى شهر من الزمن، وأن ذلك الشهر لسوء الحظ كان يتخلله عيد ميلادها فأراد أن يقتطع من وقت المسابقة يومين قبل عيد ميلادها ليحتفل معها ثم يعاود السفر مجددًا.

حكى لها أنه لم يخبر زوجته بأمر عودته وأراد أن تكون مفاجأة، لكن الأمر أصبح كابوسًا انتهى بقتلها بعدما رآها في سريره مع رجل آخر ثم رشوة الموظف في الطب الشرعي الذي كتب تقريرًا بأن الوفاة طبيعية وليس بفعل فاعل.

أخذ يكمل شرح معاناته مع الكوابيس التي لازالت تراوده بعد قتل زوجته وشربه للمخدرات بشكل لاحظه الجميع حتى أن لجنة المسابقات التي كانت تقوم بتحليل المنشطات عشوائيًا كتبت تقريرًا أودى بمستقبله وأذعنت فيه أن إبراهيم قمر لم يعد مسموحًا له بخوض السباقات إلى أجل غير محدد بسبب تناول المخدرات، وهذا ما جعله يخسر المصدر الوحيد لرزقه وأن ثروته التي ادخرها لن تكفيه إلا بضع أعوام وتلك ورطة أخرى غير قتل محبوبته.

لاحظت كارما دموع إبراهيم وبكاءه المكتوم، فقالت:

تستاهل، خاينة.

تحسست صدره الغاري بأصابعها بعد أن أطفأت السيجارة، وتابعت:

حد يبقى معاه إبراهيم قمر ويخونه؟ انت تستاهل حد يقدرك، دي كلبة وراحت.

تحول ذلك الضعف على وجهه إلى غل وغيظ، أزاد من حمرة وجهه، قال:

أنا حاسس إن ناري لسة مابردتش.

والي يدلك على طريقة تبرد بيها نارك تقوله إيه؟

لم يفهم ما أشارت إليه، لكنه أعطاها الموافقة بعينيه وكأنه يرجوها أن تدله على الطريق، قامت كارما من فوق الأريكة وأحضرت تابلت خاصًا بها من فوق السرير، ثم فتحت مقطعًا جنسيًا من الدارك ويب ووضعت شاشة التابلت أمامه.

لم يفهم إبراهيم المغزى من مشاهدة ذلك المقطع الذي كان به رجلان وفتاة لم تكمل عامها العشرين بعد ويجبرانها على ممارسة الجنس معهما بعد أن هدداها بسكين حاد، لم يلفت انتباه إبراهيم بالمقطع سوى ارتداء الرجلين قناعين يخفيان ملامح وجههما، ليسأل في فضول:

Visual Watermark

مش فاهم حاجة، مين دول ولبسين أقنعة ليه؟

أشارت له بأصابعها أن ينتظر، ثم فتحت مقطعًا آخر به سيدة تخطت الخمسين من عمرها، وهذا يظهر من انكماش جلدها وظهور الترهلات في أنحاء متفرقة من جسدها.

لم تمر ثوانٍ إلا وقد ظهر صبي لا يتخطى عمره الأربعة عشر عامًا وبدأ بمداعبة تلك السيدة التي كان عمرها يقارب لجدته وليس أمه، ثم فتحت مقطعًا ثالثًا لفتاة في مقتبل شبابها وترتدي قميص نوم أسود، ومثلها مثل أبطال الأفلام السابقة ترتدي قناعًا أسودًا يخفي وجهها، لكن استطاع إبراهيم تمييزها من بين كل من كانوا بالأفلام، حيث رسمة التاتو المميزة المنقوشة على عمودها الفقري، سكن الاستغراب وجه إبراهيم الذي ضيق حاجبيه في بداية الأمر، ثم عادا إلى مكانهما الطبيعي قبل أن يسأل كارما:

أنتِ دي؟

أومأت برأسها إيجابًا وهي تبتسم، أنها هي من كانت بالمقطع وتمارس الجنس مع شاب تقريبا في عمرها، قبل أن تضع التابلت جانبًا. استدار إبراهيم بكامل جسده ناحيتها، ثم سأل في فضول:

ده أنتِ طلعتِ حكاية، فهميني بالظبط إيه ده؟

صبت قليلًا من الخمر في كأس فارغ كان فوق الطاولة، ثم شربت منه القليل قبل أن تجيبه:

فيديوهات دارك ويب مقابل فلوس.

وضعت الكأس جانبًا، ثم استطردت وهي تشرح:

بتختار فريستك وتصور معاها الفيديو وأنت متنكر، محدش يعرفك، وتبعته وتاخد قصاده فلوس، بس فلوس حلوة أوي، آلاف الدولارات.

فيه ناس بتدفع آلاف قصاد الحاجات دي؟

ضحكت بصوت عالٍ ثم قالت:

وملايين كمان، أنت فايتك كتير.

رجع بظهره إلى الخلف بعدما صُعق بوجود عالم موازي كهذا، سأل في فضول مرة أخرى:

ومين بالظبط اللي بيشتري الفيديوهات دي وبيعتها إزاي؟

صبت قليلًا من الفودكا بالزجاجة الأخرى، ثم قالت والكأس على حافة شفتيها:

كل دي تفاصيل هقولهالك في وقتها، المهم أنت موافق؟

موافق على إيه بالظبط؟

اقتربت بوجهها من وجهه حتى أصبحت المسافة صفرا بينهما، أجابت بصوت هامس لكن مليء بالحماس وبأنفاس تلهث:

مش نفسك تنتقم؟ انت مطمع لأي ست تعرفك، جذاب، رياضي، ومشهور، استغل ده ووقعهم في شباكك وصورهم، حتة كاميرا هتنقلك نقلة تانية خالص، المستر لسة دافع لولد صغير في لبنان مائتين ألف دولار لما وافق يدبح أبوه وأمه وهما نايمين ويصورهم، العالم فيه حاجات كتير أوي تنتقم بيها من الستات بس أنت الي قافل على نفسك.

لثمته بقبلة طويلة من بين شفتيه، ثم رجعت برأسها إلى الخلف وهي لم تزل تمسك رأسه بكفيها وتنظر داخل عينيه بحرارة شديدة، قالت:

ها قولت إيه؟

Visual Watermark

هبتدي إزاي، وإيه المطلوب؟

ابتدي فيديوهات صغيرة مفيهاش أي مجهود، وقصادها المستر هيقدر الفيديو ويبعتلك، وكل ما بيزيد التحدي في المقاطع دي كل ما بتكون الفلوس أكتر.

سألها إبراهيم مرة أخرى:

التحدي بيزيد إزاي؟

أخذت كارما تشرح له بكلتا يديها في حماس:

يعني لو بنت عادية ليها سعر، ولو حد معروف، بابليك فيجور بيبقى ليه سعر تاني خالص.

أشعل سيجارة أخرى بعد أن اشتعل حماسه، شاهد شاشة التلفاز أمامه في انبهار بما يسمع، حينذاك سألت المذيعة داليا عن سر نجاحات كتاباتها الأخيرة والكواليس وعدة الكتابة التي تجهزها قبل أن تبدأ في كتابة رواية، ضمت داليا أصابعها في بعضها البعض وأخذت تتحسس خاتم الزيجة بيدها اليسرى وقالت:

السر بعد توفيق ربنا، في جوزي طارق، الي قبل ما يكون ناشر فهو داعم ليا ككاتبة وساعدني في الجنان بتاعي لما صممت أسكن في فيلا قدام البحر وبعيد عن البشر خالص عشان أقدر أفصل وأكتب كويس.

سألتها المذيعة في فضول:

معقولة، منعزلة عن العالم، قدرتِ تعملي ده؟ طب مزهقتيش؟

ضحكت داليا في حياء وتابعت:

أبدًا مزهقتش، أنا مكتفية بطارق وبالبحر وبورقي اللي بشغبط عليه.

بدل إبراهيم بصره حينذاك بين داليا وبين كارما التي فهمت مغزى نظراته الخبيثة، قالت له وهي تشير إلى داليا التي لم تزل تتحدث عبر البرنامج:

مش دي الكاتبة الي بتحب تقرالها، صعبة عليك دي.

تتحديني؟

موافقة، ألف دولار مني لو ده حصل.

قامت كارما من فوق الأريكة ثم اتجهت ناحية المرآة وأخذت تمشط شعرها وتضع قليلًا من العطر وتابعت ما تقول:

بس نصيحتي ابدأ بفيديوهات مع بنات عادية، بس المهم ما يكونوش يعرفوا إنهم بيتصوروا، عشان أول ما المستر يكتشف إنه تمثيل واتفاق بيلغي الديل.

عادت نحوه مجددًا واستطردت قائلة وهي تشير إلى التلفاز:

والبنت المشهورة دي خطط ليها كويس وراقبها، عشان لو حصل ورفضتك أو اتكشفت هتكون ساعتها قضية رأي عام، فاهمني؟

داعبت شعره الناعم وأردفت قائلة:

اطلع السلم واحدة واحدة ومتستعجلش، المجال ده فيه فلوس تقدر تعوض بيها أي خسارة قابلتك.

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجه إبراهيم الذي بادلها مداعبة شعرها المنسدل وقال:

أنتِ إزاي مش خايفة مني آأذيكِ وأنا مصمم أنتقم من أي بنت هقابلها؟

أنا عمري ما أخاف منك ولا انت عمرك هتشك فيا، ببساطة عشان إحنا متعرفين قدام بعض، مش مخبيين

Visual Watermark

حاجة، أنت قولتلي بلاويك وأنا وريتلك الديرتي سايد اللي فيا.

همهم ثم قال:

فعلًا ليست الأشياء كما تبدو، خالص.

انتهى الفضول وحل مكانه الفزع بعدما استمعت إلى ما وراء إلحاحه على الإيقاع بها في مصيدته، أنهى ما كان يسرده وأخبرها أنه ظل لأكثر من عام ونصف يراقب تحركاتها ويحضر كل المناسبات التي تعلن داليا عن حضورها عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي، يراقبها حتى تنتهي وتعود إلى منزلها وبذلك قد عرف الكثير عن عنوانها ومسكنها المنعزل الذي سهل عليه الأمر وحجز له شاليه بجوارها باسم مارلين التي حاول الزج بها وإيقاع فريسته بواسطتها أكثر من مرة حتى قتلها.

فهمت أنه كان يراقبها عمدًا يوم أن صدمت سائق ميكروباص عن طريق الخطأ وكذلك اللقاء الثاني الذي جمعهما بالمول، وأنه لابد من وجود لقاءات خفية أخرى غفلت عنها كان فيها ذلك المتلصص يتعقب آثارها.

سألته وهي تبكي:

طب وطارق ذنبه إيه؟ ليه تموته؟ حرام عليك!

ماهو لو كان عايش مكنش هيسبني أقربلك.

تنهد ثم تابع:

حظك وحش أوي، لو مقابلناش المذيع في المول وفضح اسمي قدامك كان ممكن أسيبك، بس فات الأوان.

قالت في تحدٍ:

ولا دلوقتي هتعرف تقربلي، أهونلي أموت ولا تلمس شعرة مني.

ارتدى القناع مجددًا وأدار الكاميرا ثم اقترب منها وأخذ يصفع وجهها ورأسها بكل قوة وهو يأمرها بأن تخلع ملابسها، بكت كما لم تبكِ من قبل وغطت الدموع كل وجهها وسال لعابها من شدة النحيب والألم، أصدرت آهات عالية وهي تتأوه من الضرب ومما ينوي فعله، استسلمت في النهاية وبدأت في فك أزرار القميص بصعوبة، بدأت ترجوه مرة أخرى لكنه كان يصرخ فيها حتى تنفذ هي تعليماته ولا يُفسد المقطع، كلما وضعت أناملها حول الزر وبدأت في فكه شعرت أن قواها تخور تدريجيًا، قالت له:

أنا تعبانة ومريضة اكتئاب صدقني، لو مخدتش العلاج دلوقتي هموت.

وصلت لنهاية الأزرار وصاحب ذلك صوت نحيب شديد منها وهي تضع رأسها في كفيها، رفع إبراهيم رأسها إلى الأعلى وما أن تراءى له حمالة صدرها السوداء وما تخفيه من أنوثة ابتلع ريقه على أثرها وحاول فكها من الخلف.

ما أن حاول رؤية نهديها حتى سقطت داليا برأسها جانبًا وفقدت الوعي، حاول إبراهيم أن يعدل من وضعية جسدها ويسندها للحائط حتى تميل وتسقط مرة أخرى، ظن في البداية أنه مجرد تمثيل لكن عندما وضع رأسه بالقرب من قلبها استشعر بطء ضربات قلبها.

أعاد رأسها إلى الوسادة مرة أخرى وأوقف التسجيل بالكاميرا ثم عاد إلى الصالة حيث حاسوبه، كتب بسرعة إلى الوسيط:

محتاج يوم أو يومين كمان، البنت أغمى عليها.

رأى الوسيط رسالته وسأل:

شو معنى أغمى عليها؟

اغتاظ إبراهيم فضغط على حروف لوحة المفاتيح في قوة وكتب:

Visual Watermark

فقدت وعيها يعني.

قام إبراهيم بتفريغ صورة التقطت حديثًا لداليا وهي تنزع قميصها وصورة أخرى وهي ممددة فاقدة الوعي وأرسلهما للوسيط حتى يتأكد من صدق حديثه، مرت ثوانٍ قليلة حتى كتب الوسيط مرة أخرى:

تذكر، المستر يريد مثل ما في المقطع السابق بالضبط، إذا ما ماتت أو انحرقت قبل التصوير، المقطع ولا يسوى شيء، لازم تكون صاحية مثلها بالضبط.

أغلق إبراهيم نافذة المحادثة بينه وبين الوسيط وهو يزفر ضيقًا، ولم يملك من الحلول إلا إسعافها هو بنفسه دون الاستعانة بطبيب فبحث عبر جوجل لساعات عن أدوية اكتئاب ومقويات وما ينعش قلبها، حتى أجرى اتصالًا بكارما عبر تطبيق التيلجرام حتى يصعب تتبعه، أجابت على مكالمته وفهمت من خلال صوته أنه هناك أمر يشغله، قالت له:

حد يبقى متضايق كده وأنا خلاص نازلة ليه مصر بعد بكرة.

عندي مشكلة في الرهان بتاعنا.

سألته عن قصده فأخذ يشرح لها أمر رفض داليا لتلك العلاقة ومقاومتها حتى فقدت وعيها في النهاية وعن خوفه أن تموت قبل أن ينفذ الاتفاق، سألته عن حالتها بالضبط فأجابها:

معرفش مش بتتحرك خالص، وقالتلي قبل ما يغمي عليها إنها بتاخد أدوية اكتئاب لو مخدتهاش هتتعب وتموت وكلام كده.

همهمت داليا قبل أن تقول له:

هبعتلك اسم حقنة على الواتساب دلوقتي تديهالها وهتكون زي الحصان خلال كام ساعة.

مش دي المشكلة بس، الفكرة إنها لو فاقت برده هترفض تنفذ أي حاجة والفيديو هيبوظ واحتمال تخش في غيبوبة تاني، أنا مش عايز أضيع وقت.

صمتت لبرهة وهي تفكر ثم قالت:

تسمع عن GHP؟(1)

قال إبراهيم:

لا معرفهوش، مخدر إيه ده؟

شرحت له كارما تأثيره وانتشاره مؤخرًا، وأردفت في النهاية أنها ستجلب له قارورة صغيرة أثناء سفرها من الإمارات إلى مصر، وأن عليه الانتظار ليومين فقط لندرة وجوده في مصر. تأفف إبراهيم وعلق قائلًا:

أنا لسة هستنى يومين.

طب ادِني كام ساعة هشوف ديلر أعرفه في مصر، لكن لو موجود هيكون سعره أكتر من عندي هنا، ممكن الضعف.

مش مهم السعر، اتصرفي.

---

(1) مخدر ال GHP هو في الأصل مخدر يستخدم لعلاج اضطرابات القلق والنوم لكنه ساء استخدامه مؤخرا وأصبح مخدر يستخدم للاغتصاب وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، هو عقار شفاف يوضع القليل منه في العصيرأو الماء ويحدث للمتعاطي منه بعدها فرط في الضحك وتقليل نشاط المخ والاستسلام التام لكنه يبقى بعينين مفتوحتين لكن غير واعيتين بما يحدث حوله.

Visual Watermark

خطت قدماه الإسكندرية وشوارعها بكفر عبده. لم يشعر ببرودة الجو ولم ينفر من الظلام المسيطر على الفلل حوله. مشى منتشيًا بين الأبنية المتراصة من الطبقة الأرستقراطية، والتي يسيطر عليها الهدوء التام، وهو يشعر بضربات قلبه المتسارعة ويكاد يسمعها من فرط الاشتياق لرؤيتها. نظر إلى الأسفلت المبلل من آثار الأمطار أسفل قدميه، وعاد بذكرياته إلى الماضي حيث كانا يتسكعان سويا ليلًا في كل أنحاء الإسكندرية. استقبل اتصالًا منها فأخذ ينظر إلى الاسم المدون على الشاشة غير مصدق أنها هي من تجري اتصالًا هذه المرة (فريدة). ظل يقرأ الاسم أكثر من مرة حتى شعر أنه كاد أن يفقد اتصالها. أجاب ورد تحيتها، فسألته:

أنت فين؟

يعتبر قدام بيتك. أخرجت يدها من سيارة سوداء كانت مركونة أمام المنزل وقالت:

أنا في عربية سودة جنب البيت، شايفني؟ بشاورلك بإيدي أهو.

لمح أناملها فأنهى المكالمة واقترب من السيارة ثم فتح الباب المجاور لها. وما أن جلس حتى نظر إليها في توتر وارتباك وقال:

إزيك يا فريدة؟

ارتسمت على وجهها ابتسامة ضعف ممزوجة بالرضا وقالت:

كويسة، طمني عليك. أخذ يفرك يديه من التوتر قبل أن يكون من أثر البرودة، ونظر عبر الزجاج الأمامي وأجابها:

كويس، وحشتني إسكندرية.

ساد الصمت داخل السيارة وامتزج بالتوتر وفقدان لأي طريقة يجذبان بها أطراف الحديث، حتى أنهما أخذا ينظران إلى بعضهما البعض أكثر من مرة ويبتسمان دون أن يتفوهًا بأية كلمة. قال علاء:

شدي حيلك.

تقبلت عزاءه وهي تفرك أصابعها في بعضها البعض فتنهد ثم سأل:

هو توفى إزاي؟

شعر أنه قد زاد من توترها فتعمد أن يبدل دفة الحوار بعيدًا عن ذكرى والدها وقال مهنئًا إياها:

بس إيه الشطارة دي؟ مكنتش أعرف إنك موهوبة كده، وفي وقت قليل بقيتِ من أشهر البلوجرز في مصر.

تقبلت ثناءه بكل ترحاب ثم لازمها الصمت، وما هي إلا ثوانٍ حتى استطردت حديثها عن أبيها وكأنها تنتظر الفرصة للبوح بما بداخلها:

بابا اكتشف القلب وهو عنده تلاتين سنة. معرفتش بده إلا وهو على سرير العناية، كان بيكابر وبيخبي طول الوقت وأنا معرفش.

نظرت إلى علاء واستطردت قائلة:

يمكن ده كان سبب قسوته، أو قسوته عليا بالتحديد. عارف إنه ممكن يمشي في أي وقت وظهري ينكسر، فاكر إنه كده بيقويني.

امتلأت عينا علاء بالدموع عندما تذكر المشهد الأشد قسوة وإهانة الذي تعرض له طيلة حياته منذ سنوات عدة، عندما قابل أبوها في منزله بكفر عبده لخطبة فريدة، وتعمّد وليها حينذاك أن يكملا حديثهما خارج البيت. توجها بسيارة سلام إلى مطعم سبعة نجوم مخصص لكبار رجال الأعمال، تناولا الغداء سويًا وظل علاء طوال الساعتين يتحدث عن طموحه غير المحدود وعن حبه لفريدة واستعداده لتقديم أية تضحيات وسط انصات من الأب. وعندما انتهيا، جاء النادل بدفتر الحساب فأشار سلام في خبث إلى النادل بأن يعطي دفتر الحساب إلى علاء

Visual Watermark

وقال:

الحساب النهارده عند علاء، هو عازمني عشان المناسبة السعيدة اللي هتحصل.

ترك سلام علاء يضرب أخماسًا في أسداس وهو ينظر إلى دفتر الحساب وثمن وجبة الغداء الذي يتخطى راتبه. توجه سلام إلى الحمام متعللًا بغسل يديه، وعندما عاد لاحظ احمرار وجه علاء وهو يخرج كل ما في جيبه وأن النادل لا زال يقف بجواره. ضحك ساخرًا وقال قبل أن تنتهي المقابلة:

بقى مش قادر تدفع تمن غدا واحد بنتي بتاكله وجاي تتقدملها!

عاد علاء إلى واقعه وتماسك لئلا تلاحظ فريدة، حتى فاجأته الأخيرة وقالت:

على فكرة، بابا قبل ما يموت حكى لي هو عمل معاك إيه، ليه مقولتليش يا علاء؟ أنا من وقت ما مات بابا وأنا نفسي أعتذر لك بس مش قادرة أواجهك وخايفة من رد فعلك لما تعرف إني عرفت.

أقولك إيه، أقولك إنه قصد يقلل مني ومن كرامتي.

نظر علاء إلى الأسفل وتابع:

مانملكش دلوقتي إلا إننا ندعيله بالرحمة.

سألته في رجاء:

يعني مسامحه؟

تغلغل صوتها الرقيق إلى قلبه وأسره ضعفها، فقال دون تفكير:

مسامحه عشانك، وعشان لسة بحبك.

لمعت عيناها من الانبهار لكن سرعان ما أزاحت وجهها بعيدًا وأخذت تبكي. فقال:

أنا آسف، مقصدش أضايقك بصراحتي، مش المفروض أصلًا أتكلم في حاجة تخص مشاعري في توقيت زي ده.

نظرت إليه وقالت وهي تكفكف دموعها:

أنا متضايقتش من مشاعرك بالعكس، أنا حاسة بالذنب لأني عملت حاجة غلط وكنت سبب في انفصالك عن مراتك.

قال علاء في يأس:

انتِ ملكيش ذنب صدقيني، كده كده كنا هنسيب بعض. التمثيل اللي كنا بنمثله كان مسيره هيخلص وننكشف على حقيقتنا.

أشار إلى نفسه وقال وهو يدمع:

أنا كنت بمثل إني بحبها وهي كانت بتمثل إنها مصدقاني، أنا وحش ومتحبش، ومستهلش كل الي هي عملته عشاني، بس والله حاولت أحبها ومقدرتش.

ربتت فريدة على كتفه لتهدئ من ثورته ثم قالت:

مالك يا علاء، أنا حاسة إن فيه سبب تاني مخليك عامل كده!

تماسك علاء وسرد لها قصة الفتاة العمياء التي استغاثت به عن طريق تطبيق(Be My Eyes) ، حتى فاجأها غريب وهاجمها، وأنه قد حاول الحصول على بعض المعلومات من خلال هذا التطبيق وراسل إدارته عبر البريد الإلكتروني لكن بلا جدوى، قال في نهاية حديثه:

المشكلة إنها طلبت مني المساعدة في وقت أنا مش قادر أساعد فيه نفسي.

Visual Watermark

نظر إلى فريدة وتابع في ضعف:

هو أنا كده غبي وسطحي ومبتعلمش، كل اللي حواليا شايفين إني أركز مع نفسي وبس.

نظرت إليه في فخر وقالت:

بالعكس، دي ميزتك، قلبك الأبيض ده صعب نلاقي زيه تاني.

اعتدلت في جلستها وهي تستدير ناحيته ثم قالت في اهتمام:

المهم، خلينا في مشكلة البنت دي، هنحلها إزاي؟ يعني مشوفتش أي حاجة مميزة أو سمعت حوار بينهم؟

أسرته أيضًا كلمة (هنحلها إزاي)، نون الجماعة التي غرست في قلبه أنه ليس بمفرده، وأن شخصه المفضل يشاركه اهتماماته ولا ينفر منها. قال وهو يحاول أن يعصر ذاكرته:

مسمعتش غير داليا، سيدي كرير، كلمات قالتها قبل ما تسكت والراجل ده ينهي المكالمة.

ثم نظر عبر زجاج السيارة الأمامي وهو يحاول أن يتذكر ما دار في تلك المكالمة القصيرة:

شوفت مكتبة كبيرة فيها روايات وكتب، وجنبها شهادات ودروع زي ما يكون تكريمات من هيئة ثقافية أو دار نشر.

ثم نظر إلى فريدة واستطرد بنفس الصوت:

وشوفت الولد اللي خاطفها، كان لابس كاب أبيض ونضارة، وفيه حسنة سودة فوق حاجبه الشمال.

حكت فريدة ذقنها وهي تفكر قائلة:

كل دي حاجات مش كفاية، لكن سيدي كرير دي البداية.

ظلا يفكران تفكيرًا عميقًا حتى أطبق الصمت على السيارة فقال علاء كمن تذكر شيئًا:

افتكرت حاجة، أنا شوفت ليها صورة توقيع في مكتبة، زي ما تكون شاعرة أو كاتبة.

طب مش فاكر شكلها في الصورة كان عامل إزاي؟

حاول الضغط على ذاكرته لكنها لم تسعفه فقال:

الصورة كانت بعيدة وكمان اللقطة دي يدوب كانت ثانية.

زفر علاء ثم تابع في يأس:

أنا حاسس إننا مش هنوصل لحاجة.

سألته فريدة بعد أن تذكرت هي الأخرى خيطًا قد يساعدهم:

انت مش قولت بعت للتطبيق ده ميل؟ طيب مابعتوش رد من امبارح؟

فتح هاتفه وأخذ يبحث عن بريده الإلكتروني وهو يقول:

مش عارف، بصراحة مبصتش من امبارح.

ضغط زر إعادة التحميل لبريده الإلكتروني حتى وجد مبتغاه، بريدًا إلكترونيًا من إدارة التطبيق تجاوب فيه على استفساره ونجدته، قال منتشيًا:

استني.. بعتوا ميل.

اقتربت منه فريدة ولامس شعرها الطويل كتفه فشعر بسعادة غامرة تفوق نشوة استقباله هذا البريد الإلكتروني، راودته ظنون أن كل ما يحدث الآن هو مجرد حلم لا يتمنى أن ينتهي أبدًا. فتح الرسالة وقرأها بصوت

Visual Watermark

عالٍ حيث كانت بها:

عزيزي العميل، نقدر جهدك وسعيك للمساعدة، لكننا لا نستطيع الإفصاح عن بيانات مستخدمينا وهذا للحفاظ على خصوصيتهم، لكن يمكننا تزويدك بالبريد الإلكتروني الخاص بالمشترك الذي كنت تحدثت إليه مؤخرًا.

أخذت فريدة تصفق فرحًا وكذلك هو بعد أن نسخ البريد الإلكتروني الخاص بداليا والذي كان مرفقًا في نهاية رسالة إدارة التطبيق، سأل علاء بعد أن شعر بالتيه:

إحنا المفروض هنعمل إيه دلوقتي بالميل ده؟

ميل، يعني نقدر نعرف أكونت شخصي فيس أو انستا، يعني ممكن نوصل لداليا أو على الأقل حد من أهلها.

فتحت فريدة تطبيق الفيسبوك والانستجرام عبر هاتفها الشخصي وأخذت تبحث عبر البريد الإلكتروني عدة مرات لكن لم تحصل على نتائج مفيدة، جربت أكثر من طريقة أخرى لكن كلها باءت بالفشل. جرب علاء لكن حصل على نفس النتائج المخيبة، فاقترحت فريدة وهي تفكر:

أنا وانت بنخمن إنها كاتبة أو شاعرة، طب ما ندور في تطبيقات القراءة، جايز تكون مسجلة بإيميل في واحد منهم.

ما التطبيقات دي أكيد فيها خصوصية ومش هتطلع اسم أو معلومات عن صاحب الإيميل.

بدأت فريدة في الدخول إلى تطبيقات عدة للقراءة وهي تقول لعلاء «خلينا نجرب مش هنخسر حاجة»، حاولت حتى بدأ اليأس يتسلل لها ومنه إلى علاء الذي كان يراقبها في اهتمام، حتى صرخت فريدة فرحًا وهي تقول:

لقيتها، داليا، اسمها داليا الصاوي.

اقترب علاء من شاشة هاتفها وبدأ في تصفح القائمة الخاصة بها ومعرفة المزيد عنها، تابعت فريدة وهي تقرأ المعلومات المدونة عن داليا:

داليا الصاوي من إسكندرية، من أشهر الكُتاب الروائيين في مصر، ليها عشر روايات وموجودين على قائمة البيست سيلر في الوطن العربي.

أشارت فريدة إلى هاتفها واستطردت:

أنا عارفاها، صحابي بيقروا ليها.

أغلقت تطبيق القراءة وعادت إلى استخدام الفيسبوك ثم بحثت باسم الكاتبة داليا الصاوي لتحصل على عدة نتائج، كان من بينهن المصطنع وليس الحقيقي، ولكن ولجت إلى حساب شخصي حقيقي للكاتبة وأخذت تتصفحه حتى تأكدت من حقيقته بعدما وجدت عدة تقييمات لروايات كتبتها داليا، أشارت إلى حسابها الشخصي وأكملت:

الحمد لله هي عاملة الأكونت بابلك، هنكتب بوست في صفحتها ممكن يظهر لحد من قرايبها أو صحابها، ونفهم منهم إيه بيحصل..

نفذت فكرتها في أقل من دقيقة وكتبت من حسابها الشخصي «يا ريت يا شباب اللي يعرف الكاتبة داليا شخصيًا يتواصل معايا لخطورة الأمر وأهميته، حياة أو موت يعني «.

أراح علاء رأسه على مقدمة الكرسي وقال بصوت رتيب:

تفتكري هنوصل لحاجة؟

مش عارفة، أدينا بنحاول.

نظرت فريدة إليه وسألته:

Visual Watermark

تيجي نشرب قهوة عقبال ما يجيلنا رد؟

ارتسمت على وجهه السعادة فأجابها بحماس:

يا ريت، تيجي نروح كوستا زي زمان؟

أومأت برأسها إيجابًا وهي تدير محرك السيارة وتنطلق بها ناحية كافيه كوستا بستانلي، والذي يبعد دقائق عن منزلها، وكأنها بذلك تعطيه إشارة أن كل شيء سيعود كما كان.

وصلا إلى شارع جانبي ملتصق بالكافيه فركنت سيارتها جانبًا ومشيا سويًا حتى دلفا إلى كوستا ومنه إلى طاولتهم المفضلة. طلبا قهوتهما وأخذت فريدة تنصت إلى حديث علاء عن انفصاله مؤخرًا عن زوجته وعن فريدة ابنته التي يفتقدها كثيرًا حتى جاء النادل بمشروبهما. اختلست فريدة نظرة إلى إشعارات الفيسبوك حتى جاءها ما تبحث عنه، إشعار يفيد بوجود تعليق ثم رسالة من نفس الحساب، حساب يحمل اسم «بسنت عبد الغفور». قالت بحماس وهي ترتشف من قهوتها القليل:

استنى، شكل حد من أهلها رد عليا..

قرأت التعليق الذي كُتب فيه (أنا صاحبتها) ثم فتحت الرسالة التي أرسلتها بسنت وبها «أنا صاحبة داليا وقريبة منها جدًا، خير مالها؟».

قام علاء من فوق كرسيه المقابل لمقعد فريدة ثم جلس بجوارها ليقرأ ما يدور بينهما. كتبت فريدة بسرعة:

جالنا اتصال من تطبيق (be my eyes) بتطلب فيه داليا مساعدة عن حاجة وبعدها ظهر شخص هجم عليها ومش عارفين هل هي في خطر ولا كويسة؟

يا لهوي! يبقى هو الراجل اللي كان بيراقبها من زمان، هي كانت حاسة.

راجل مين؟

واحد مجنون بيها، حطلها كاميرا في الفيلا بتاعتها وصورها.

توقفت بسنت عن الكتابة ثم كتبت:

مش هينفع أحكيلك هنا، اكتبي رقمك وهكلمك.

كتبت فريدة رقمها الشخصي لتتصل بها بسنت وتقبل المكالمة وتفتح السماعة الخارجية ليستمع علاء كذلك لما يدور في المكالمة. أخذت بسنت تشرح لها قصة ذلك الغريب الذي أخذ يراقب صديقتها المقربة منذ أكثر من عام ونصف، وأن خطورة الأمر وصلت لزرع كاميرا خفية بمنزل داليا والتقاط مقاطع فيديو لها هي وزوجها أثناء ممارستهما لعلاقتهما الزوجية، لكن عندما انقطع التواصل بينهما في الفترة الأخيرة لم تكن تعلم هل الأمر انتهى أم لا زال الخطر يحيط بها. قالت بسنت في أسى:

أنا حاسة بالذنب أوي، لو كنا لسة بنتكلم كنت هبقى عارفة كل حاجة عنها، حتى لما طارق جوزها مات من أيام مكنتش عارفة أبقى جنبها، بس والله غصب عني، أنا جوزي حلف بالطلاق مكلمهاش خالص.

انتبهت فريدة إلى ما قالته بسنت فسألت في اهتمام:

هو جوزها قبل ما يموت عرف باللي حصل؟

آه، جوزي لما لقى رسالة من داليا على تلفوني بتشكيلي اللي عمله المجنون ده وإنه صورهم في أوضة النوم، اتصل بجوزها طارق على طول وبلغه بالخطر اللي فيه داليا، لكني عرفت من الفيس بالصدفة إنهم عملوا حادثة في نفس اليوم، وعرفت إن طارق مات، وإن داليا مبقتش...

توقفت بسنت عن الحديث وأخذت تبكي بصوت عالٍ وهي تشعر بتأنيب الضمير حتى سألت فريدة سؤالًا جعلها تتوقف عن النحيب:

Visual Watermark

هو طبيعي إن تحصلهم حادثة يوم ما جوزها عرف إنه بيتصور في أوضة النوم؟

تقصدي إيه؟

تنهدت فريدة ثم سألت مجددًا:

طيب هي مقلتش ليكِ أي معلومات عن الشخص ده، يعني مقلتش ليكِ اسمه إيه؟

مش فاكرة أي حاجة ولا قادرة أركز لأن الموضوع من وقت طويل أوي، ياريتني ما وقفت كلام معايا.

عادت بسنت للبكاء مجددًا فأغلقت فريدة السماعة الخارجية وأخذت تهدئ من روعها ومن شعورها بالذنب حيال ما حدث. أردفت فريدة قائلة:

طيب ممكن تحاولي تهدي شوية عشان تقدري تساعدينا، إحنا ممكن نعدي عليكِ بالعربية وتوريني العنوان بتاعها فين، يمكن نقدر نساعدهم هناك.

أنا من بورسعيد.

همهمت فريدة ثم تابعت:

طيب ممكن تبعتيلنا لوكيشن لبيتها؟ هي في سيدي كرير صح؟

آه، سيدي كرير، عرفتِ منين؟

شعرت فريدة حينذاك أن الشك تسلل إلى بسنت فقالت وهي تحسم الأمر:

هي قالت كده في الاتصال لما الشخص ده هاجمها، ومتخفيش إحنا بنحاول نساعدها مش أكتر، ابعتيلي اللوكيشن واتساب من فضلك.

حاضر، ابقي طمنيني لو وصلتِ لحاجة أرجوكِ.

وانتِ لو افتكرتِ أي حاجة كانت قالتها لك، بلغينا يمكن نوصل لحاجة.

قاما وأسرعا في العودة إلى سيارة فريدة، تحركت بها تجاه الطريق الصحراوي ومنه إلى سيدي كرير حيث الموقع الجغرافي الذي أرسلته بسنت عبر تطبيق الواتساب. نظر علاء إلى ساعة يده ولاحظ أنها قاربت على الحادية عشر مساءً. سألها:

مش الصح إننا نبلغ الشرطة؟

هو أكيد لو فيه أمن هناك فزمانهم بلغوا النجدة.

نظرت فريدة إليه أثناء قيادتها وتابعت:

إحنا هنروح ونعمل اللي علينا للآخر، يمكن نقدر نساعد بحاجة.

ارتسمت ابتسامة ارتياح ممزوجة بالفخر على وجه علاء الذي لم ينفك عن مراقبة ملامح وجهها الرقيقة والجدة في آن واحد. قال:

أنا كنت فاكر إني الوحيد اللي عبيط وعايش عشان غيري مش لنفسي.

بادلته الدعابة وضحكت وهي تشير إلى نفسها:

زود في قائمة العُبط كمان اسم.

استمرت في قيادتها لساعة من الزمن حتى وصلت إلى العنوان المنشود، توقفت عند بوابة خارجية يقوم بحراستها رجل عجوز غارق في النوم. قالت فريدة وهي تنظر حولها إلى بعض الشاليهات المتراصة:

إحنا كده في المكان بالضبط.

Visual Watermark

ضغطت على بوق سيارتها ضغطة واحدة فاستيقظ العجوز واقترب من النافذة التي تجلس بجوارها فريدة وقال بلهجة صعيدية متثائبة:

خير يا هانم؟

من فضلك فيلا الكاتبة داليا الصاوي رقم كام؟

ارتسم الاندهاش على وجه العجوز الذي أجاب:

إحنا دايخين من إمبارح عشان نوصل لحد يعرفها ومش عارفين بعد ما اتخططت، هو حضرتك تعرفيها أو من أهلها يا هانم؟

نظرت فريدة إلى علاء ثم عاودت النظر إلى الحارس وقالت:

حاجة زي كده، قولي من فضلك هل بلغتم الشرطة أو عرفتم توصلوا لحاجة؟

قال الرجل متأثرًا:

معرفش يا هانم والله وصلوا لإيه، دقيقة واحدة هتصل بغانم ييجي، هو اللي بلغ ويعرف كل حاجة.

أخرج حارس الأمن هاتفًا بدائيًا من جيب جلبابه وأجرى اتصالًا بغانم ليخبره حول أمر بعض الزائرين، وما هي إلا بضع دقائق حتى جاء وهو يقود دراجة بدائية يستخدمها للتنقل بين الشاليهات، توقف غانم أمام السيارة لتخرج فريدة وعلاء واقتربا منه وألقيا عليه التحية، بادلهما العجوز بالتحية ثم سأل:

تعرفوا أستاذة داليا ولا حضراتكم صحافة؟

أجاب علاء:

ولا نعرفها ولا إحنا صحافة، أنا جاي أساعد، داليا اتصلت بيا بليل إمبارح وشوفت شخص بيهاجمها، إحنا جايين نتطمن عليها.

اعذروني يا بهوات، كان لازم أسأل لأن المذيعين والصحفيين قالبين الدنيا هنا من الصبح والشرطة منعتهم.

سألت فريدة وهي تضم معطفها إلى الداخل من شدة البرد:

طيب ماوصلتوش لحاجة عن اللي عمل كده؟

أخبرها غانم أنه يعلمه تمام العلم، خاصة أنه قد استأجر وحدة من بين الوحدات المخصصة للإيجار، لكن عندما بحثت الشرطة عن أوراقه أو عن بعض المعلومات عنه لم ينجحوا لأنه قد استأجر تلك الوحدة بهوية زوجته، سألته فريدة عن تفريغ الكاميرات بذلك المربع السكني فأجابها غانم في يأس:

الشرطة لسة بتحقق وبتفرغ الكاميرات من إمبارح.

حرك غانم ناظريه تجاه علاء وقال بوجه يكسوه القلق:

أنا قلقان إنهم يتأخروا والتحقيق ياخد وقت فيحصل للست هانم حاجة لا قدر الله.

غمرهم اليأس جميعًا وهم ينظرون إلى بعضهم البعض في قلة حيلة، ودعه علاء وفريدة قبل أن يحفظ الأول رقم هاتفه ودونه في قائمة الأسماء الخاصة بهاتفه، عادا إلى السيارة محملين بخيبة أمل، أدارت فريدة محرك السيارة وعادت بها تجاه منزلها، وأثناء قيادتها رن جرس هاتفها لتقرأ اسم المتصل (بسنت) صديقة داليا، أجابت وهي تشير بهاتفها إلى علاء:

بسنت صاحبة داليا، يا رب يكون عندها جديد.

قبلت مكالمتها، سألت بسنت في فضول واهتمام:

وصلتوا لحاجة في سيدي كرير؟

Visual Watermark

الشرطة لسة بتحقق وبتفرغ الكاميرات، بس البواب قال إنه يعرف الشخص ده وأوصافه، أنا شايفة إنك لازم تتواصلي مع الشرطة انتِ كمان وتقولي كل اللي تعرفيه عنه.

قالت بسنت:

مقدرش أتواصل مع الشرطة جوزي هيعرف، أنا بكلمك عشان فيه حاجة معايا معرفش هي مهمة ولا لا.

هدأت فريدة من سرعة قيادتها للسيارة بعد أن اقتربت من وسط البلد وسألت في اهتمام:

حاجة إيه؟

من أكتر من سنة والمجنون ده بيراقبها، داليا عملت حادثة وهو اتدخل وحماها، لما جت تحكيلي بعدها بعتتلي صورة هي لقطتها للشخص ده وللسواق.

ابعتيلي واتساب كده.

أرسلت بسنت الصورة التي كان بها سائق الميكروباص وسيارته ورجل آخر يرتدي قبعة بيضاء ويظهر من زاوية جانبية لم تكشف عن كافة ملامحه، قالت بسنت:

اللي لابس كاب ده هو اللي كان بيراقبها.

فتحت فريدة السماعة الخارجية حتى تتمكن من استكمال المكالمة وأيضًا كي يشاركها علاء رؤية تلك الصورة، أشار علاء إلى صورة إبراهيم وعلق قائلًا:

الصورة مش واضحة، بس أعتقد إنه نفس الكاب الأبيض اللي شوفته في المكالمة.

أكملت بسنت ما كانت تسرده:

معرفش أنا قولت جايز تكون حاجة مهمة ونقدر نعرف بيها عن الكلب ده.

سألت فريدة في اهتمام:

بسنت، انتِ بتقولي المجرم ده حماها من سواق الميكروباص، إيه حصل وقتها؟ داليا حكتلك؟

آه قالتلي إنها خبطت سواق الميكروباص بالغلط وكان هيضربها لولا إنه تدخل وعرض إنه يصلح له العربية فالموضوع انتهى.

صمتت بسنت لبرهة ثم أردفت قائلة قبل أن تنهي المكالمة:

وصلوا الصورة دي للشرطة، يمكن تفيدهم بحاجة.

أنهت المكالمة وسيطر الصمت على أجواء السيارة من الداخل، كلاهما غارق في تفكير عميق، وكلاهما سيطر عليه التعب الشديد، قالت فريدة:

أنا بفكر في حاجة كده..

تقريبًا نفس اللي بفكر فيه، نمر العربية بتاعة الميكروباص؟

أومأت برأسها إيجابا ثم أجابته:

لو هو فعلًا صلح العربية للسواق يبقى ممكن يعرف أي حاجة تساعدنا.

أشار علاء إلى الخارج وأكمل متسائلًا:

هنلف ونرجع للشرطة هناك؟

نظرت فريدة إلى ساعة هاتفها وقالت:

الوقت مش هيسعفنا، خليني أجرب أكلم حد من المرور تبعي، يقدر يعرف لنا عنوان صاحب الميكروباص ده.

Visual Watermark

أكملت طريقها إلى منزلها بكفر عبده وأثناء ذلك أجرت اتصالًا بلواء يعمل بالمرور وكان يجمعه علاقة قوية مع أبيها المتوفي، استقبلت عزاءه في بداية المكالمة ثم قالت له في لطف:

معلش كنت قاصدة حضرتك في خدمة.

استقبل إبراهيم رسالة نصية من كارما مفادها أن العقار المطلوب قد وجدته وأن الموزع سيكون بالقرب من منزله خلال دقائق. أبلغته بالسعر الذي تخطى العشرين ألفًا لندرته بمصر، وكذلك أخبرته بطريقة استعماله. أكد لها إبراهيم أنه في انتظار ذلك الموزع. دقائق واستقبل اتصالًا من رقم غير مسجل في قائمة الأسماء. قبل المكالمة وهو بالصالة متفحصًا الكاميرات حول الفيلا الخاصة به في لوران. قال الموزع:

أيوه يا باشا، الأوردر وصل.

فحص إبراهيم الكاميرات التي تحيط ببنائه، ثم سأل بحرص:

انت واقف فين بالظبط؟

قدام البوابة الكبيرة بس من الجنب.

قرب من البوابة كده.

تحرك الشاب ذو الشعر الطويل المعقوص إلى الخلف من البوابة، فشاهده إبراهيم عبر الكاميرات واطمأن لكونه الموزع. تابع إبراهيم وهو يعطيه بعض التعليمات:

امشي على نفس الصف من البوابة، هتلاقي في آخر الجنينة دي باب صغير خشب. تاني، استناني عنده، أنا نازل لك.

تحرك الشاب حتى وصل أمام بوابة صغيرة مهترئة لا يتعدى طولها مترًا ونصف وعرضها مترًا واحدًا. ظل ينظر يمينًا ويسارًا في توتر حتى فُتح الباب ومدت إليه يد من خلف الباب تشير له بأن يعطيه العقار. ناوله الموزع العقار ليجد أن المبلغ المطلوب قد وُضع في قبضة يده، ثم أُغلق الباب في وجهه دون أن يرى وجه المشتري.

عاد إبراهيم إلى الداخل حيث ورشة إصلاح السيارات وهو يتفحص الكيس البلاستيكي الصغير الذي يحتوي على قارورة صغيرة بحجم إصبعين مجتمعين. فتح الغرفة السرية ليجد أن داليا قد استعادت وعيها لكن يغلب عليها الإعياء الشديد، واصفر وجهها اصفرارًا شديدًا. فتح زجاجة مياه وصب القليل من العقار ثم وضع تلك الزجاجة بين أصابعها وقال:

اشربي.

مصمصت شفتيها من التعب والعطش قبل أن ترفع الزجاجة البلاستيكية بصعوبة إلى الأعلى، وشربت الزجاجة حتى آخرها. وما إن انتهت منها حتى اقشعر جسدها وقالت في خوف:

المياه طعمها متغير.

ضحك وهو يعود ناحية الكاميرا ويعدها للتصوير، ارتدى قناعه الأسود ثم قال لها:

المرة دي بقى هتعملي كل حاجة برضاكِ وانتِ مبسوطة.

فهمت ما يرمي إليه، وأن ما شربته منذ قليل هو عقار قد قرأت عنه في إحدى الروايات المترجمة، يسلب إرادة المُغتصَب وكأنه يميل لممارسة تلك العلاقة الجنسية.

حاولت أن تقاوم، لكن هذه المرة فقدت الشعور نهائيًا بكل ما حولها، وكل ما تذكرته هو ابتسامة طارق، ولقاءهما الأول، سعادته عندما أخبرته أنها مستعدة للحمل، وصورة رأسه المهشمة التي تنهش ذاكرتها. فنحبت عاليًا وقالت قبل أن تسكت:

أنا حامل، حرام عليك.

Visual Watermark

نظرت إلى الأعلى حيث سقف الغرفة ثم ابتسمت وأردفت بصوت أقرب إلى الهمس وكأنها تناجي أحدًا لا يراه من معها بالغرفة:

طارق.

أغمضت عينيها وسكنت حركتها وتوقف نبضها تمامًا. فاقترب إبراهيم من طريدته وأخذ يحرك الجثة الهامدة على الفراش يمينًا ويسارًا لكن بلا فائدة وبلا استجابة. أوقف التسجيل ثم أجرى اتصالًا بكارما، والتي ما إن أجابت على مكالمته حتى صرخ في وجهها منفعلًا:

انتِ بعتِ إيه مع الولد ده؟

نظر تجاه داليا ثم استطرد هاتفًا:

البت مستحملتش المادة، نفسها اتقطع وماتت.

هي بتشتكي من حاجة أو كانت واخدة أدوية تانية قبل المادة دي؟

تذكر للتو ما قالته قبل أن تفارق الحياة، فأجابها بصوت رتيب:

كانت بتقول إنها بتاخد أدوية اكتئاب، ولو مخدتهاش هتتعب وتموت وكلام كده.

ظهر الارتباك على صوت كارما التي حاولت أن تهدئ من روعه وانفعاله، قالت:

ما جايز تكون في غيبوبة زي ما كانت امبارح.

بقولك قطعت النفس والنبض، كل تعبي وفلوسي راحوا على الأرض.

عادي، فيه زيها كتير، اهدى بس وكل شيء هيتحل. أنا يوم وليلة وهنزل مصر وأحل كل حاجة.

***

ساعة من الزمن جلسا فيها داخل السيارة واستغرقا في النوم أمام منزل فريدة حتى أصدر هاتفها رنينًا فاستيقظت وكذلك علاء. تثاءبت وهي تنظر إلى شاشة هاتفها وحينذاك لاحظت أن الساعة قد قاربت على الثالثة فجرًا. أجابت على الاتصال في سرعة بعدما قرأت اسم المتصل (اللواء علاء مرور). قالت عدة كلمات استنبط منها علاء الجالس بجوارها أنها قد وجدت مبتغاها:

تمام، عنوانه فين وأنا هكتب، فيه رقم تليفون كمان، طب كويس جدًا.

نظرت إلى علاء الذي أخرج هاتفه واستعد لتدوين ما ستمليه، قالت:

عنوان السواق، أبو سليمان، تاني دخلة يمين من شارع عمر، اسمه حمدي وليد، شهرته حمدي أبو منة.

أملت على علاء رقم الهاتف بعدها، ثم شكرت اللواء وأنهت المكالمة، ثم انطلقت بسيارتها إلى العنوان وهي تسأل علاء:

انت تعرف العنوان ده؟ أنا عمري ما رحت المنطقة دي بس أسمع إنها عشوائيات.

قال لها وهو يفرك يديه من شدة البرد:

اللي يسأل مايتوهش، أنا عارف المنطقة بس معرفش الشارع نفسه، نوصل هناك وبعدها نسأل.

وصلا إلى الشارع الرئيسي بمنطقة أبو سليمان، ثم سأل المارة وبعض المحلات عن الشارع الجانبي حتى حصلا على ما يريدان. توقفا عند أول الشارع الجانبي المنشود لتسأل فريدة علاء في قلق وهي تنظر حولها حيث الهدوء الشديد:

هو صح إننا نخبط على حد دلوقتي؟

Visual Watermark

هنجرب نتصل برقمه، لو رد يبقى كويس، ماردش يبقى مضطرين نسأل على البيت.

أجرى اتصالًا برقمه لكن هاتفه كان مغلقًا، جرب عدة مرات فحصل على نفس النتيجة، فخرج من السيارة وقال لها وهو يشير إلى محل لا يزال لم يغلق أبوابه بعد:

مقدميش حل، خليكِ انتِ هنا ماتنزليش خالص، وأنا هسأل السوبر ماركت اللي هناك ده.

راقبته من داخل السيارة وهو يمشي ويتحدث إلى البائع الذي خرج من محله وأشار إلى بناية قديمة تقبع بجوار سيارة فريدة، عاد علاء ووقف بجوار السيارة ثم أخذ ينادي بصوت عالٍ أكثر من مرة:

حمدي، حمدي، حمدي أبو منة.

لم تنجح محاولته فنظر إلى فريدة في قنوط، وقبل أن يعود أدراجه إلى السيارة سمع صوتًا اشمئز له بدنه، نظر إلى الأعلى ليجد شابًا في منتصف الثلاثينات من عمره ويرتدي فانلة صيفية خفيفة غير عابئ بالأجواء الباردة. أخذ حمدي شهيقًا طويلًا من سيجارته وهو واقف بالشرفة ثم سأل:

أيوه يا قدارة(2)، خير، حد ينادي على حد في وقت زي ده!

معلش يا صاحبي عايزينك دقيقة بس، انزلنا لو سمحت.

حرك حمدي ناظريه إلى السيارة المركونة بعدما قال علاء «عايزينك» ليُلمح فتاة تخرج رأسها من نافذة السيارة ويتدلى شعرها الناعم منها، قال حمدي وهو يُطفئ سيجارته في سور الشرفة:

نازلك، استنى.

لم تمر ثوانٍ حتى جاءهم حمدي من الأعلى بنفس ملابسه الصيفية واستند على سيارة فريدة كما يفعل علاء لتتدلى منه سلسلة حديدية كانت تزين الوشوم المرسومة على جسده وكلمات كانت أكبرهن وبخط عريض «أعز الناس أمي». سأل وهو يمحص النظر تجاه فريدة:

فيه إيه؟ انت مين يا فخم وعايز إيه؟

من أكتر من سنة كده كانت فيه ست خبطت عربيتك وانت اتخانقت معاها وطلبت منها تصلحلك عربيتك.

ضحك حمدي وقال في سخرية:

يا باشا أنا كل يومين تيجي واحدة ست تخبطلي الميكروباص بسبب سواقتهم بنت الو***، مالها يعني؟

يومها فيه حد عرض عليك يصلحلك العربية بتاعتك وانت وافقت والمشكلة خلصت، فاكر الشخص ده؟

ضيق حمدي حاجبيه محاولًا التذكر ثم انفرجا عن آخرهما وقال هاتفًا:

آه، ابن المجنونة بتاع لوران.

خرجت فريدة من السيارة ووقفت على مسافة بعيدة من حمدي خوفًا منه، غفل حمدي عما يحاول أن يتذكره واسترق النظر إلى فريدة بعدما جذبه جمالها فأدار علاء وجه حمدي ناحيته ثم سأل مرة أخرى:

أيوه خليك معايا، احكيلي بقى أي حاجة تعرفها عن ابن المجنونة ده؟

تراجع حمدي خطوة إلى الوراء وقال في حذر:

هو فيه إيه، انت مباحث؟

ياعم هو أنا لو مباحث هجيلك بمراتي؟ كل الحكاية إن الشخص ده خطف الست اللي خبطتك دي وإحنا عايزين نعرف أي حاجة عنه.

لا طالما فيها خطف؛ هحكيلك كل حاجة يا باشا.

Visual Watermark

سرد له حمدي أنه في ذلك اليوم وبعدما عرض عليه ذلك الغريب أن يصلح له سيارته في ورشة إصلاح خاصة به، أنه قد اصطحبه بسيارة الأجرة خاصته وتبع سيارته الفارهة حتى وصلا إلى فيلا الأخير بلوران وقريبًا من الترام، ترجل حمدي من الميكروباص بعدما ركنه داخل الورشة وكذلك إبراهيم، حتى أشار الأخير لحمدي بالانتظار دقائق داخل الورشة وأنه سيدخل إلى الفيلا وسيبدل ملابسه وسيعود خلال دقائق ويصلح له سيارته.

أشعل حمدي سيجارة وهو يسرد ما حدث ثم ناول علاء واحدة فأخذها منه وأشعلها ثم تابع:

لحد ما اتحصرت وكان لازم أخش الحمام والراجل طوّل فوق، قولت أدور يمين شمال على حمام جوة الورشة، ماهي كبيرة يا باشا، لقيت باب صغير في آخرها وأول ما دخلت لقيت اللي بيشدني من ورا ورماني بره، قعد يزعق ويشتم إني إزاي أخش، وحلف يومها ابن الم***** إنه مش هيصلحلي العربية ومشاني.

شعر حمدي أنه قد خدش حياء فريدة التي نظرت إلى موضع قدميها بعدما استمعت إلى سبه فقال معتذرًا:

لامؤاخذة يا مدام.

سأله علاء في اهتمام:

ليه زعق فيك كده، شوفت إيه جوه الأوضة دي؟

والله يا باشا دي أغرب أوضة شوفتها في حياتي، تحسها ستوديو متقفل ومعزول عن الدنيا بره، ومفيهاش غير كاميرا ولامؤاخذة سرير.

نظر علاء وفريدة إلى بعضهما البعض في ذعر بعدما بدآ أن يجمعا خيوط ما يحدث وما سيحدث لداليا. أعاد علاء النظر إلى حمدي وسأله:

انت فاكر عنوانه بالظبط؟

آه يا باشا وممكن أوصفهولك.

قال له علاء في استعطاف:

مينفعش تيجي معانا، وريني حتى العنوان وامشي وهنديلك اللي انت عايزه، دي مسألة حياة أو موت.

ألقى حمدي سيجارته أرضًا بعدما انتهى منها ثم قال لهما:

آجي يا باشا معاك ومن غير حاجة خالص، ده إحنا عندنا ولايا، ربنا يسترها عليهم.

أشار حمدي إلى سيارة فريدة وأردف:

اركب عربيتك وامشي ورايا، اصطبر بس هجيب المشروع من أول الشارع.

تحرك حمدي في خفة ناحية سيارة الأجرة خاصته وانطلق بها أمام سيارة فريدة لتتبعه بسيارتها وفي الطريق كان علاء يختلس نظرات عدة إلى فريدة التي صبت تركيزها كاملًا وراء سيارة حمدي، انتبهت إلى العيون التي تراقبها بشدة فسألته:

مالك؟

مش خايفة يا فريدة؟

منكرش، بس طالما معاك مبقاش عندي وقت أفكر إني خايفة.

نظرت إلى عينيه هذه المرة ثم تابعت:

أنا لأول مرة في حياتي أحس إن فيه سبب أعيش عشانه.

سألها علاء في خبث وهو يشير إلى ما يذهبان إليه:

Visual Watermark

آه، عشان ننقذ داليا.

ابتسمت ثم استطردت في خجل وهي تبعد ناظريها عنه:

مش داليا بس.

انشرح قلبه فاعتدل في جلسته منتشيًا، انتبه إلى يد حمدي التي تشير له من خارج السيارة أن يتوقف وأنهما قد وصلا للعنوان المنشود. خرج حمدي من الميكروباص وتبعه علاء، أشار الأول إلى فيلا واسعة لها باب عريض وسور يحيطها بارتفاع يتخطى الثلاثة أمتار وقال:

هي دي الفيلا.

تقدر تروح يا حمدي لو عايز، أنا تعبتك أوي أنا عارف.

مش هسيبك يا باشا، والله ما هسيبك، بقولك عندنا ولايا، وبعدين أنا ليا تار مع ابن الزا*** ده.

خرجت فريدة من السيارة لتتبعهما بعدما توقفا أمام بوابة الفيلا، حتى قال علاء لها:

فريدة اقعدي جوه العربية، ومتخرجيش، فاهمة؟ المرة دي ماتخرجيش.

قالت له فريدة وهي تفرك أصابعها من شدة التوتر:

طب مش نبلغ البوليس؟

خلع علاء معطفه وأعطاه لها وقال:

مفيش وقت، إحنا لازم نتصرف، خلي الجاكت ده معاكِ واستني في العربية، ماتخرجيش خالص.

عادت فريدة إلى سيارتها الواقفة بالقرب من الترام لكن بعينين لم تتوقفا عن مراقبة البوابة الرئيسية للفيلا، ليسأل علاء السائق:

ماقدمناش حل غير إننا ننط السور، صح؟

بينما كان إبراهيم بالصالة ويستعد للنزول إلى ورشته لقيادة إحدى سياراته وإخفاء جثة داليا كما فعل مع مارلين، تفحص حاسوبه قبل أن يغادرها واختلس نظرة إلى كاميرات المراقبة كما اعتاد أن يفعل. لاحظ اقتراب شابين وسيدة من البوابة الكبيرة لمنزله، اقترب من شاشة الحاسوب وهو يمحص النظر في ملامحهم، لم يتعرف على حمدي أو علاء. وعندما تتبع الشابة التي خرجت من كادر التصوير الأمامي لفيلته شعر أن لها ملامح مألوفة، لاحظ أن الشابان يحاولان تسلق السور الخاص به فامتلأت عيناه بالرعب وجحظتا عن آخرهما، تراجع وهو يفكر في حيلة للخروج من هذا المأزق.

بات على يقين أنه طالما حاول الشابان اجتياز سور منزله فهما قد كشفاه، اختلس نظرة إلى بقية كاميرات المراقبة فوجد سيارة سوداء مركونة بالقرب من الترام بها تلك الفتاة التي غادرت معهما. وضع مسدسه الذي يحوي طلقة واحدة في جيب معطفه وأخذ علبة رذاذ المخدر مثل تلك التي كانت تمتلكها مارلين ومادة ال GHP وجواز سفره وبعض أغراضه الهامة الأخرى في حقيبة صغيرة ثم نزل إلى الدور الأرضي بعد أن قرر الهروب.

بينما نجح حمدي في اجتياز السور ثم مد يده إلى علاء الذي استند إلى شجرة طويلة بجوار السور وأمسك في يد حمدي المتدلية حتى نجح هو الآخر في اجتيازه والقفز إلى داخل جنينة الفيلا بعد دقائق من محاولات الصعود. أشار حمدي إلى الوراء حيث ورشة السيارات وقال:

الورشة من هنا.

تحسسا الأرض بصعوبة وسط ظلام دامس حتى وجدا ما يبحثان عنه، أشار حمدي إلى باب الورشة المفتوح والذي كان مضاءً بمصابيحه نقيض كل غرف الفيلا المظلمة، قال بصوت هامس:

الورشة آهيه، والباب اللي بقولك عليه جوه في آخرها.

Visual Watermark

أخذا ينظران حولهما في ترقب وحذر وهما يدخلان إلى الورشة التي تحوي على الأقل خمس سيارات، سارا بجوار السيارات حتى وصلا لنهاية الورشة من الداخل فأشار حمدي إلى باب صغير وقال:

هو الباب ده يا صاحبي.

فتحا الباب بحرص ليجدا غرفة مضيئة معزولة وسريرًا وجثة داليا الهامدة، ما لبثا أن اقتربا من جثتها وحاولا مساعدتها حتى استمعا إلى صرير الباب الخارجي أثناء إغلاقه، التفتا إلى مصدر الصوت وعادا إلى باب الورشة الأساسي فوجداه قد أُغلق للنهاية، حاولا رفعه لكن بلا فائدة، فتأكدا أن هناك من وضع الأقفال بالخارج ليمنعهما من الخروج، هتفا كثيرًا وضربا بكفيهما فوق الصاج الحديدي لكن بلا فائدة، تحسس علاء بنطاله وهو يبحث عن هاتفه لكنه تذكر أنه غفل عنه بمعطفه الذي ناوله لفريدة، فقال لحمدي:

هات تلفونك نحاول نتصل بالشرطة أو فريدة وهي تكلمهم، عشان تلفوني نسيته في الجاكت.

قال حمدي:

يا باشا انت نزلتني بالنص كوم والشبشب، مالحقتش آخد موبايلي من فوق.

غلب اليأس علاء وجلس أرضًا وهو ينظر إلى السيارات بجواره وإلى نهاية الممر الذي يحوي جثة داليا التي لا حول لها ولا قوة، فهم أن ذلك المجرم قد صنع لهما فخًا وتركهما يقتحمان فيلته ثم أحكم قبضته عليهما حتى لا يمسكا به..

« فخًا! هذا يعني أنه بالداخل وقد رآهم عبر الكاميرات، وهذا يعني أنه قد رأى فريدة أيضًا!».. دارت تلك الهواجس والأفكار في رأسه فقام وأخذ يمشي عشوائيًا ويبحث عن أدوات حادة تساعده في كسر الباب، سأله حمدي:

بتدور على إيه يا باشا قولي أساعدك؟

أي حاجة نكسر بيها الباب، فريدة بره في خطر.

---

(2) مصطلح متداول بين سائقي الإسكندرية.

https://t.me/riwayat2021

Visual Watermark

مشى في تؤدة ناحية السيارة السوداء المركونة بالقرب من الترام وهو لا يزال يعرج بقدمه اليسرى المصابة بعد أن تعمد الخروج من البوابة الصغرى لفيلته والتي كانت تختفي عن أنظار فريدة تمامًا، أخذت الأخيرة تلتفت وهي داخل سيارتها يمينًا ويسارًا من شدة القلق.

ملامحها مألوفة لإبراهيم لكنه لم يزل يتذكر أين ومتى رآها، اطمأن لجهلها هويته عندما عبر أمامها وتفهم أنه ليس هناك خطر منها ناحيته. مشى للأمام على قدميه بضع خطوات مبتعدًا عن سيارتها ثم توقف عن المشي عندما أسعفته ذاكرته وتذكر ذلك الوجه البريء.

فريدة سلام، البلوجر المعروف داخل مصر وخارجها، كثيرًا ما تظهر مقاطعها القصيرة له عبر تطبيقي الفيسبوك والانستجرام.. شخصية عامة إذن!.

عاد إلى الخلف وهو يضع كلتا يديه داخل معطفه ثم اقترب من سيارتها وقال بلطف:

أستاذة فريدة سلام صح، إزيك؟

نظرت إلى الشاب ذو الملامح البريئة والقبعة البيضاء أمامها، طمأنتها ابتسامته أنه مجرد أحد متابعيها، ابتسمت على مضض وهي لم تزل تراقب سور الفيلا:

أهلًا إزيك؟

أنا بحب فيديوهاتك جدًا، خصوصًا اللي كانت في النمسا، أنا بحبها جدًا، والفيديوهات بتاعتك عنها شوقتني أكتر أروحها.

ميرسي، شكرًا ليك.

عادت بناظريها لتراقب سور الفيلا وهي تمسك هاتفها وعلى وشك الاتصال بالنجدة لتأخرهما بالداخل، قال إبراهيم بلطف وهو يخرج هاتفه:

ممكن صورة ولا هبقى بضايقك؟

اتفضل.

نزل بقامته للأسفل حتى كادت أن تلامس ركبتيه الأرض والتقط صورة سيلفي له ولها وهي جالسة كما هي على مقعد قيادة السيارة، انتهى وشكرها ومشى خطوتين للأمام وهو يضع يده في جيب حقيبته الصغيرة مخرجًا رذاذ المخدر و يتلفت إلى الطريق الخالي تمامًا من المارة ومن السيارات. في تلك الثواني القصيرة انتعشت ذاكرة فريدة وربطت بين أوصاف ذلك المجرم وقبعته البيضاء وبين ذلك الشاب الذي التقط صورة لهما بنفس القبعة. حركت عينيها بعيدًا عن سور الفيلا وما لبثت أن تتبعت ذلك الغريب حتى فاجأها الأخير وهو يقول:

بقولك يا فريدة.

نظرت تجاه مصدر الصوت لتستقبل رذاذ المخدر في وجهها ففقدت وعيها وقدرتها على الصراخ، استسلمت في ثوانٍ ورجعت برأسها إلى الخلف ثم سقطت جانبًا فوق مغير السرعات، فتح إبراهيم الباب المجاور لها ثم أزاح جسدها بعيدًا عنه لتصبح فوق المقعد المجاور للسائق ثم وضع حقيبته الصغيرة فوق المقعد الخلفي، أدار محرك سيارتها وانطلق بها تجاه شارع النقل والهندسة، الوكر القديم الذي استطاع تأجيره بهوية زيزو.

وأثناء طريقه إلى الشقة أجرى اتصالًا بزيزو وقال عدة كلمات مقتضبة:

قابلني دلوقتي في النقل والهندسة واديني المفتاح، اخلص يا روح أمك مفيش وقت، دلوقتي.

نظر إلى جسد الفتاة بجواره وعاين حجمها ثم تابع:

وهات وانت جاي أكبر شنطة سفر تقابلك، منين إيه، معرفش، اتصرف وهراضيك.

أنهى المكالمة ثم فتح تطبيق التيليجرام وكتب إلى كارما:

Visual Watermark

مفيش داعي تيجي مصر، هجيلك الإمارات، مبقاش ينفع أقعد هنا في مصر يوم واحد خلاص.

أرسل ملصقًا ضاحكًا وتابع الكتابة وهو يلتقط صورة لطريدته الجديدة الغائبة عن الوعي ثم عاود الكتابة لها بعد أن أرسل تلك الصورة لكارما:

بس هسيبلهم تذكار قبل ما أمشي منها.

أصدر هاتف فريدة رنينًا من بسنت فكتم صوته بعد أن أخرجه من جيب بنطالها الجينز ثم أغلقه نهائيًا وألقاه عبر النافذة إلى الخارج، لم يحتَج أن يبحث كثيرًا عبر تطبيق التيلجرام عن الوسيط، فتح نافذة الدردشة بينه وبين الأخير وكتب له:

كنسل الديل الأولاني ونبدأ ديل جديد، شخصية عامة تانية، والفيديو هيكون عندك خلال ساعات.

تمت بحمد الله

٢٠٢٤١١٢١١٢

حصريا على روايات وكتب عربية وعالمية
https://t.me/riwayat2025
يسعدنا انضمامك لنا

Visual Watermark
Processed using the free version of Watermarkly. The paid version does not add this mark.